العدد ٨ يناير ٢٠٢٣ جمادى الآخرة ١٤٤٤

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

تصدر عن
الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

«كيف عالج النبي ﷺ مشكلة الفقر»



مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الهيئة العالمية لنصرة نبي الاسلام
International Organization to support the Prophet of Islam

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لنصرة النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

محتويات العدد

علماء الهيئة

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

تصدر عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

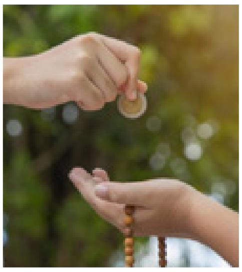
AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي










علماء الهيئة

أئمة الهدى

الصادعون بالحق

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

٣ تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

- ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : admin@ansarmag.com

موضوع العدد القادم:

في ظلال ذكرى الإسراء والمعراج.. نصرة النبي بنصرة المسرى

الافتتاحية

من مشكاة الزكاة



د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

نظرتُ في أركان الإسلام فوجدت أن رسول الله ﷺ سنّ لأمته رديفاً مكملاً من جنس ما افترضه الله عليهم، فالصلوات الخمس لها سُنن قبلية وبعدية وركعتي الضحى، والتراويح في رمضان وقيام الليل طوال العام، وحج النبي ﷺ حجة الفريضة واعتمر أربع مرات، وأمرنا أن نتابع بين الفرض والسنة فقال: «تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ فإنَّهما ينفيانِ الفقرَ والذُّنوبَ، كما ينفي الْكيرُ خبثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ، وليسَ للحجِّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنَّةِ»[١].



---

١. صحيح النسائي.

وفريضة الصيام شهر في كل عام، وبعد انقضاء رمضان يبقى الصوم المسنون بقية السنة، كصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، والأيام القمرية الثلاثة من كل شهر، ثم صيام عاشوراء ويوم عرفة.

لكن الأمر في فريضة الزكاة مختلف عن غيرها من أركان الإسلام إذ جاءت مثلثة:

أولاً: فريضة الزكاة التي هي أحد أركان الإسلام، والتي دائماً ما يأتي الأمر بها مقروناً مع الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].



ثانياً: زكاة الفطر على الصائمين في رمضان،

وهي فريضة كما نص الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»[٢].

ثالثا: الصدقة، وهي السُّنة التي من جنس الفريضة، وبابها أوسع ومصارفها أكثر، وبها يكون التفاضل بين المنفقين.

وهذا يدلنا على مدى عناية المشرع بمعالجة قضية الفقر، وغرس معنى التكافل والتراحم بين طبقات المجتمع، حتى لا يصبح المال دُولة بين طائفة بعينها، ومن بركتها أن جعل الله شيئاً من جزائها معجلاً في الدنيا ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣]

لذا كان السُّعاة من الصحابة إذا خرجوا لجمع الزكاة اجتهدوا في الدعاء للمزكي، عملاً بأمر الله واستناناً برسول الله ﷺ؛ فهم عماله ونوابه.

٢.رواه أبو داود وابن ماجه.



ومن خلال دراسة متأنية عن فريضة الزكاة أنجزتها خلال فترة (كورونا) -ولعلها ترى النور قريباً بإذن الله تعالى- وقفت على جملة أشياء تدل على الإعجاز التشريعي في هذه الفريضة، والتناول العبقري لها عند فقهاء الشريعة، ومن ذلك:

- **أولًا:** أن الله تعالى حدد المستفيدين من الزكاة ونصّ عليهم، كما حدد فرائض الميراث كما ذكر الإمام ابن قدامة في (المغني) أن رجلاً قال: يا رسول الله أعطني من هذه الصدقات، فقال له رسول الله ﷺ: «إن الله لم يرضَ بحكم نبي ولا غيره في الصدقات، حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء، فإن كنتَ من تلك الأجزاء أعطيتك حقك».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

- **ثانياً:** تولى رسول الله ﷺ أخْذها بنفسه وقسمها في مصارفها، وحارب أبو بكر خليفتهُ الأول مَن امتنع عن أدائها، وقال قولته المشهورة: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه والله لأقاتلن مَن فرق بين الصلاة والزكاة». وكان ممن أسند اليهم أبوبكر أمرَ الزكاة، وزيره وخليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وهذا يدلنا على عظيم مكانتها.

- **ثالثا:** تُقسم الزكاة على الأصناف الثمانية بمن فيهم الجهاز الإداري القائم على جمعها وتقسيمها: «العاملين عليها».

- **رابعاً:** جعل الله من الأصناف الثمانية مصرف «وفي سبيل الله»؛ ليدخل تحته كل ما ينطبق عليه الوصف، بداية من الجهاد إلى كفالة طلاب العلم.

- **خامساً:** لا يجوز نقل مال الزكاة إلى بلد آخر، إلا إذا استغنى أهل منطقة المزكي، لأنهم يرون النعمة عليه، ولهم عليه حق الجيرة، كما أنه يُذهب بواعث الحسد.

- **سادساً:** أجاز الفقهاء نقل الزكاة إذا كانت لقريب مستحق، لما في ذلك من صلة الرحم وكذلك طالب العلم، وقرروا أنه مَن انقطع لطلب العلم فهو أولى بالرعاية، بخلاف مَن انقطع للعبادة وهو قادر على الكسب، لأن عبادته لنفسه، أما طالب العلم فتنتفع به الأمة كلها.

- **سابعا:** لا تجوز الزكاة على الوالدين أو الزوجة والأولاد وكل مَن تلزمك نفقتهم، فهم أولى بحرّ مالك.

- **ثامناً:** يندب إلى تعجيل الزكاة قبل الحول بعام أو عامين عن اقتضاء الضرورة، وحاجة المجتمع لذلك، كما فعل رسول الله ﷺ من عمه العباس في عام الجدب.

- **تاسعاً:** لا يجوز دفع الزكاة لغير المسلم لأنها عبادة من عبادات الإسلام، بخلاف الصدقة فبابها واسع.

- **عاشراً:** ثواب الدَّيْن أكبر من جزاء الصدقة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي على بابِ الجنة مكتوبًا: الصدقةُ بعَشْرِ أمثالِها، والقَرْضُ بثمانيةَ عَشَرَ، فقلتُ يا جبريلُ ما بالُ القَرْضِ أَفْضَلُ من الصدقةِ؟ قال: لِأَنَّ السائلَ يَسْأَلُ وعِنْدَهُ، والـمُسْتَقْرِضُ لا يَسْتَقْرِضُ إلا من حاجةٍ»[٣].



وهذا إعجاز تربوي لا يصدر إلا عن وحي، لأنه لا يخضع لحسابات العقل وقواعد الصرف، لكنها وصفة ربانية لعلاج شح النفس، وتمرينها على الفضل والبذل، فَمَن منعته نفسه من بسط

٣.حديث حسن، أخرجه السيوطي في (الجامع الصغير).

اليد بالصدقة، فأمامه باب آخر يحصل منه الأجر ويعود له ماله، بل لا يُطالب بدفع الزكاة عن الدَّين حتى يستلمه، ثم يزكيه عن عام واحد لئلا يضار في رأس المال.



تلك عشرة كاملة.. والأصل في تطبيق فريضة الزكاة يرجع إلى حكام المسلمين، لأنها أحد أركان الدِين والعلاج السماوي لمشكلة الفقر، فما جاع فقير إلا بما أُتْرع به غني، والزكاة تراقب هذا وتمنعه، والأصل في الإمام العدل إقامة الشرع، وحض الناس على تحقيق الفرض، أما حكام الجور الذين يخون الشريعة ويحاربون أهلها، فقد أهملوا أمر الزكاة عن عمد، واستبدلوها بالضرائب والمكوس التي تدخل خزائنهم ولا يُسألون عن مصارفها، ورفضوا أن يتعاملوا مع الزكاة كمورد مالي بحت، من الموارد المالية السخية، التي تدر دخلا كبيراً إلى خزينة الدولة، وتسهم بشكل فعال في سد العوز، وتضييق دائرة الفقر، لأنهم يعلمون أن إقامة الفريضة، فيه بيان لمحاسن الشريعة، وهم يسعون إلى هدم ذلك ونسيانه.

وكلمتي الأخيرة إلى الثلة الذين تجاوزوا شح الأنفس، وأخرجوا زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم، ألا يقسموها وفق أهوائهم وحسب اختياراتهم، فالأمر محسوم وفق القانون الذي فرضه من أمر بإخراجها، وحدد مساراتها، ولا مجال في ذلك للاجتهاد والتبديل، فهي فريضة تؤدي في إطار «صلوا كما رأيتموني أصلي»، و«خذوا عني مناسككم».



النبي المنقذ ﷺ
ومشكلة الفقر



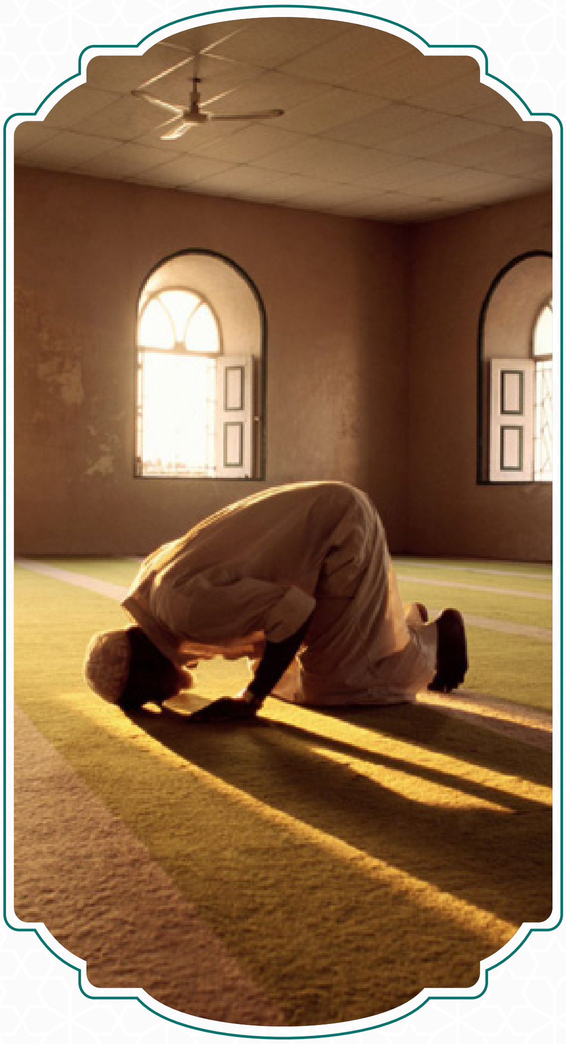
محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

مشكلة الفقر هي إحدى المشكلات العويصة التي تشهد أن نبينا ﷺ قد جاء رحمة للعالمين، وأنه مبعوث من عند الله بالدين الحق، وأزعم أن هذا الموضوع على وجه الخصوص لو استوعبه الداعية الموفق المخلص، فإنه يستطيع به أن يفتح قلوباً مغلقة، وأن ينير عقولاً مظلمة، فاستيعاب هذا الموضوع يزيد الذين آمنوا إيماناً، ويهدي إلى الإيمان من لم يكن مؤمناً!

•• سيرى القارئ الكريم على صفحات هذا العدد من المجلة تفاصيل كثيرة في شرح هذا الموضوع، وستهديه هذه المقالات إلى غيرها من الكتب الأوسع تناولاً، ولست أشكّ أن عموم القراء سيتفاجؤون خلال قراءتهم بهذه الوسائل الكثيرة، وذلك النظام البديع الذي جاء به النبي ﷺ من عند ربه، للقضاء على هذه المشكلة التي كم أرَّقت البشرية وكم حيَّرت فلاسفتها.

غير أني في هذه السطور سأشير إلى بعض الأمور التي تؤثر في حل مشكلة الفقر بطريق غير مباشر، أريد بذلك أن ألفت النظر إلى أن النظام الإسلامي يجب أن يُطبَّق كله، وأنه نظامٌ يدعم بعضه بعضاً، وتشتد أركانه بعضها ببعض! وأن اقتطاع وسائل الإسلام الجزئية لمعالجة مشكلة الفقر لن ينتج عنه إلا ترقيع جزئي وحلولٍ أشبه بالـمُسَكِّنات، فإن الإسلام نظام واحد كامل! فعلاج المشكلات الاقتصادية مرتبط بتطبيق الإسلام في السياسة والاجتماع والفكر والشعائر معًا. فمشكلة الفقر ليست مجرد مشكلة اقتصادية، ليكون علاجها اقتصادياً، بل هي مشكلة إنسانية تتضافر في صناعتها كما تتضافر في علاجها سائر غرائز الإنسان وسائر جوانب الحياة الإنسانية!



وهذه السطور شذرات سريعة خاطفة:

أولا: بناء الفكر والتصور

يبدأ إيمان المسلم بالإيمان بالله، فالله غني واسع حميد ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (يونس: ٦٨)، وهو أيضاً عليم حكيم سميع بصير لطيف خبير، ولهذا فإن الكون المخلوق بحكمة الله وعلمه ولطفه، يتسع لسائر خلقه، فلا تضيق بهم موارده، وما من مخلوق في هذا الكون إلا ورزقه الذي يلزمه متوفر على هذه الأرض، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)، وهو سبحانه وتعالى كريمٌ لا تنفد خزائنه، وهو حكيم في إنزال النعم والخيرات ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

ومن هنا، فإن ظهور الفقر في الناس هو نتيجة من نتائج الفساد والانحراف عن نظام الله وشريعته، وهو جزء من عقوبات الله للعبيد الذين أهملوا طاعة الله، يعاقبهم الله بها لعلهم ينتبهون ويعودون ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

• • فهذا التصور يُوَجِّه المسلم نحو البحث عن علاج مشكلة الفقر في مقاومة الظلم والفساد والانحراف، ومعرفة نظام الله وشريعته التي يجب اتباعها، ولن يحدث أن يظن المسلم أن المشكلة هي مشكلة ندرة في الكون أو هي مشكلة كثافة سكانية أو مشكلة سوء توزيع للموارد في الطبيعة... إلى آخر هذه القناعات التي بُنِي عليها النظام الاقتصادي العالمي، وخرجت على أساسها فلسفاتٌ دعت إلى تقليل النسل وتصحيح أخطاء الكون واستحلال نهب موارد الشعوب.



ومن هذا الانحراف والفساد ما يكون في نفس المرء -لا سيما الفقير- من الكسل والاتكال وسقوط الهمة ونحو ذلك، فمن هنا حذّر النبي من الفقر، وجعله شراً يستعيذ بالله منه، بل جعله قرين الكُفر، فكان يدعو قائلاً: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر». وحثَّ على العمل ونهى عن تسول الناس، وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى». وأخبر أن الساعي على نفسه ووالديه وأهله وولده كالمجاهد في سبيل الله، بل لقد صوَّر النبي صورةً بديعة، إذ أحسن الأعمال لمن كان يغرس الفسيلة لحظة قيام الساعة أن يستكمل غرسها! ولا يمكن أن توجد صورةٌ أخرى أبلغ من هذه في الدلالة على أن العمل في الدنيا في تنمية الموارد وإعمار الأرض هو طريقٌ للثواب في الآخرة!

ومن الانحراف والفساد ما يكون في نفس المرء -لا سيما الغني- من الاعتقاد بأنه صنع هذا بموهبته وذكائه وعلمه، ولهذا جاء النبي بالتحذير من هذا التصور، وقررت آيات القرآن وأحاديث النبي أن الرزق من عند الله، وأن المال مال الله، وأنه يهبه لمن يشاء، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾

(النحل: ٧١)، ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ (العنكبوت: ٦٢)، ويعرف التجار رجال الأعمال من واقع حياتهم أن الأسباب لا تبلغ بهم الغنى ولا تفسر لهم الفقر، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (يونس: ١٠٧)، وقد قال الشافعي:

ومن الدليل على القضاء وكونه •• بؤس الذكي وطيب عيش الأحمق

ولهذا فإن حق الفقير والمحتاج في هذا المال هو حقٌّ لله، فرضه الله على الغني، وهذا المال هو موضع اختبار من الله وفتنة لعبده الذي تمتع بهذه النعمة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)، فلا هو حق الدولة ولا حق المجتمع ولا حق الفقير.



ثانيا: بناء الإيمان والشعور

•• لأن الإنسان ليس عقلاً، وليس مجرد آلة مبرمجة، فإن القناعة العقلية وحدها لا تهيمن على تصرفاته، بل ثمة نفس وشهوة وغرائز وأهواء وميول تجنح به، وليس من العجيب أن يرتكب المرء ما يعرف أنه يضره، وأنه ينصرف عما ينفعه، ومن هنا فإن الإسلام ليس مجرد تعاليم باردة، بل هي تمتزج بالإيمان القلبي والشعور الروحي، فتلك هي المحركات الحقيقية لحركة الناس. وخلال السنوات الماضية تعددت المؤلفات الاقتصادية الغربية التي تشير إلى هذا الأمر، وتقرر أن تصرف الإنسان في المال ليس محض حساب عقلي بل هو حصيلة تأثيرات نفسية كذلك، حتى لقد صدر أكثر من كتاب بنفس العنوان مثل «سيكولوجية المال».

ويبدأ بناء الإيمان والشعور لدى المسلم من إيمانه بالله واليوم الآخر، إذ يرى المسلم نفسه تحت انهمار الآيات والأحاديث التي تقلل من شأن الدنيا وتزهد فيها، وتعظم شأن الآخرة وتحرص عليها، وقد قال النبي إن أكثر الناس ذكاء وفطنة هم أكثرهم تذكراً للموت واستعدادًا له. وهذا الشعور إذا تمكن من قلب المسلم غيَّر له خريطة حياته واهتماماته، بل يقلبها رأساً على عقب. وما أوسع الفارق بين رجلين: أحدهما يحرص على الدنيا والآخر يحرص على الآخرة!



• إن إنفاق المال جهاد في سبيل الله، وهو ذروة سنام الإسلام، وقد قدَّم الله الجهاد بالمال في كتابه على الجهاد بالنفس، وقررت آيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ أن الإنفاق لا ينقص من المال بل يزيده بالنماء والبركة والمثوبة من الله ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٦١)، بل خاطب القرآن شعور المؤمن بالمعنى العظيم الهائل وهو أن الإنفاق إقراضٌ لله! ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (البقرة: ٢٤٥)، وأن الزكاة تطهير للمؤمن وتزكية لنفسه، وأن الامتناع عنها وكنز المال موجبٌ لعذاب الله في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤، ٣٥).

فما من مسلم يتعرض لآيات الله وأحاديث النبي ﷺ إلا وتسخو نفسه، ويصيبه طبع الكرم. ثم ما من مسلم يتعرض لآيات الله وأحاديث النبي ﷺ إلا ويمتنع عن سائر المظالم من الغش والربا والمقامرة والاحتكار والغرر والمخادعة، يمتنع عن ذلك مهما كان ممكناً وسهلاً وميسوراً، ومهما دعمته في هذا القوانين الوضعية أو البيئة الفاسدة. فإن زاد إيمانه وتمكن فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويمنع أن يحصل هذا

كله بقدر ما يستطيع! وهذه أمورٌ لا تنجح في تحقيقها القوانين مهما اشتدت، ولا الرقابة مهما تغولت، بل يفعلها الإيمان بالله والخوف من عقابه ورجاء ثوابه.

ثالثا: بناء النظام السياسي



•• أهم أركان النظام السياسي في الإسلام، وهو مقتضى شهادة أن «لا إله إلا الله»، أن المرجعية العليا في حياة المسلمين هي لله، وأن الله وحده هو صاحب الحق في السيادة، وهو المُشَرِّع، والسلطة في الإسلام تستمد شرعيتها من التزامها بهذا الدين، فإن خرجت عنه جاز الخروج عليها، ووجب الامتناع عن الخضوع لها بحسب الوسع والاستطاعة.

ومما يترتب عليه هذا في شأن المال، أن الله هو الذي حدَّد القدر المفروض الذي يؤخذ من مال المسلم، وبذلك غلَّ يد السلطة أن تأخذ من الناس ما فوق الزكاة المفروضة شرعاً، فلا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس. وقد جعل الإسلامُ فرض الضرائب من أكبر الكبائر التي تفوق في إثمها الزنا والربا، فإذا وقع استثناء أو ظرف طارئ فإن فرضها يكون على الأغنياء دون الفقراء ويكون مؤقتاً ومقدوراً بحسب الضرورة الطارئة. فإن انحرفت السلطة وطغت وفرضت على الناس الضرائب جاز للمسلم أن يقاومها، فإن لم يستطع جاز له أن يمتنع عنها ويتهرب منها. فهذا منكرٌ من أكبر المنكرات التي يجب تغييرها على قدر الوسع والطاقة.

وكذلك فإن من واجب المسلم أن يطلب بحقه في بيت مال المسلمين، وقد أجازت المذاهب الأربعة الظفر بالحق من بيت المال، أي أن المحتاج إذا لم يُعطَ حقه من المال -ظلماً من السلطان أو غفلةً منه- جاز له أن يأخذه بغير إذن السلطان، ولا عقوبة في ذلك.

وهذه التشريعات العظيمة -التي لا يتسع المقام لعرضها- لا يكاد يلتفت إليها أحدٌ في زماننا المعاصر لقلة من يتكلمون فيها، وذلك لشدة خطورتها على الأنظمة المعاصرة، مع أنها لو عُرِفت وبُثَّت ونُشِرت لتغيرت كثير من أحوال الناس وتصوراتهم، بل ولدخل كثير من الناس في الإسلام لما فيه من عظمة التشريعات.

•• وفي الإسلام لا تقف السلطة مانعاً من تنمية الموارد، بل لقد أطلق الإسلام يد الناس في النشاط الاقتصادي كإحياء الأرض البور، وقال النبي ﷺ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»، فمن استصلح أرضاً ملكَها، ومثل ذلك حفر الآبار والأنهار، وقصارى ما يجوز للسلطة أن تنظم هذا الأمر إذا كان ثمة تداخل بين مصلحة عامة ومصلحة خاصة، ورقابتها في هذا على الأغلب رقابة بعدية لا قبلية.



والسلطة في الإسلام لا تحتكر الأموال، بل هي ملزمة برعاية الأوقاف، والأوقاف هي أموالٌ يُخرجها المسلم من مِلكِه فيجعلها مِلْكًا لله، وقد ظلت الأوقاف تتمتع بما يشبه القداسة طوال عصور التاريخ الإسلامي، حتى جاء العصر العلماني الغربي فأخذت الدولة تستولي على هذه الأوقاف وأموالها، في واحدة من أقسى وأخطر النكبات التي تعرضت لها الأمة في كل تاريخها.

رابعا: بناء النظام الاجتماعي

يحرص الإسلام على بناء مجتمع قوي متين متماسك، والمدينة الإسلامية منذ العصر النبوي وعبر التاريخ الإسلامي هي أشبه بالأحياء التي تسكنها عائلات وعشائر وأرحام، فالحي الواحد في العادة هو عائلة واحدة وعشيرة واحدة، فيجتمع في المكان الواحد صلة الرحم وصلة الجوار.

ثم قرر الإسلام حقوقاً عظيمة للجار، فجعل من نواقص الإيمان أن يبيت الرجل شبعاناً وجاره إلى جواره جائع، وأوصى النبي ﷺ إذا طبخ المسلم طعاماً أن يُكثر مرقه ليوزّعه على الجار، وظنَّ النبي ﷺ من كثرة التوصية بالجار أن سيكون له نصيب في الميراث مثل ما للأرحام!

•• والمسجد في الإسلام هو مركز المدينة، وهو الذي يجمع الناس فيها خمس مرات في اليوم والليلة، فهو أقوى وسيلة تعارف واستطلاع الناس لأحوالهم، ومعرفة مَن حضر ومن غاب، وماذا نزل بفلان وماذا جرى لعلان، وقد اعتاد المسلمون منذ كانوا أن من كان معه مال حضر به إلى المسجد، ومن نزلت به فاقة حضر أيضاً إلى المسجد!

وقرر الإسلام أن تنفق الزكاة في الأقربين، ثم في المدينة نفسها، فإن اكتفى أهلها حُمِل ما فاض منها إلى غيرها من المناطق، وأخبر النبي ﷺ أن خير الصدقة صدقةٌ ينفقها الرجل في أهله وأرحامه.

ومن بدائع العظمة في التشريع الإسلامي ما يعرف بحق الشفة، وهو أن المسلم لا يجوز له منع المحتاج المضطر من المأكل والمشرب، فإذا امتنع هذا جاز للمحتاج المضطر أن يقاتله انتزاعاً لهذا الحق منه! وهذا أمر خطير فاصلٌ في التصور الإسلامي للحقوق والواجبات، وفي طبيعة الاجتماع الإسلامي للعلاقات بين الناس. ولك أن تتصور غنياً امتنع عن إعطاء المحتاج المضطر شيئاً يقيم به صلبه أو يبلغه مأمنه، فقام هذا الأخير فقاتله وقتله.. إن سائر القوانين الوضعية تدين هذا المحتاج المضطر، وسائر المجتمعات تنظر إلى الغني المقتول بعطف وشفقة وتراه لم يفعل إلا أن تصرف تصرفاً طبيعياً في أملاكه. بينما شريعة الإسلام والمجتمع الإسلامي ينظر للقاتل على أنه بطل، وللمقتول على أنه مدان مستحق للقتل!

ختاماً: هذه شذرات سريعة خاطفة من أمور مؤثرة في علاج مشكلة الفقر، يجب أن توضع جنباً إلى جنب مع النظام الاقتصادي الإسلامي العظيم والحافل بالوسائل، وكثيرٌ من هذه الأمور لا تأخذ حقها من العناية والشرح والنشر، إذ إن بعضها يمثل مقاومة جذرية للنظام الاقتصادي القائم، وهنا تجدر الإشارة إلى التراث العظيم الذي تركه علماؤنا السابقون، الذين كتبوا عن الإسلام ونظامه في ظل الصعود الشيوعي، إذ قاموا لدفع هذا الخطر فكتبوا كثيراً عن نظام الإسلام الاقتصادي، وكثيرٌ مما كتبوه لا يكاد يُعرف الآن لأن غلبة النظام الرأسمالي علينا تجعل كثيرين لا يلتفتون إليه، أو يخشون من الاقتراب منه.

سيرى القارئ في هذا العدد كثيراً من المعاني التي ينبغي ألا تقف عنده، بل عليه أن يسعى في نشرها لغيره وتعريف الناس بها وخدمتها بما استطاع من وسائل أخرى كالترجمة إلى لغات أخرى، وتحويلها إلى مقاطع مرئية ومسموعة، وغير ذلك مما يفتح الله به عليه.



الإعجاز الإسلامي للتخلص من الفقر



الشيخ سامي الساعدي

عضو الأمانة العامة بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

خلق الله هذا الإنسان للابتلاء والاختبار، تعتوره السراء والضراء، وتتعاقب عليه الشدة والرخاء تعاقبَ الليل والنهار، كما قال عز وجل: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٥] فيتوالى على الإنسان السَّعةُ والضيق، والسرور والحزن، والغنى والفقر، والقوة والضعف. والفقر لون من ألوان الشدائد التي يبتلي الله بها عباده، ليستخرج منهم عبودية الصبر، والرضا.

•• هل الفقر فضيلة يؤمر المسلم أن يسعى لاكتسابها؟ أم أنه شر يحسُن به أن يفر منه؟

إن الناظر في نصوص الوحيين بعين التحقيق، يتبين له أن الفقر ليس بفضيلة في ذاته، ولا الغِنَى كذلك، وإنما يكون الفقر فضيلةً باعتبار ما يؤدي إليه من صبر ورضا، كما هو حال أهل القناعة واليقين، وقد يكون رذيلة إذا ابتُلي به أربابُ الظلم والعدوان، أو ضعفاء القلوب والإيمان، فيحملهم على اللصوصية وانتهاك الحرمات، أو يحرك فيهم مشاعر التسخط على الأقدار.

وكيف يكون فضيلة في ذاته وقد تعوَّذَ النبي ﷺ منه في أكثر من حديث؟



فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة»[١]. وكان من دعائه ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر لا اله إلا أنت»[٢]. وكذلك صح عنه ﷺ أنه تعوَّذَ من شر فتنة الغِنى وشر فتنة الفقر.

«فتنة الغنى: الحرص على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حِله ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد به الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها، وليس فيه ما يدل على تفضيل الفقر على الغنى ولا عكسه»[٣].

هل يشرع للإنسان أن يتعمد إفقار نفسه؟

ولا يُشرَع للمسلم أن يتعمد إفقار نفسه، ولكن إن ابتُلي بالفقر.. فالواجب في حقه هو الصبر وعدم طلب المال من غير حِلّه، إذِ الفقرُ نوع من أنواع المشقة، والمشقة لا يُشرع للمسلم أن يتعمد جلبها إلى نفسه،

---

١. رواه أحمد وأبو داود والنسائي.
٢. أحمد وأبو داود.
٣. تحفة الأحوذي.

لأن ذلك يضاد مقصود الشارع الحكيم عز وجل من التيسير ورفع الحرج عن عباده.

قال الإمام الشاطبي: «المشقة ليس للمكلف أن يقصدها في التكليف نظراً إلى عظم أجرها، وله أن يقصد العمل الذي يعظُم أجره لِعظَم مشقته من حيث هو عمل»[٤]. وقال ابن الجوزي في ذكر تلبيس إبليس على بعض الزُّهّاد:



«ومِن تلبيسه عليهم أنه يوهمهم أن الزُّهد ترك المباحات؛ فمنهم مَن لا يزيد على خبز الشعير، ومنهم مَن لا يذوق الفاكهة، ومنهم مَن يقلل المطعم حتى ييبس بدنه... وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم، وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويُستعذَبُ له الماء البارد... وقد كان رجل يقول أنا لا آكل الخبيص لأني لا أقوم بشكره، فقال الحسن البصري: «هذا رجل أحمق! وهل يقوم بشكر الماء البارد؟!»... وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مَطِيَّته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشِبَع والإفراط في تناول الشهوات فان ذلك يؤذي البدن والدين»[٥].

المبالغة في الإنفاق في وجوه الخير

فإنْ قصَد المسلم إنفاقَ ماله في وجوه الخير حتى أصبح فقيرًا.. ففي حُكم تصرُّفه هذا تفصيل مبني على تفاوت درجات المسلمين واختلاف مقامات المؤمنين، من حيث الصبرُ والتوكل واليقين والاستغناء عما في أيدي الناس؛ وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة : ٢١٩] أي: «الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم»[٦].

---

٤. الموافقات، ٢/٢٢٢.

٥. تلبيس إبليس، ١٣٦.

٦. تفسير الجلالين.

ولما أراد كعب بن مالك رضي الله عنه أن يتصدق بماله كله قال له النبي ﷺ: «أمسِكْ عليك بعضَ مالك، فهو خير لك»[٧]. لكنه ﷺ قَبِل من أبي بكر رضي الله عنه تَصَدُّقَه بماله كله، ففي حديث عمر رضي الله عنه قال: وأتَى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟». قال: «أبقيت لهم الله ورسوله»[٨].

فعُلِم مِن هذا أن التصدق بالمال كله لا يُشرَع لكل أحد.

• **قال البخاري مبيناً هذا التفاوت:** «إلا أن يكون معروفاً بالصبر فيؤْثِرَ على نفسه، ولو كان به خصاصة كفعل أبي بكر رضي الله عنه حين تصدّق بماله، وكذلك آثرَ الأنصارُ المهاجرين... وقال كعب رضي الله عنه: قلتُ يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ، قال: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»[٩].

وأما ما ورد من نصوصٍ ظاهرُها تفضيل الفقر، فإنه يقابلها نصوص وردت في تفضيل المال والغِنى، فقد سمى الله عز وجل المالَ «خيراً» وذلك في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة : ١٨٠] أي: إن ترَك مالًا.

وقال النبي ﷺ لعمرو بن العاص رضي الله عنه: «يا عمرو، نِعِمّا بالمال الصالح للرجل الصالح»[١٠].

وأما النصوص التي ظاهرها مدحُ الفقر فإنما نزلتْ لتكبَحَ جِماحَ الطبع المَيّال عادةً إلى الغِنى والتنعم. قال الإمام الغزالي: «من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبعُ فيه الطرَفَ الأقصى وكان فيه فساد، جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومئ عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان، والعالِم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يَمدح غاية الجوع، حتى يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال»[١١].

---

٧. متفق عليه.
٨. رواه أبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.
٩. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غِنى.
١٠. رواه أحمد.
١١. إحياء علوم الدين، ٣/٩٦.

• • وقد تبيّن من توجيهات الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه أن الخوف من الفقر ليس عيباً ولا منقصة، ما دام أنه لم يحمل الإنسانَ على البخل بمنع ما أوجب الله عليه، فالشيطان إنما يخوف المؤمنينَ الفقرَ من أجل أن يبخلوا، فإذا عاندوه وجادت نفوسهم بالإنفاق فقد فازوا ولو كانوا يخافون الفقر، لأنهم جاهدوا أنفسهم وجازوا الاختبار بنجاح.



يدل لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تصدّق وأنت صحيح حريص، تأمل الغِنى وتخشى الفقر، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[١٢].

فالصدقة من الإنسان الصحيح الراغب في الغنى الخائف من الفقر.. هي أفضل الصدقات.

المعالجات الشرعية لمشكلة الفقر

أولًا: الحث على كسب المال مع تحريم السؤال:

إن الفقر إن كان سيحمل الإنسان على أن يُريق ماء وجهه بسؤال الناس، فإنه يصير وبالاً عليه. وقد وجّه النبي ﷺ أمته نحو الكسب والعمل بدلًا من إراقة ماء الوجه بالسؤال، كما مدح الله تعالى في كتابه المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً. فقال عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة : ٢٧٣]

روى البخاري بإسناده عن المقدام بن مَعْدِيكَرِبَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل مِن عملِ يده، وإنّ نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»[١٣].

---

١٢. متفق عليه.
١٣. ورواه ابن ماجه في كتاب التجارات من سننه، وبوّب عليه: باب الحثّ على المكاسب.



• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منَعه»[١٤].

وقد حرَّم الله تعالى ورسولُه ﷺ مسألة الناس (طلب المال منهم إلا من ضرورة لا بد منها)، فقال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله، وليس في وجهه مُزْعةُ لَحْمٍ»[١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس تَكَثُّراً فإنما يسأل جمراً، فلْيَستقِلَّ أو ليستكثِرْ»[١٦].

وحتى الزكاة التي جعل الله فيها حقًّا معلوماً للفقراء، إنما يستحقونها بشرط العجز عن الكسبِ والعملِ عند طائفة من أهل العلم، استدلالًا بقول النبي ﷺ: «لا تَحِلُّ الصدقةُ لغنيّ، ولا لِذي مِرّةٍ سَوِيّ»[١٧].

ويزداد حالُهم قبحاً إذا مدوا أيديهم طلبًا لمال الزكاة فيجتمع السؤال المحرَّم وأخذُ ما ليس من حقهم، قال الترمذي بعد روايته لهذا الحديث: «وإذا كان الرجل قويّاً محتاجاً ولم يكن عنده شيء فتُصُدِّقَ عليه، أجزأ عن المتصدق عند أهل العلم، ووجْهُ هذا الحديثِ عند بعض أهل العلم على المسألة»[١٨].

وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رَجُلانِ أنهما أتيا النبي ﷺ في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة، فسألاه منها، فرفع فينا البصر وخفضه، فرآنا جَلْدَيْنِ، فقال : «إن شئتما أعطيتكما، ولا حظَّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب»[١٩].

١٤.متفق عليه.
١٥. متفق عليه. والمُزعة: قطعة اللحم اليسيرة.
١٦. رواه مسلم.
١٧. رواه أحمد وأصحاب السنن. والمِرّة: القوة.
١٨. جامع الترمذي، أبواب الزكاة، باب ما جاء مَن لا تحِلّ له الصدقة.
١٩. رواه أبو داود والنسائي. الجلْد والجَلِد: القوي.

وهذا التوجيه إلى العمل والتنفير من البطالة والاتكالِ على أُعْطِيات الناس، هو أحد الحلول التي شرعها الله تعالى لعباده من أجل علاج مشكلة الفقر. فلم يكتفِ في هذا الحل بإشباع البطون دون المحافظة على عزة النفس، بل جمع بينهما في تشريعات تشكّل إحدى الدلالات على أن هذا الدين تنزيل من حكيم خبير.

ثانيًا: فريضة الزكاة:

• والتي هي الركن الثالث من أركان الإسلام بعد الشهادتين والصلاة، والتي بيَّن الله تعالى مصارفها وجعل الفقراء أوّلَ هذه المصارف. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٠]



وقد أجمع العلماء على أنه من حق السلطة الشرعية أن تأخذ زكاة الأموال الظاهرة -من الأنعام والزروع- قهراً ممن امتنع من أدائها، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة : ١٠٣]

قال ابن عبد البر: «إجماعُهم على أنَّ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ ينوب فيها منابَه ﷺ ويقومُ فيها مقامه الخلفاءُ والأمراءُ بعده»[٢٠].

وقال ابن بطال: «أجمع العلماءُ على أنَّ مانعَ الزَّكاة تؤخَذُ من ماله قهْراً»[٢١].

بل إنه يعاقَب -في قول بعض أهل العلم وهم الحنابلة- بمصادرة نصف أمواله،

٢٠. الاستذكار ٢/٤٠٦.
٢١. شرح صحيح البخاري ٣/٣٩١.

إضافة إلى الزكاة، عملًا بقول النبي ﷺ: «ومَن منَعها فإنَّا آخِذوها، وشَطرَ ماله عزْمةً من عَزماتِ ربِّنا، لا يحلُّ لآلِ محمَّدٍ منها شيء»[٢٢].

• كل هذه الأحكام والإجراءات الحازمة العازمة الصارمة من أجل حفظ حق الفقراء في أموال الأغنياء.

قال الشيخ يوسف القرضاوي رحمه الله: «ولقد كان من روائع الإسلام، بل من معجزاته الدالة على أنه دين الله حقًا، أنه سبق الزمن وتخطى القرون، فعنَى منذ أربعة عشر قرنًا مضت بعلاج مشكلة الفقر والحاجة، ووضع الفقراء والمحتاجين، دون أن يقوموا بثورة، أو يطالبوا أو يطالب لهم أحد بحياة إنسانية كريمة... ولم تكن عناية الإسلام بهذا الأمر سطحية ولا عارضة، فقد جعلها من خاصة أسسه، وصلب أصوله، وذلك حين فرض للفقراء وذوي الحاجة حقًّا ثابتًا في أموال الأغنياء، يَكْفُر مَن جَحَدَه، ويفَسَّق من تَهرَّب منه، ويُؤخذ بالقوة ممن منعه، وتُعلَن الحرب من أجل استيفائه ممن أبَى وتمرد. كان ذلك الحق هو الزكاة، الفريضة الإسلامية العظيمة التي اهتم بها القرآن والسنة، وجعلاها ثالثة دعائم الإسلام»[٢٣].



ثالثًا: الوقف

ومعناه أن يحبس المالك شيئاً من ممتلكاته، فيُخرِجها عن ملكه ويجعل نفعها في وجه من وجوه الخير، وهو معنى من معاني الصدقة الجارية الوارد ذكرها في حديث النبي ﷺ، والتي لا ينقطع ثوابها بموت صاحبها.

والوقف من خصائص هذه الأمة، إذ لم يُعرف عن أهل الجاهلية قبل الإسلام، إما مطلقاً، وإما في العقار على ما ذكره الشافعي والحافظ ابن حجر، وغيرهم[٢٤].

---

٢٢. رواه أحمد وأبو داود والنسائي، والعزمة: الجِد في الأمر، والأمر الواجب. وانظر الخلاف في ذلك في: المغنِي، لابن قدامة ٤٢٨/٢.
٢٣. من مقدمة كتابه: فقه الزكاة.
٢٤. انظر: الأم ٥٤/٤، وفتح الباري ٤٠٣/٥.

وبالوقف تمكنت الحضارة الإسلامية من الرسوخ والدوام، وما تضعضعت مع ضعف السلطة السياسية أو انحرافها في بعض مراحلها، إذ كان الوقف يسد الفراغات، ويوفر التسهيلات، ويقدم الخدمات. ولم يقتصر الوقف على سد جوعة مسكين أو إنقاذ حياة مريض ونحو ذلك من أنواع الضرورات والحاجيات -وإن كان ذلك من أولى المهمات التي عالجها- بل نراه امتد إلى التحسينيات وأنواع الكماليات والجماليات، فنجد في تاريخنا وقْفَ مؤنِس المريض، ووقْفَ المسافرين، ووقف الأواني «المكسورة»؛ لجبر خاطر الخدم الذين تنكسر أواني أسيادهم بأيديهم فيخشَون التقريع أو العقوبة، ووقف إعارة الحلي للفقيرات اللاتي يرغبن في حضور الأعراس ويعز عليهن الحضور عُطَّلاً (بلا حُلي)، وغيرَها من الأوقاف المتنوعة.



ولا نعني بتوفير الكماليات والتحسينيات أن يتحول المجتمع كله إلى أغنياء، إذ تفاوُت الأرزاق وانقسام الناس إلى أغنياء وفقراء حكمة بالغة ومصلحة ظاهرة، تُحَقِّقُ ارتفاقَ الناس بعضهم ببعض، وتكامُلَهم في سد حاجاتهم، وتحقيق مصالحهم، على ما بيّنه ربنا تعالى في قوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف : ٣٢] بناء على رأي جمهور المفسرين أنها مأخوذة من السُّخْرة لا من السخرية. وإنما المقصود كسر سَور الفقر وتخفيف غلوائه، وعلاج آثاره المادية والنفسية والاجتماعية.

رابعاً: إيجاب النفقات على أهلها

فيجب على الرجل أن ينفق على زوجته، ومطلقته الحامل، وأبويه الفقيرين، وأبنائه القُصّر الفقراء، وبناته الفقيرات حتى يتزوجن، فالقرابة والزوجية سببان من أسباب وجوب النفقة، إذا قام كل مسلم بواجبه تجاهها ديانة أو ألزمه القضاء الإسلامي بذلك فكم من ثغور للفقر ستُسَد، وكم من أبواب للعوز ستوصد؟!

•• بل حمّل الإسلام الأغنياء تبعة موت الفقراء من الجوع، قال ابن حزم: «ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة، أو لحم خنزير وهو يجد طعاماً فيه فضلٌ عن صاحبه، لمسلم أو لذمي؛ لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعامُ الجائع، فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير... وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتِلِه القَوَد، وإن قُتل المانعُ فإلى لعنة الله؛ لأنه منع حقاً، وهو طائفة باغية، قال تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ومانع الحق باغٍ على أخيه الذي له الحق؛ وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانع الزكاة»[25].

وبنحو قول ابن حزم -في عدم جواز أكل الميتة للمضطر إذا وجد طعامًا مملوكًا للغير زائدًا عن حاجة المالك وفي جواز مقاتلته لافتكاك القوت منه- قال جمهور الفقهاء، إلا أن بعضهم قال: يقدم طعام الغير على الميتة ندبًا لا وجوبًا[26].

خامسًا: الهبات



رغّبت الشريعة الإسلامية في تبادل الهدايا ومنح الهبات لما لها من سد خلة محتاج، أو جبر خاطر جريح، أو ترميم تواصل تهدّم. فقد عقد البخاري في صحيحه كتاباً سماه: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها. روى فيه أحاديث منها: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويُثيبُ عليها».

وحديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة، أعلاهنّ منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة»[27].

---

٢٥. المُحلَّى، ٤/٢٨٤.

٢٦. انظر على سبيل المثال: الشرح الكبير على مختصر خليل ٢/١١٢-١١٦.

٢٧. منيحة العنز: أن يعطي الإنسان لآخر عنزاً مدة من الزمن ينتفع بشعرها ولبنها.

وغيرهما من الأحاديث المرغبة في الهدايا والهبات أو المبينة لأحكامها، والتي بلغت نحواً من مائة حديث، هذا فضلًا عن باقي دوواين السُّنة.

•• ولهذه الأحاديث وغيرها اتفق العلماء على أن الهبة مستحبة من حيث الأصل، ولما فيها من التعاون والتوادد[٢٨].

سادسًا: الترغيب في الوصايا لوجوه الخير:

فقد رغب الإسلام في أن يوصي المسلم بشيء من ماله لغير الورثة، بما لا يزيد عن ثلث ما يملك، للفقراء أو غيرهم أو مشاريع الخير التي يعود نفعها على عموم المسلمين، بل تجوز الوصية لغير المسلم أيضاً بشروط فيها تفصيل واجتهادات لأهل العلم، ككونه غير حربي، معيّناً، فيه سبب للوصية كقرابة أو جوار أو سابقة معروف.

سابعاً: الترغيب في كفالة الأيتام

والنصوص في هذا من الكتاب والسنة كثيرة جدًا ففي القرآن من ذلك ما يزيد عن عشرين موضعًا. وفي السنة أحاديث تستعصي على الحصر، يكفينا منها قوله سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّجَ بينهما[٢٩].

قال ابن بطال: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك»[٣٠].

وبهذه الوسائل يتضح تعويل التشريع الإسلامي على الجانب الإيماني والجانب القانوني (كما في أهل الزكاة بالقوة مِن مانعها، وكإلزام القاضي النفقة من وجبت عليه) على حد سواء، فيتبين اعتماد الوازع القرآني مع الوازع السلطاني، بخلاف النظم الوضعية. وهذا غيض من فيض الوحي، وقطرة من بحر الإسلام، وإلا فالموضوع واسع متشعب، نكتفي منه بما ذُكِر. وبالله تعالى التأييد.

---

٢٨. انظر: مدونة الفقه المالكي وأدلته، لمفتي الديار الليبية الشيخ الصادق الغرياني.
٢٩. رواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه، باب: فضل من يعول يتيماً.
٣٠. فتح الباري، ١٠/٤٣٦.



الدعوة الرقمية في محاربة الفقر

الثورة السورية أنموذجاً



د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

«لا تُكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم».

هكذا نقلت لنا المرويات عن أرسطو، بينما نقلها بعضهم الآخر عن أفلاطون، وروى بعضهم قريباً من ذلك عن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكنه لم يصح على ما يبدو، وما نقل عنه كان: «لا تؤدبوا أولادكم بأخلاقكم، لأنهم خُلقوا لزمان غير زمانكم».

•• لكن بالتأكيد لو صح ذلك لكان المقصود ليس تأديبهم بأخلاق غير أخلاقكم، وإنما بعادات وأدوات وسبل وطرق عيش وحياة لا كطرق حياتكم، فالأخلاق الراسخة الثابتة في النفوس كالأخلاق الكريمة لا تتغير ولا تتبدل، وإنما تُورَّث.

أما الطرق والوسائل الموصلة والمعززة لخدمة الأمة والرعية فهي التي تتغير، ونرى انعكاس ذلك في زماننا بقدرة الجيل الراهن على التعامل والتعاطي مع تطورات العلم الرقمية، فيحسن توظيفها لخدمة الإنسان، وخدمة دينه ودعوته، وقد تجلّى ذلك بوضوح أكثر في مجال الثورة السورية، التي هي مجال مقالنا، إن كان من حيث الترويج لها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أو من حيث الحشد والتعبئة، وجمع التبرعات التي أفلحت في التخفيف عن المتضررين والفقراء والمحتاجين، فجبرت خاطرهم، وكسرت بذلك الحصار الاقتصادي المضروب عليها، كما هو مضروب على الأمة عامةً، خصوصاً بعد العقوبات والتضييقات الاقتصادية المفروضة بحجة محاربة ما يوصف بالإرهاب، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١.

فكان للشباب أصحاب الدعوة والهمة العالية دورٌ مهمٌ ولافتٌ في محاربة الفقر، ومعالجة ذيوله، يجدر أن نطّلع عليها، ونخوض في تفاصيلها، لعلها تكون مثالاً يُحتذَى لأصحاب الهمم العالية من الشباب في بقاع أخرى من العالم، الذين عوّل عليهم النبي عليه الصلاة والسلام، وركز عليهم طوال حياته، فكان نصيب الشباب من قيادة الجيوش والبلدان الكثير، ولا أوضح من تعيين أسامة بن زيد ذي السبعة عشر عاماً على جيش من جنوده كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم جميعاً.

التبرعات عبر المنصات الرقمية

نجح عدد من الشباب -دون ذكر أسمائهم وهوياتهم دفعاً للحرج الذي قد يتعرضون إليه- في استخدام منصات التواصل الاجتماعي، إن كان عبر منصة (تويتر) أو من خلال منصة الـ(تيك توك)، وغيرهما في استحداث اقتصاد رقمي صغير، شبيه بما عُرف باقتصاد الـ(مايكرو)، وهو العمل على مجموعات فقيرة صغيرة، فكان أكثر ما اشتهرت به دولة مثل بنغلاديش نتيجة الجهود التي قام بها العالم محمد يونس في التركيز على دعم مجموعات فقيرة صغيرة، وتأسيس ما عرف باقتصاد المايكرو، وباعتراف الأمم المتحدة



فقد أفلحت تلك السياسة في التخفيف بشكل كبير عن الفقراء هناك، ونال بذلك محمد يونس شهادة نوبل للسلام.

•• وعلى نفس المنوال سعى بعض الشباب المسلم في الشام، حيث استخدموا منصات تواصلهم الاجتماعي كطريقة للترويج لقصص محزنة وفقيرة للعائلات السورية المنتشرة في أكثر من ألف مخيم على امتداد الشمال المحرر، الذي يضم ملايين المشردين، ويبلغ عددهم بمن فيهم المقيمين في دول الجوار ١٤ مليون مشرد، لكن صور النجاح في التخفيف عن الفقراء والمحتاجين، دفعت وحفّزت غيرهم للاقتداء بهم، فزرعت الأمل لدى عائلات فقيرة أخرى في التحدث عن مشاكلها وما تعانيه، بعد أن رأت نتيجة التحدث عن مشاكلها.

فهذه قصة تروي حاجة مريض كلى، يهرع الشباب الدعاة إلى الخيمة فيوثقون الحالة صوتاً وصورة، ويبدؤون بجمع التبرعات لها، وخلال دقائق معدودة نرى القضية قد أغلقت، وأن المبلغ قد جُمع ووصل إلى صاحبه، ليسارع الداعية الذي جمع المال لتوثيق الحالة بعد نجاح العملية، وهو ما يزيد الثقة به، وبطريقة جمعه، وهو الحريص كذلك على الترويج للحالة من خلال دفع بعض الحسابات المهمة والموثوقة لدى العامة، إن كانوا من الدعاة الكبار، والشخصيات العامة لإعادة التغريد لتغريدته، وهو ما يُكسبه مصداقية، ويكسبه قبولاً لدى الجمهور، على أساس أن إعادة التغريدة من مشايخ وعلماء ودعاة كبار تزكية له ولعمله.

لم يقتصر عمل هؤلاء على حالة واحدة، وإنما توزعت اهتماماتهم، بحسب الحالة الضاغطة في المخيمات، فمع حلول فصل الشتاء رأينا كيف هبّ هؤلاء الشباب الدعاة إلى الترويج بشكل حديث يتناسب مع أدوات الدعوة الحديثة من (تويتر وتيك توك وفيس بوك)، فلكل منصة مشاهدون ومتابعون، ولكل متابعين من هذه المنصات سايكولوجية خاصة بها، ففي التويتر لا يمكن أن تكون التغريدة أكثر من ٢٤٠ حرفاً مع ٢:٢٠

دقيقة فقط، وهو ما يختلف عن سايكولوجية متابعي الفيس بوك، والتيك توك، والتلغرام، وهو أمر أتقنه هؤلاء الشباب الدعاة، فخاطبوا كل منصة بحسب سايكولوجية مشاهديها ومتابعيها.

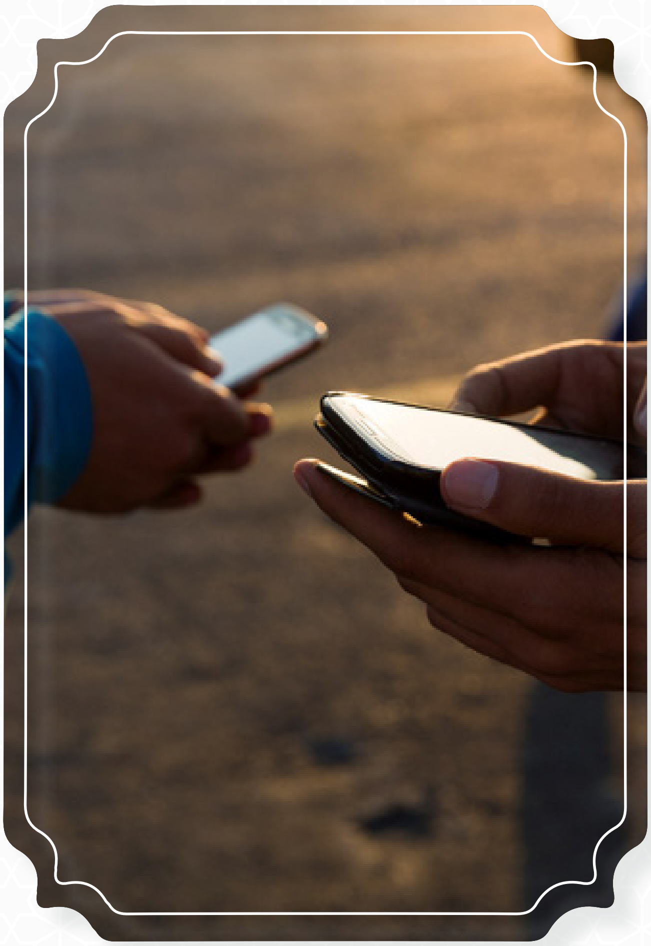
•• في فصل الشتاء رأينا جمعهم أموالاً لتدفئة عشرات وربما مئات العائلات التي تجمّد أبناؤها وبناتها في شتاء الشمال السوري المحرر القارص، وبالفعل استطاعت هذه المجموعات الشبابية الدعوية، في غضون فترة قصيرة أن تجمع تبرعات معقولة، ووثقوا كل ما اشتروه صوتاً وصورة، وتوزيعاً على العائلات المتضررة والمحتاجة، فزادت بذلك قناعة المتبرِّع بهم، لا سيما حين رأوا ما جرى لتبرعات (أبو فلّة) وذهاب حوالي نصفها كمصروفات إدارية، أعلنت عنها المفوضية العامة للاجئين رسمياً.



مما جعل كثيرًا من المتبرعين يعيدون النظر في دفع أموالهم إلى المنظمات الدولية، بعد أن تيقنوا أن كثيراً من التبرعات المرسلة إليها، إنما تذهب إلى النفقات الإدارية، وهو ما حفّز وشجع المتبرعين أكثر فأكثر للتبرع بشكل أقرب ما يكون إلى الفردي المستند للمعرفة المباشرة، ما دامت النفقات الإدارية هنا قريبة إلى الصفر، حيث يتبرع الشباب بوقتهم وجهدهم وحتى بمواصلاتهم من أجل إيصال المبلغ كاملاً، وقد رأيت بعض هؤلاء وشاهدتهم بنفسي، حيث يحرصون على أن تكون نفقات التحرك والإدارة من جيوبهم، أو جيوب من يعرفونهم، أما التبرعات القادمة إليهم فتصل كاملة إلى مقاصدها دون أية نفقات إدارية.

تبرعات ما بعد الإعلام الجديد

نجحت بعض البلدات والقرى في مناطق الثورة السورية أن تجمع التبرعات فيما عرف بوسائط ما بعد الإعلام الجديد، وهي مجموعات الـ(واتس أب)، حيث أُضيف ممثلو العائلات في القرى والبلدات



المعنية إلى مجموعة معينة، ولهدف محدد، وليكن مثلاً جمع التبرعات خدمة للمفصل التعليمي في البلدة، بعد توقف الرواتب عن المعلمين في الشمال السوري المحرر، وذلك قبل أن يستأنف بدعم قيادة المحرر للمفصل التعليمي. فتسابقت العائلات من خلال ممثليها ووجهائها في المجموعة، ونجحوا في جمع ما طُلب منهم، تغطية لنفقات مدارس البلدة وعلى مدار عام كامل.

•• كل ذلك حصل بجهود شبابية دعوية على المنصات الرقمية، وبتشجيع ودعم من شيوخ ودعاة حرّضوا أبناء البلدة على ذلك، مع تبيان فوائده الدنيوية والأخروية، وقد تكرر الأمر في دعم مفاصل أخرى إن كان في توفير المياه والكهرباء، أو في حالات الإغاثة الطارئة، مما شكل أسلوباً جديداً في محاربة الفقر بكافة أشكاله وأصنافه، الفقر التعليمي، أو الفقر في الخدمات، وفوق هذا كله، شدّ من عصب الأخوّة والمحبة بين أبناء البلدة الواحدة.

الدعوة عبر الضغط الرقمي

مع استمرارية معاناة السوريين في الداخل والخارج شكلت المنصات الرقمية متنفساً مهماً للتعبير عن أنفسهم، وإيصال رسائلهم، ففي كثير من الحالات التي تعرض لها ناشطون بالإبعاد من تركيا كان الشباب يرسلون رسائلهم عبر هاشتاغات مناشدة للحكومة التركية، وغالباً ما كان النجاح حليف مثل هذه الدعوات، وقد انعكس هذا على التغريد لصالح فتح معابر لصالح حالات مرضية خاصة، وقصص معاناة محددة، وهو ما عزز ثقة هؤلاء الشباب الدعاة في أنفسهم، وفي قدرتهم على إيصال صوتهم للخارج.

•• وقصص النجاحات المتعددة والكثيرة التي حصلت خلال السنوات الماضية أكثر من أن تحصى، والتي استطاع من خلالها هؤلاء الشباب التخفيف عن أهلهم، وبأبعاد الفقر المتعددة التي يعانيها المرء في مثل هذه الحالات.

المنصات الرقمية تكسر الحصار الاقتصادي

أفلحت المنصات الرقمية بشكل ما في كسر الحصار الاقتصادي الذي فُرض على العمل الإسلامي عامةً، والعمل الإغاثي خاصةً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، إذ لم تعُد القوانين الدولية القديمة سداً منيعاً في حركة التبرعات، على الرغم من استمرار وجود عراقيل وعقبات كثيرة حتى الآن.

ولكن استطاعت مواقع التواصل الاجتماعي بقدرتها على التواصل الكبير بين الأفراد والجماعات أن تكسر هذه الحالة، بحيث تمكن مَن في الشرق أن يدفع تبرعات وأموال عمّن في الغرب، ليستعيد من دفع المبلغ في وقت لاحق، أو يأخذه في مكان آخر يحتاجه، نظراً لتكاثر الهجرات في الآونة الأخيرة، ما دام قصد الجميع هو نيل الأجر والتخفيف عن الفقراء والمساكين والمهاجرين.



ومثل هذه الوسائل والأدوات، والتجارب يمكن أن تُطوَّر وتُنمّى وتُعمَّم، مما يساعد في التخفيف عن الفقراء والمحتاجين أولاً، ويسهم كذلك في كسر حصار اقتصادي، بالإضافة إلى تعلم البعض من الآخرين، لإثراء التجربة عامةً لتتحول إلى ظاهرة حقيقية في المناطق المنكوبة، وما أكثرها!

أسرار الصدقة





د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الصّدقة: عطيّة يراد بها المثوبة لا التّكرمة؛ لأنّ بها يظهر الصّدق في العبوديّة، وهي أعمّ من الزّكاة، وقد تطلق عليها أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وقد أبدأ القرآن وأعاد في الحث عليها وبيان فضلها والتنويه بأهلها، فجعلها ربنا سبحانه وتعالى صفة للمتقين: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩] ووعد جل جلاله -وهو الذي لا يخلف الميعاد- بالخلف لمن أنفق فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] وأجزل العطاء للمتصدقين فقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗ﴾ [البقرة: ٢٤٥]

•• وفي السُّنة المطهرة جعل النبي ﷺ الصدقات باباً للنجاة من النار فقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وسبباً لتكفير السيئات فقال: «والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار». وسبيلاً لنيل رضوان الله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه».

بل هي من أقوى الأسباب لدخول الجنة، فعن عياض بن حمار المجاشعيّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته الحديث وفيه: «وأهل الجنّة ثلاثة، ذو سلطان مقسط متصدّق موفّق، ورجل رحيم رقيق القلب لكلّ ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفّف ذو عيال».

وكان عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في الإنفاق حتى جاءته القلوب ملبية، قال أنس رضي الله عنه: «ما سُئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر».



وقد أقسم ﷺ على أن الصدقة لا تُنقص المال فقال: «ثلاثة أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة...» الحديثَ. وقال الله تعالى: «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك».

ولما فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذه المعاني ضربوا أروع الأمثلة في التنافس على الخيرات والمسابقة إلى الطاعات، كالذي كان من أبي بكر وعمر وأبي طلحة الأنصاري وأبي الدحداح، رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد قال أهل العلم: في الصدقة عشر خصال محمودة، خمسة في الدنيا وخمسة في الآخرة، فأما التي في الدنيا فتطهير المال، وتطهير البدن، ودفع البلاء والأمراض كما في الحديث: «داووا مرضاكم بالصدقة». وإدخال السرور على المساكين، وحصول البركة في المال والسعة في الرزق كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩]



وأما التي في الآخرة: الصدقة تكون ظلاً لصاحبها من شدة الحر، وفيها خفة الحساب، وهي تثقل الميزان، وجواز على الصراط، وزيادة الدرجات في الجنة.

التحذير من الشح والتقتير

•• وفي مقابل ذلك تجد التنفير والتحذير في نصوص الشرع من الشح والتقتير؛ فنعلم من خلالها أن الممسك المقتر بغيض إلى الله بغيض إلى الناس، وهو متبع لخطوات الشيطان الذي ﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨] وفي كل يوم يدعو الملَك عليه: «اللهم أعط ممسكاً تلفاً».

وهو بعد ذلك لن يحمل هذا المال معه إلى قبره. «يقول العبد مالي مالي، وليس له من ماله إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

ومن عقل هذه النصوص حرص ألا يكون ممن قال الله عنهم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]

شروط الصدقة

هذا والصدقة لا تقع من الله عز وجل بموقع القبول حتى تستوفي شروطها الشرعية، ومن ذلك:

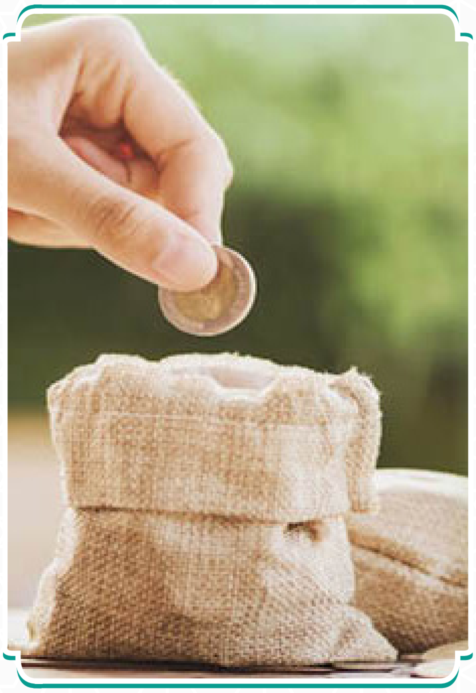
أولاً: أن يُبتغى بها وجه الله عز وجل؛ فإنه سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، فمن أنفق أو تصدق رياء أو طلباً لثناء الناس أو من أجل ذيوع صيته واشتهار أمره فليس له إلا ما نوى، وقد قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

ومما يعين على بلوغ الإخلاص أن تكون الصدقة خفية؛ قال الله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١]

•• وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وقال عليه الصلاة والسلام: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر»[١]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «صدقة السر في التطوع أفضل من صدقة العلانية بسبعين ضعفاً».

قال ابن العربي رحمه الله في (أحكام القرآن):

«والتحقيق فيه أن الحال في الصدقة يختلف بحال المعطِي لها والمعطَى إياها والناس الشاهدين لها؛ أما المعطي فله فائدة إظهار السُنة وثواب القدوة، وآفتها الرياء والمن والأذى. وأما المعطَى إياها فإن السر أسلم له من احتقار الناس له، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغِنى وترك التعفف. وأما حال الناس فالسر عنهم أفضل من العلانية لهم، من جهة أنهم ربما طعنوا على المعطي لها بالرياء، وعلى الآخذ لها بالاستغناء، ولهم فيها تحريك القلوب إلى الصدقة. لكن هذا اليوم قليل». اهـ



ويقول الخطيب: «إن كان المتصدق ممن يقتدَى به، وأظهرها ليقتدَى به من غير رياء ولا سمعة، فهو أفضل». اهـ

أما صدقة الفرض فلا خلاف أن إظهارها أفضل كصلاة الفرض وسائر الفرائض.

ثانياً: أن تكون من حلال طيب؛ فمن اكتسب مالاً من حرام فتصدق به أو بجزء منه فليس بمقبول، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا».

---

١. أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده حسن كما قال الهيثمي في المجمع.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ قال: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[٢].

ثالثاً: ألا يترتب عليها تضييع مَن تجب النفقة عليهم؛ بل تكون من القدر الزائد على الحاجة وسد الخلة التي لا بد منها، قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] قال أهل التفسير: «العفو نقيض الجَهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوُسع». وقد قال النبي ﷺ: «وابدأ بمن تعول».

رابعاً: أن تكون في الوقت المناسب، حين يكون حب المال غالباً على النفس والشح به هو المسيطر عليها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: نبّئني يا رسول الله عن مالي كيف أتصدّق فيه؟ قال: «نعم والله لتُنبّأنّ! أن تَصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخاف الفقر، ولا تمهل حتّى إذا بلغت نفسك هاهنا قلت مالي لفلان ومالي لفلان، وهو لهم وإن كرهت».



خامساً: أن تكون في الموارد التي يحبها الله عز وجل؛ فمن أنفق في حرام -كأولئك المنفقين على الحفلات الماجنة والأنشطة الخبيثة- فإنما نفقتُه وبال عليه، وقد قيل إن الصنيعة لا تُعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع.

• وهؤلاء الذين ينفقون المال كيفما اتفق ولا يبالون بالوجوه التي ينفقون فيها هم ممن قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: ٣٦]

أفضل الصدقة

وأفضل الصدقة ما كان للأرحام فقد قال النبي ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة».

---

٢. رواه الترمذي وابن ماجه.



وعن زينب الثّقفيّة امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: كنت في المسجد فرأيت النّبيّ ﷺ. فقال: «تصدّقن ولو من حليّكنّ». وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ أيجزي عنّي أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصّدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ. فانطلقت إلى النّبيّ ﷺ «فوجدتُ امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمرّ علينا بلال، فقلت: سل النّبيّ أيجزي عنّي أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا لا تخبر بنا. فدخل فسأله»، فقال: «من هما؟» قال: زينب. قال: «أيّ الزّيانب؟» قال: امرأة عبد الله. قال: «نعم، ولها أجران: أجر القرابة وأجر الصّدقة».

أنواع الصدقات في شريعة الإسلام

•• إنه لا يسبق إلى أذهان كثير من الناس حين يسمعون هذه اللفظة الشرعية (الصدقة) سوى صورة واحدة، وهي أن يأتي السائل المحتاج فيمد إليه الغني الموسر يده بعطاء من أوراق نقدية أو غذاء أو كساء، بينما الناظر في النصوص الشرعية يجد للصدقة أبواباً وأنواعاً منها:

أولاً: إصحاح البيئة وإنبات الزرع وتجميل الأرض؛ فعن جابر رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ دخل على أمّ مبشّر الأنصاريّة في نخل لها. فقال لها النّبيّ ﷺ: «من غرس هذا النّخل؟ أمسلم أم كافر؟» فقالت: بل مسلم. فقال: «لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان، ولا دابّة ولا شيء إلّا كانت له صدقة».

ثانياً: التكافل الاجتماعي المتمثل في النفقة على الأهل والعيال؛ فعن أبي مسعود البدريّ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «إنّ المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها، كانت له صدقة».

ثالثاً: أن يحرص القيم على المال -وإن لم يكن ماله- أن يدفعه لمستحقه غير مانٍّ ولا مؤذ بل يؤديه بطيب نفس ورحابة صدر، فعن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «الخازن المسلم الأمين الّذي ينفّذ- وربّما قال يعطي- ما أمر به كاملا موفّرا طيّبا به نفسه فيدفعه إلى الّذي أمر له به أحد المتصدّقين».

رابعاً: تفقد الجيران والأرحام وذوي القربى، ممن نزلت بهم حاجة ويمنعهم شرف النفس وعلو الهمة من أن يمدوا أيديهم أو أن يظهروا فاقتهم، فهم ممن قال الله فيهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين بهذا الطّوّاف الّذي يطوف على النّاس، فتردّه اللّقمة واللّقمتان والتّمرة والتّمرتان». قال: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الّذي لا يجد غِنى يغنيه، ولا يُفطَن له فيُتصدَّق عليه، ولا يسألُ النّاسَ شيئاً».

خامساً: الصدقة الجارية التي يدوم نفعها ويتصل أجرها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفَع به، أو ولد صالح يدعو له».

•• وقد حرص الجلال السيوطي رحمه الله تعالى على حصر وجوه تلك الصدقات من خلال تتبعها في نصوص الأحاديث فقال:

إذا مات ابن آدم ليس يجري •• عليه من فِعال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل •• وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر •• وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي •• إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم •• فخذها من أحاديث بحصر



سادساً: الوقف على وجوه البر وأبواب الخير، مما يكون سبباً في استغناء الناس ورفاهية المجتمع، بإيجاد مصدر تمويلي دائم لتحقيق مصالح خاصة ومنافع عامة، وهذا الذي حرص عليه الصحابة عليهم من الله الرضوان، حتى قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «لم يكن أحد من الصحابة له مقدرة إلا وَقَفَ»[٣]. وتلك -لعمري- مزيّة تفرد بها أهل الإسلام، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لم يحبس أهل الجاهلية -فيما علمته- داراً ولا أرضاً تبرُّراً بحبسها، وإنما حبس أهل الإسلام».

والوقف -كما يقول ابن قدامة المقدسي رحمه الله في المقنع-: «تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة».

وتعريفه هذا مقتبس من قول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى النبي ﷺ فقال: أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه، فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها». فتصدق عمر أنه لا يُباع أصلها ولا يوهَب ولا يورَّث، وإنما هي صدقة في الفقراء والقربى والرقاب وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، لا جناح على مَن وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متموِّل فيه».

وقد بلغ الحال بالمسلمين أنهم أوقفوا على أبواب تدل على سمو العاطفة الإنسانية في المجتمع الإسلامي، مما لم تعرف له المجتمعات الأخرى مثيلاً، حتى إن الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى ذكر من جملة ذلك لأوقاف التي كانت بطرابلس لبنان لتوظيف شخصين يمران كل يوم على المرضى في المستشفيات للتسرية عن المرضى، وقد يتعمد هذان الشخصان الحديث بصوت خافت فيما بينهما عن تحسن صحة المريض لمساعدته على البرْء إن كان مثل هذا الحديث مفيداً لحالته.

---

٣. ذكره المناوي في كتاب تيسير الوقوف.



سابعاً: الصدقة عن الميت: حيث دلت النصوص الشرعية على انتفاع الميت بصدقة الحي؛ ففي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن سعداً رضي الله عنه قال: يا رسول الله إن أمي افْتُلِتَت[٤] نفسها وإني أظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟

• قال عليه الصلاة والسلام: «نعم». وقد ذكر مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه عن ابن المبارك أنه قال: ليس في الصدقة خلاف.

قال النووي رحمه الله تعالى: «وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها».

وروى أحمد والنسائي عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أن أمه ماتت فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم». قلت: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء». قال الحسن: فتلك سقاية آل سعد بالمدينة.

ثامناً: السعي في نفع خلق الله عز وجل؛ ففي كل كَبِد رَطبة أجرٌ، كما أخبر رسول الله ﷺ، وإطعام الطعام محمود سواء كان لمسلم أم لغير مسلم، وقد قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]

ومعلوم أن الأسير لا يكون إلا غير مسلم، وكذلك السعي في تفريج الهموم وتنفيس الكروب وإدخال السرور على الناس؛ لكن مَن أدخل السرور على مسلم فهو أعظم أجراً ممن أدخله على غير مسلم، وكذلك لو احتاج إلى الطعام مسلم وغير مسلم فالمسلم أولى؛ لقوله ﷺ: «ولا يأكل طعامك إلا تقي». وقوله ﷺ: «أحب العمل إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، تطرد عنه جوعاً، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً».

---

٤. أي ماتت فلتة؛ أي: فجأة.

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «يحشَر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله عز وجل كساه الله، ومن أطعم لله عز وجل أطعمه الله، ومن سقى لله عز وجل سقاه الله، ومن عفا لله عز وجل أعفاه الله»[٥].



تاسعاً: طِيب النفس ببذل ما تحبه وتؤثره، فإن الله تعالى مدح ناساً فقال عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وقال تبارك وتعالَى عن آخرين: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال عن فريق ثالث: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]

وأخيراً: ما أجمل تلك الكلمات التي وصف بها ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى حال النبي ﷺ مع الصدقة حيث قال:

«كان ﷺ أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئاً أعطاه لله ولا يستقله، وكان لا يُسأل شيئاً عنده إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيراً، وكان عطاؤه عطاء مَن لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.

---

٥. رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه. وكان يتنوع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة يشتري الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعاً، كما فعل بجابر. وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه. ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطفاً وتنوعاً في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن.



وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيخرج ما عنده، ويأمر بالصدقة ويحض عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك نفسه عن السماحة والندى.

وكان هديه يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك[٦] كان أشرح الخلق صدرًا، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجيباً في شرح الصدر، فانضاف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حساً وإخراج حظ الشيطان منه».

٦. يُغيَّر إلى: ابن القيم، زاد المعاد، (٢/٢٦).

شريعة الزكاة في عهدها المكيّ

وآثارها على الفرد والمجتمع



د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي

شرعت الزكاة في الشريعة الإسلامية على مرحلتين: في مكة والمدينة، فالزكاة المقدّرة المعروفة بمصارفها الثمانية شرعت في المدينة، وكان قبلها زكاة في العهد المكيّ وكانت مطلقةً من القيود، والحدود، وكانت موكولةً إلى إيمان الأفراد، وأَرْيَحِيَّتِهِم، وشعورهم بواجب الأخوَّة نحو إخوانهم من المؤمنين، فقد يكفي في ذلك القليل من المال، وقد تقتضي الحاجة بذلَ الكثيرِ، أو الأكثر.



•• شرّع الله الزكاة المقدّرة في السَّنة الثانية للهجرة، الَّتي هي ركنٌ من أركان الإسلام، وكان ذلك بعد شهر رمضان؛ لأنَّ تشريع الزَّكاة العامَّة كان بعد زكاة الفطر، وزكاة الفطر كانت بعد فرض صيام رمضان قطعاً، يدلُّ على هذا ما رواه الأئمَّة: أحمد، وابن خزيمة، والنَّسائيُّ، وابن ماجه، والحاكم من حديث قَيْس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال: «أَمَرَنا رسول الله ﷺ بصدقة الفطر قبل أن تَنْزِل الزَّكاةُ، ثمَّ نزلت الزَّكاةُ، فلم يأمرنا، ولم ينهنا ونحن نفعله»، قال الحافظ ابن حجر: «إسناده صحيحٌ»، «وجمهور العلماء سلفاً، وخلفاً على أنَّ مشروعية الزَّكاة إنما كانت بالمدينة في السَّنة الثَّانية»[1].

فكانت الآيات المكِّيَّة تهتمُّ بجانب التَّربية، والتَّوجيه، وتحثُّ على رعاية الفقراء والمساكين بأساليب متنوعةٍ، منها: أنَّ إطعام المساكين من لوازم الإيمان، ففي سورة المدَّثر - وهي من أوائل ما نزل من القرآن - يعرض القرآن الكريم مشهداً من مشاهد الآخرة، مشهد أصحاب اليمين من المؤمنين، في جنَّاتهم يتساءلون عن المجرمين من الكفرة، وقد أُطبقت عليهم النِّيران، فيسألونهم عمَّا أحلَّ بهم هذا العذاب، فكان من أسبابه، وموجباته: إهمال حقِّ المسكين، وتركه لأنياب الجوع والعُري تنهشه، وهم عنه معرضون، قال تعالى:



﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٦].

وقصَّ الله على عباده قصَّة أصحاب الجنَّة، الَّذين تواعدوا أن يقطفوا ثمارها بِلَيْلٍ؛ ليحرموا منها المساكين - الَّذين اعتادوا أن يصيبوا شيئاً من خيرها يوم الحصاد - فحلَّت بهم عقوبة الله العاجلة:

١. السِّيرة النَّبوية، لأبي شهبة، ٢/١١١.



﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ١٩ - ٣٣].

ولم تقف عناية القرآن المكِّيّ عند الدَّعوة إلى الرَّحمة بالمسكين، والتَّرغيب، في إطعامه، ورعايته، والتَّرهيب من إهماله والقسوة عليه؛ بل تجاوز ذلك، فجعل في عنق كلِّ مؤمنٍ حقاً للمسكين، أن يحضّ غيره على إطعامه، ورعايته، وجعل تَرْكَ هذا الحضِّ قرينَ الكفر بالله العظيم، وموجباً لسُخْطه - سبحانه - وعذابه في الآخرة.

قال تعالى في شأن أصحاب (الشِّمال): ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

وَلِمَ كلُّ هذا العذاب، والهوان، والخزي على رؤوس الأشهاد؟: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٣ - ٣٤].

وهذه الآيات المزلزِلة للقلوب، المنذرة بالعذاب، هي الَّتي جعلت مثلَ أبي الدَّرداء - رضي الله عنه - يقول لامرأته: «يا أمَّ الدرداء! إنَّ لله سلسلةً ولم تزل تغلي بها مَراجِلُ النَّار منذ خَلَقَ الله جهنَّمَ، إلى يوم تُلقى في أعناق الناس، وقد نجَّانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فحُضِّي على طعام المسكين يا أمَّ الدَّرداء»[٢].

٢. فقه الزَّكاة، القرضاوي، ٧٠/١.

أمَّا القرآن المدني، فقد نزل بعد أن أصبح للمسلمين جماعةٌ، لها أرضٌ، وكيانٌ وسلطان؛ فلهذا اتَّخذت التَّكاليف الإسلاميَّة صورةً جديدةً ملائمةً لهذا الطَّور: صورة التحديد، والتَّخصيص، بعد الإطلاق والتَّعميم، صورة قوانين إلزاميَّة، بعد أن كانت وصايا توجيهيةً فحسب، وأصبحت تعتمد في تنفيذها على القوَّة والسُّلطان، مع اعتمادها على الضَّمير، والإيمان، وظهر هذا الاتِّجاه المدنيُّ في الزَّكاة؛ فحدَّد الشَّارع الأموال التي تجب فيها، وشروط وجوبها، والمقادير الواجبة، والجهات التي تُصرف لها، وفيها، والجهاز الذي يقوم على تنظيمها وإدارتها، وأكَّد النَّبيُّ ﷺ في المدينة فريضة الزَّكاة، وبيَّن مكانتها في دين الله، وأنَّها أحد الأركان الأساسية لهذا الدِّين، ورغَّب في أدائها، ورهَّب من منعها بأحاديث شتَّى، وأساليب متنوعةٍ[٣].

وأعلن الرَّسول ﷺ في أحاديثه: أنَّ أركان الإسلام خمسةٌ، بدأها بالشَّهادتين، وثنَّاها بالصَّلاة، وثلَّثها بالزَّكاة، فالزَّكاة في السُّنَّة - كما هي في القرآن - ثالثةُ دعائم الإسلام: الَّتي لا يقوم بناؤه إلا بها، ولا يرتكز إلا عليها، وعندما طبَّق المسلمون هذا الرُّكن كما أمر الله تعالى، وكما شرع رسولُه ﷺ، تحقَّقت أهدافٌ عظيمة في المجتمع، وبرزت آثارها في حياة الفرد، والمجتمع.

فمن آثار الزَّكاة على الفرد:

أ - الوقاية من الشُّحّ

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

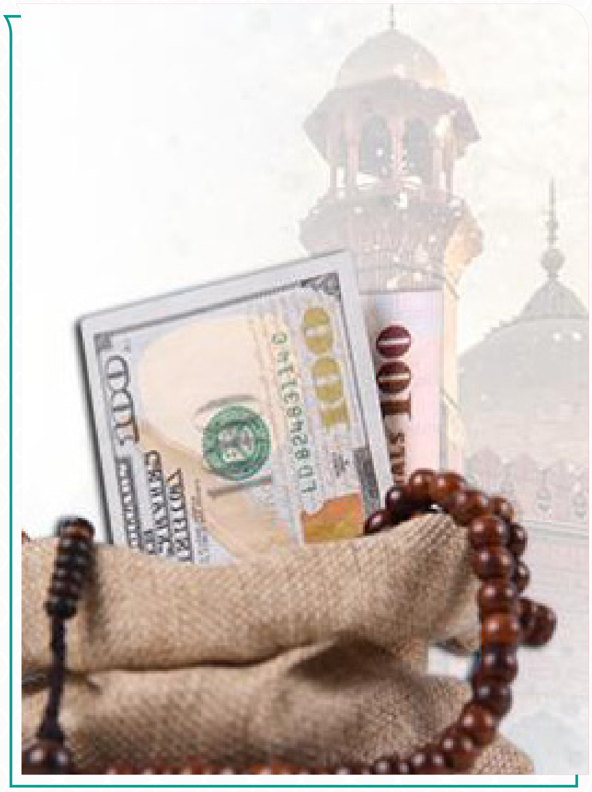


٣. فقه الزَّكاة، ١/ ٧٨.

ب - تنمية المال وزيادته

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال ﷺ: «ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ»[٤]. وقال ﷺ: «ما من يومٍ يُصبحُ العبادُ فيه إلا مَلَكانِ يَنزلان، فيقول أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ منفقاً خَلَفاً، ويقول الآخر: اللَّهُمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[٥].



وهكذا يتمُّ تطهير نفس المسلم من آفة الشُّحِّ، والبُخل، ويسارع إلى الإنفاق، موقناً بفضل الله، ووعده الذي لا يتخلَّف بالرِّزق الواسع[٦].

ج - حصول الأمن في الدُّنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فهم في أمنٍ، وسعادةٍ، وراحةِ بالٍ؛ لأنَّهم أدَّوا ما أمرهم الله تعالى به، وانتهوا عمَّا نهاهم الله عنه.

---

٤. مسلم (٢٥٨٨) والترمذي (٢٠٢٩) ومالك في الموطأ (٢/١٠٠٠).
٥. البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠).
٦. منهج الإسلام في تزكية النفس، ٢٤٩/١.
٧. مسلم (٢٥٨٦) وأحمد (٤/٢٧٠).

ومن آثار الزَّكاة على المجتمع: حصولُ المحبَّة بين الأغنياء والفقراء، وشيوع الأمن والطُّمَأْنِينَة في أوساطه، وشعور الأفراد فيما بينهم: أنَّهم كالجسد الواحد، قال ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثَلُ الجسد الواحد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى»[٧].

ومن الآثار أيضاً حفظ التوازن الاجتماعي[٨].



عندما كانت الزَّكاة تُجْمَع من كلِّ من تجب عليه، وتُنفَق في سبلها المشروعة في صدر الإسلام؛ كان المجتمع الإسلاميُّ يعيش في رخاءٍ، ورغدٍ، وتمتُّعٍ بالطَّيبات، وتآلف وتآخٍ، وتحابٍ؛ فقد روى الرُّواة: أنَّه في عهد خامس الخلفاء الرَّاشدين، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أخصب النَّاس، واغتنوا، حتَّى إنَّهم بحثوا عن مستحقٍّ للصَّدقة، فلم يجدوا، فما كان منهم إلا أن اشترَوا بها عبيداً، وأعتقوهم لوجه الله، وهكذا بلغ الإسلام في عصوره الأولى، بمستوى حياة المسلمين ومعيشتهم حدّاً لم تبلغه إلا أممٌ قليلةٌ اليوم، وذلك بفضل تشريع الزَّكاة[٩].

---

٨. المال في القرآن الكريم، ص٢٤٠.

٩. السِّيرة النَّبوية، لأبي شهبة، ١١٥/٢.

الحلول الإسلامية
للقضاء على الفقر





الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

بسم الله الغني الحكيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي قال أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر، وبعد:

فإن النبي ﷺ كان يستعيذ بالله من الفقر فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ»[1]. وفي رواية: «... من الفقر، والفاقة، والقلة، والذلة، والعِيلة...»[2].

---

١. أخرجه أبو داود ١٥٤٤، والنسائي ٥٤٧٥، وأحمد ٨٠٥٣، وغيرهم، وصححه الألباني.

٢. المعجم الصغير للطبراني ١/ ١٩٩، والحاكم ١/ ٥٣٠، والضياء المقدسي في المختارة ٦/ ٣٤٤، وغيرهم، وصححه الألباني.

•• فإن فلسفة الإسلام في معالجة الفقر وتوجيه الثراء فلسفة عظيمة، لم تكن تمثل الرأسمالية الجشعة التي لا همَّ لها إلاّ ثراء شرذمة من الناس ولو افتقر العالم كلّه، ولا الاشتراكية الماركسية التي يحدوها تفقير الأغنياء واستحالة إغناء الفقراء، ولكن شريعة الإسلام جاءت لتؤسس لمبادئ عظيمة تحفظ بها كرامة الإنسان ورفعتها، سواء كان من الأغنياء أم من الفقراء.

هل الفقر عيب في الإسلام؟



لم يكن الفقر يوماً عيباً في الإسلام لأنّ الفقر والغِنى قسمة من الله الكريم سبحانه، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]

ولقد كانت الأسوة العظيمة من الأنبياء والرسل، منهم مَن قد مسّه الفقر، فسأل الله أن يغنيه من فضله، فهذا نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، ولقد كان نبينا ﷺ عبداً رسولاً قد رضي من الدنيا بالقليل، فجاع حتى ربط على بطنه الشريف حجرين، ومات ولم يجدوا في بيته غير حفنات من شعير، ولو شاء لجعل الله له جبال مكة ذهباً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يَأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعِير في رَفٍّ لي، فأكَلتُ منه حتى طال عليَّ، فكِلْتُهُ فَفَنِيَ»[٣].

ولكن العيب أن يقيم العبد على تلك الحالة لا يريد تغييرها، فيرضى بإهانة نفسه وإذلالها في تتبع طرق تجلب له الغِنى من تسوّل وسلوك لطرق الكسب الحرام، ليكوّن ثروة من الطرق الملتوية التي لا يرضاها الله، ولا يبارك في طارقها وسالك سبيلها، ولذلك كانت الأسوة الحسنة سيدنا رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الفقر ويشركه مع الكفر، لأن الفقر خراب الدنيا، والكفر خراب الآخرة.

٣. متفق عليه، البخاري ٣٠٩٧، ومسلم ٢٩٧٣.

اهتمام الإسلام بمعالجة الفقر



لقد اهتمَّ الإسلام بمحاربة الفقر، ووضع وسائل وأسباب عديدة للقضاء عليه ما أمكن، أو تخفيف آثاره على الأقل، وعالج هذه الظاهرة بأمرين أساسيين:

الأول: احترامه للكرامة الإنسانيَّة

لقد حفظ الإسلام كرامة الإنسان فسوَّى بين جميع الأجناس والألوان والطبقات في الكرامة الإنسانيَّة، وجعل المفاضلةَ على اعتبار التقوى والإنتاج والعمل الصَّالح قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى. أَبَلَّغْتُ»[٤].

الثاني: سَنُّه لمبادئ التكافل الاجتماعي

إن حلول الإسلام كانت أرقى ممَّا وصلت إليه البشريَّة في العصر الحديث.

الحل الأول: السعي والعمل

لا بد لكلِّ قادر أن يسعى ويعمل، فالرزق مضمون لكنَّه لن يأتي إلاّ بسعي، ولذلك شجَّع رسول الله ﷺ صحابتَه على مزاولة المهن. فعن الزّبير بن العوّام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لِأن يأخذ أحدُكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره، فيبيعها فيكفَّ بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطَوه أو منعوه»[٥].

---

٤. رواه الإمام أحمد ٢٣٤٨٩.
٥. أخرجه البخاري ١٤٧٠.

بل إنَّ رسول الله ﷺ عدَّ الطعامَ الذي يأكله المرءُ من عمل يده هو أطيب طعام؛ عن المِقدامِ بن معدي كَرب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكُل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»[٦].

وحرَّم الإسلام التسوُّل، واعتبره نكتة سوداء في وجه صاحبه يوم القيامة، وهو وصمةُ عار في الدنيا، ولم يُجزه إلا في حالاتٍ ثلاث؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «المسألة لا تحلُّ إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقع، أو لذي غُرْم مفظع، أو لذي دمٍ مُوجع»[٧].

والمُدقع: الشديد، مفظع: ثقيل، دم مُوجع: دية باهظة.

الحل الثاني: وجوب النفقة على الأقربين

فقد جعل الإسلام النفقة واجبة على الأبوين لأولادهم العاجزين عن العمل، أو أقاربهم الذين أصابتهم عاهات مستديمة، أو لحقتهم الشيخوخة، نساء ورجالاً، وأمر بالإنفاق عليهم وإكرامهم، وجعل ذلك من البرّ العظيم فقال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

بل أمر بإكرامهم والإحسان إليهم إذا حضروا قسمة ميراث من لا يرثونه فقال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦] يعني: صلة الرحم، وأراد به: قرابة الإنسان، وعليه الأكثرون.



---

٦. رواه البخاري.

٧. رواه أحمد (١٢١٣٤) وأبو داود (١٦٤١)، وابن ماجه (٢١٩٨)، وابن الجارود (٥٦٩) وحسنه الترمذي (١٢١٨).

الحل الثالث: أوجب الله عزَّ وجل للفقير نصيباً من أموال الزكاة حقاً له

فشرع الزكاة فرضاً فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

فيُعطَى الفقير من مال الزكاة ما يؤمِّن نفقاته، وليس لأحد عليه مِنَّة ولا فضل؛ بل هو حقٌّ له، جعله الله عزَّ وجل في مال الأغنياء.



ولم تكن فلسفة الإسلام العقابية منزوية تبحث عن العقاب والألم في أجساد الناس وتغريمهم والزج بهم في غياهيب السجون، بل جعلت الكفّارات إحدى العوامل المربّية للمخالف لأحكام الشّرع، والمقصّر في أداء العبادات، وسدّاً لخلّة الفقراء والمساكين، وإعطائهم تلك الكفارات لسدّ حاجاتهم، بل راعت ذلك حتى في مواسم الخير كالأعياد حتى يستوي الفقير مع الغني في فرحة العيد والتلذذ بطيبات ذلك اليوم السعيد، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ». وَقَالَ: «أَغْنُوهُمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ». وَقَالَ يُوسُفُ: «صَدَقَةُ الْفِطْرِ»[٨].

وقد سار الخلفاءُ على نهج نبيِّهم في متابعة شؤون الرَّعية وتفقُّد أحوالهم بأنفسهم لتقديم العون لهم، فبينما كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يتفقَّد رعيته ليلاً سمع بكاءَ طفل، فطلب مِن مساعده الذي كان معه أن يأمر أمَّ الطفل بإسكاته، فإذا بها تخبرهم بأنَّها تريد فطامه كي يأخذ عطاءَ فطيم -عطاء: راتب- من بيت المال، فطلب منها أن تُرضعه، وفي اليوم التّالي سنَّ الخليفةُ قانوناً بأن يُفرض لكل مولود عطاء إلى عطاء أبيه بمقدار مائة درهم، وكلمّا نما زاد العطاء، وجرى على ذلك الخلفاءُ من بعده.

---

٨. الدارقطني (٢١٣٣).

كما فرض للفقراء من أهل الذِّمة وكبار السِّن والنساء عطاءً كذلك.



الحلّ الرَّابع: الصدقة

وهي العطية التي يُبتغى بها الثواب عند الله تعالى. وقد وردت أحاديث كثيرة في فضلها؛ منها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «ما مِن يوم يصبح العبادُ فيه إلاَّ ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا». متفق عليه.

وحثَّ رسولُ الله ﷺ المؤمنين على مواساة الأقارب الفقراء -الذين لا تجب نفقتهم عليه ومساعدتهم- وكذلك الجيران، فبيَّن أنَّ الصَّدقة على الأقارب مضاعفة؛ من ذلك ما رواه سَلْمَان بن عَامِرٍ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصَّدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرَّحم ثنتان: صدقة وصلة»[٩].

كما حذَّر من وجود جار فقيرٍ يبيت طاويًا من الجوع، فقال ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»[١٠].

ولقد كان السلف مضرب المثل في معالجة الفقر، ومواساة طلبة العلم الجوابين الآفاق، وسد عوز أسر كثير لا تعرف من أين يأتيها رزقها، كما وقع ذلك في المدينة المنورة، فلمَّا مات من كان يُنفق عليها انقطعَت المعونات عنهم، وعندما غسَّلوه وجدوا آثارَ الحبال على أكتافه؛ إنَّه زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه وعن والديه.

---

٩. رواه أحمد (١٦٢٢٦) والترمذي (٦٥٨) و(٦٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٣٣٢٠) و(٦٧٠٧).

١٠. رواه ابن أبي شيبة (٣٠٣٥٩)، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٦٧/٨، وقال: رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن.

الحل الخامس: صناعة المشاريع المربحة لأصحاب الحرف العاطلين

إحدى أهم وسائل القضاء على الفقر ومعالجة آثاره، لأن بعض مَن تنهال المساعدات عليهم من الفقراء في مواسم الخير كشهر الصيام والأعياد، لا يحسنون استثمار تلك الأموال فيبددونها في حينها، ويظلوا يترقبون موسماً آخر، ممَّا يستدعي البحث عن طريقة أفضل لمساعدته طوال العام، ولذلك لما تكلم الفقهاء عن الزكاة وإعطائها للفقير، اختلفوا في ما يُعطَى إليه، هل ما يسد حاجته في سنته أم طول عمره، والمراد من طول العمر إيجاد حرفة يعود عليه خيرها ويدفع بها عنه العوز والحاجة.

الحل السادس: الوقف

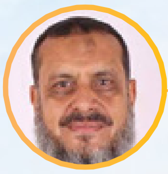
وهو تحبيس الأصول وتسبيل المنافع، وللوقف فوائد عظيمة في دوام انتفاع المسلمين به، ووصول الثواب إلى المرء بعد موته باستمرار وجود الوقف، وذلك حسب الجهة الموقوف عليها، فقد يكون وقفًا للمجاهدين، وقد يكون وَقفًا للعلماء وطلبة العلم، وقد يكون وقفًا على الفقراء والمساكين، وقد يكون وقفًا على المساجد، وغير ذلك.

والحاجة إليه ماسَّة في الوقت الحالي.

وقد أحسن المسلمون استثمار الوقف؛ فكان له دورٌ كبير في إعالة الأُسَر الفقيرة واستقرارها بجوار مشاريع الوقف، وأسهم في تحسين الظروف الصِّحية، وكان له أثر كبير في استمرار كثيرٍ من المدارس والمعاهد والمستشفيات التعليمية، فتمَّ بذلك القضاء على الجهل؛ بل أسهم في تقدُّم العلم في كافَّة المجالات.

وحينما توجد الحلول لمعالجة الفقر مع مراعاة القيم الأخلاقية تحسن الحياة، وتختفي الآفات الاجتماعية، وتتربى الأجيال بعيدة عن الآثام في وئام أخلاقي، ويعطَى كل ذي حق حقه، وليس غريبًا أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ من الكُفر والفقر دُبر كل صلاة؛ لشدَّة خطورة الفقر: «اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ من الكُفرِ وَالفَقرِ».

العدالة الاجتماعية
في الشريعة الإسلامية



د. عطية عدلان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



ليس فقط بالزكاة والصدقات وسائر مرافق التكافل الاجتماعي قاوم الإسلام الفقر وعالج مشكلات الفقراء، وإنّما كانت تلك التشريعات برغم عظمتها وقوة تأثيرها مجرد علاجات لما يطرأ من اختلالات تقع بعد استقرار النظام الاقتصادي الذي يحقق التنمية ويحقق معها على التوازي العدالة الاجتماعية، صحيح أنّ الصدقات ثم الزكوات المفروضة جاءت أولاً، لكنّ أوّليتها في التشريع لا تعني أنّها الأصل في مسألة القضاء على الفقر، ولعل هذا الترتيب كانت تحكمه ظروف نشأة الأمة إضافة إلى العامل التربويّ.

إنّ أول ما يعتمده الإسلام في القضاء على الفقر هو التنمية التي تتوفر فيها عدالة المنافسة والمساواة في الفرص المتاحة، مع العدالة في توزيع الثروة وفي إعادة التوزيع لها كذلك، فالإنسان خليفة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، والخليفة مدفوع بموجب هذه الوظيفة التعبدية الراقية إلى أن يعمر الأرض بمنهج الله، وعمارة الأرض لا تحقق إلا بتفجير خيراتها، وقد حفزّ القرآن هذا الخليفة لينطلق: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)



لقد دفع الرسول ﷺ رجال هذه الأمة للضرب في الأرض لتعميرها واكتساب الرزق الحلال، إلى حدّ أنّه خلق في القلوب هذا الدافع العميق الدقيق: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[١]، وأعطى السائل قدّوماً ليكتسب وواعده أن يأتيه بعد ثلاثة أيام، وفتح الأسواق وشجع أصحابه على التجارة والضرب في الأرض، وأمر من لديه أرض لا يستطيع زراعتها أن يمنحها لمن يزرعها، وحذر أصحابه من السؤال.

وقد وضع القرآن قاعدة تورث الطمأنينة وتحفز على العمل، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠)، فالأرض مبارك فيها ومشتملة على أقوات العباد، لا تضن بالأقوات التي قدرها الله لعباده؛ لذلك علم كل موحد من اللحظة الأولى كذب فرية (الندرة) كما علم ذلك كل من استقام عقله من بني البشر، فعلى سبيل المثال نجد «فرنسيس مورلابيه» و«جوزيف كولينز» يقرران في كتابهما الشهير: (صناعة الجوع وخرافة الندرة) أنّ:

«الإحصائيات العالمية تؤكد أنَّ ٤٤% من الأرض الصالحة للزراعة على وجه الأرض لا تزرع، وأنّ ٢٥% فقط من الأراضي الصالحة للزراعة في البلاد النامية هي التي تزرع، فأين الندرة؟ ومع ذلك فإنَّ

١. مسند أحمد ط الرسالة من مسند أنس بن مالك برقم (١٢٩٨١).



الكثير من المنزرع في البلاد النامية لا يلبي حاجة الفقراء والجوعى، وإنما ينتج محاصيل ترفيهية تصدر للأغنياء في الغرب، ويكفي أنَّ ٣٦ دولة من الأربعين الأكثر تعرضاً للجوع تصدّر مواد غذائية ترفيهية لأمريكا»[٢].

ويواصلان في موضع آخر:

•• «ليس النمو السكاني إذن هو ما يهدد بتدمير البيئة، سواء هنا أو في الخارج، بل إن ما يفعل ذلك هو النظام الذي يشجع استخدام موارد إنتاج الغذاء وفقاً لمعايير ضيقة في البحث عن الربح، ويستفيد من هذا النظام محتكرو الأرض الذين يزرعون محاصيل ترفيهية وغير غذائية، والأنماط الاستعمارية لفرض الضرائب، والمحاصيل النقدية التي تجبر الأغلبية الريفية على سوء استخدام الأرض الهامشية»[٣].

«إنَّ النظرية القائلة بأننا الآن ندخل عصر الندرة المحتومة لأن أعدادنا قد تخطت حداً مفترضاً نظرية لا يمكن إثباتها، ففي عالم تستنزف فيه الاحتياطات الغذائية عمداً لكي تحقق صادرات الولايات المتحدة من القمح أكبر قدر من العملة الأجنبية ويكون فيه الصداع الرئيسي لمئات من مسئولي السوق المشتركة هو كيفية إنقاص جبال ما يسمى بالفائض -تكون فكرة الندرة أسوأ من مجرد تشويه؛ لأنها تلقي ذنب الندرة على عاتق جماهير غير محددة من البشر»[٤].

ويقول المفكران الغربيان الكبيران: «هانس بيتر مارتين» و«هارالد شومان» في كتابهما الشهير «فخ العولمة» نقلاً عن «غوردون براون» الذي كان على نقيض (توني بلير) في سياساته الخارجية:

---

٢. فرنسيس مولابيه وجوزيف كولينز، صناعة الجوع: خرافة الندرة، ترجمة: أحمد إحسان، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة ٦٤، ١٩٨٣م)، ص١٨ - ٢١.

٣. المرجع السابق، ص٥١-٥٢

٤. المرجع السابق، ص٦١.



ويمضي (براون) في حديثه قائلاً: «قبل أيام قليلة التقى في واشنطن العاصمة خبراء في الزراعة والمناخ، وكذلك خبراء مختصون في تحليل ما تبثه الأقمار الصناعية من صور، وبعد أن وصل الجميع إلى ردهة تقع في الطرف الجنوبيّ من وزارة الزراعة الأمريكية أقفل أحد الحراس المسلحين باباً حديدياً سميكاً من خلفهم، وكانت الاتصالات الخارجية سواء بأجهزة التليفون أو بأجهزة الكمبيوتر قد فصلت عن القاعة التي فيها الخبراء، كما أسدلت الستائر بحيث لم يعد بإمكان أحد رؤية العالم الخارجيّ، وهكذا وفي عزلة تامة عن العالم الخارجيّ راح المجتمعون على مدى ليلة كاملة يمعنون النظر بفيض المعلومات المستقاة من المجالات المختلفة ويقارنون بعضها بالبعض الآخر، وكان هذا اللقاء الذي يذكر المرء بأساليب أجهزة المخابرات وبأفلام المافيا يتحور حول سلاح من المحتمل أن يستخدم في سنوات معدودة من غير هوادة، إنَّه الاحتياطيّ العالميّ من الحبوب»[٥].

•• وعلى التوازي يمضي مع خط التنمية وتفجير الأرض واستكناه خيراتها خط آخر وهو خط العدالة في توزيع الفرص وتوزيع الثروة، وتأتي القاعدة القرآنية: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (الحشر: ٧)، لتضع أساساً متيناً لتوزيع الدخل بما يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية، و«الدُولَةُ: ما يتداوله الأغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية... بمعنى: كي لا يكون الفيء ذا تداول بينهم أو أخذه غلبة تكون بينهم»[٦].

والأسهم الخمسة التي ذكرت في الآية وضعت لتوزيع رافد من روافد الثروة بالصورة التي تحقق العدالة في توزيع الثروة؛ «عن عبد الله بن عباس أن الخمس كان في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم:

---

٥. هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة: د. عدنان عباس علي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة ٢٣٨، ١٩٩٠م)، ص٧١.

٦. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/٢٠٠).

لله وللرسول سهم، ولذوي القربى سهم، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم، ثم قسمه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم على ثلاثة أسهم، وسقط سهم الرسول وسهم ذي القربَى وقسم على الثلاثة الباقية، ثم قسمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ما قسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم»[٧].

•• وتوزيع الفيء كله وخمس الغنيمة على هذا النحو عدل؛ لأنّ الأغنياء يستطيعون بأموالهم أن يستفيدوا وينتفعوا بما تملكه الأمّة من مرافق، وبما تجود به الطبيعة التي يتشارك فيها الناس جميعاً من إمكانات وخيرات، بخلاف غيرهم من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فلو لم يوزع الفيء -وما يشبهه من مصادر عفوية تأتي بدون بذل جهد ولا إنفاق مال- على هذا النحو الذي جاء في الآية؛ لصار المال العام دُولة بينهم، ولاختلّ ميزان العدالة في توزيع الثروة، ولَضَاعَ مبدأُ تكافؤ الفرص الذي يَعَدُّ أحد الدعامات الأساسية للعدالة الاجتماعية.



والإمام أبو يوسف يقيس على الغنيمة موارد أخرى تشبهها، فيرى تخميسها، فيقول: «فما أصاب المسلمون من عساكر أهل الشرك وما أجلبوا به من المتاع والسلاح والكراع وغير ذلك، وكذلك كل ما أصيب في المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص؛ فإن في ذلك الخمس»[٨].

---

٧. أبو يوسف القاضي، كتاب الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن، (القاهرة: المكتبة الأزهرية، ١٩٩٩م)، ص٢٩،٣٠.

٨. المرجع السابق ص٣٠

٩. سنن أبي داود (٣/٢٧٨) مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/١٧٤) السنن الصغير للبيهقي (٢/٣٢٩) وقال الزيلعيّ في نصب الراية (٤/٢٩٤): قال البيهقي في المعرفة: وأصحاب النبي ﷺ كلهم ثقات، وترك ذكر أسمائهم في الإسناد لا يضر إن لم يعارضه ما هو أصح منه.

١٠. سنن ابن ماجه (٢/٨٢٦).

ثم يأتي الحديث النبويّ الشريف: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ، والماء، والنار»[٩]. ليكمل الدائرة، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: فِي الْمَاءِ، والكَلَأ، وَالنَّارِ، وَثَمَنُه حَرَامٌ». قَالَ أَبو سَعِيدٍ: «يَعْنِي الْمَاءَ الْجَارِيَ»[١٠]، وهكذا «ذكر الرسول ﷺ بعض الثروات التي لا تملك ملكية خاصة... ويلحق بالماء والكلأ والنار والملح التي ذكرت في الأحاديث واعتبرت ملكية عامة زمن النبي ﷺ كل ما يجد في هذا الزمان من ثروات طبيعية لا دخل للناس في إيجادها وهي ضرورية لهم بحيث تتعلق بها مصلحة الجماعة»[١١].



والأحاديث التي تقرر هذه المعاني كثيرة؛ «ومن جملة هذه الأحاديث يتضح مراعاة حاجة الناس الظاهرة البارزة للمورد الطبيعي، وأن الحاجة العامة للمورد الطبيعي تمنع ولي الأمر من منح امتيازه لأي فئة من الفئات حتى لا يؤدي ذلك إلى احتكاره والإضرار بالناس والتأثير على عرض هذه المادة التي يستفاد من أخذها من المورد الطبيعي مباشرة، حيث إن منح حق امتياز استغلالها لفئة من الناس أو إقطاعها لفئة من الناس أو لشخص أو لأشخاص سيؤدى إلي قلة العرض، وارتفاع سعرها وعجز الناس عن تملكها مع حاجتهم الماسة إليها وشرائها من محتكرها الممنوح له حق امتيازها»[١٢].

---

١١. د. حسين مطاوع الترتوري، «المشكلة الاقتصادية وكيف تحل في ضوء الكتاب والسنة» (١)، مجلة البحوث الإسلامية، ٣٠/١٨٧.

١٢. د. محمد بن عبد الله الشيباني، «الخصخصة من المنظور الإسلامي»، مجلة البيان، ٨٠/٢٤.

فإذا بقي بعد ذلك من آثار التدافع البشري ما قد يخلف شيئاً من الاختلال في ميزان العدالة يأتي دور التشريع النبوي الكريم الذي يحقق الضمان في العيش الكريم للطبقات المهضومة، فهذا رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلاَّ وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٦]؛ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كَانُوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا -أي عيالاً يخشى عليهم الضياع- فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلاَهُ»[١٣].

•• وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلاً؟» فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلاَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِوَرَثَتِهِ»[١٤]. ومعنى هذا: أنه بعد تأسيس الدولة، وإيجاد الروافد الاقتصادية التي تؤهلها للقيام بمسئولياتها صار من هذه المسئوليات كفالة الأفراد، حتى إنّ من مات وعليه دَين فالدولة تقضيه عنه.

والدولة الإسلامية كفلتْ عمالها، قال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلاً فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا»[١٥]. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أُخْبِرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ أَوْ سَارِقٌ»[١٦].

أمّا عن حماية الأسواق بأحكام تتعلق بالاحتكار والتسعير والمنع من تلقي الجلَب والعمل على تحرير السوق تحريراً منضبطاً بمصالح الناس وليس ذلك التحرير الذي يمهد لأن تنزو الرأسمالية على الأسواق، فهناك أحكام كثيرة وأحاديث غزيرة ربما لا يتسع المقام هنا لذكرها، وكل هذا يأتي قبل أن يأتي دور الزكاة المفروضة والصدقات المسنونة وغيرها من التشريعات المحكمة العالية التي تجبر الخلل وتضبط الميزان، فالحمد لله على نعمة الإسلام وعلى نعمة نبي الإسلام ﷺ.

---

١٣. رواه البخاري (٢٣٩٩).

١٤. رواه البخاري (٢٢٩٨).

١٥. رواه أبو داود (٢٩٤٥)، الحاكم في المستدرك (١٤٧٣) وصححه على شرط البخاري.

١٦. رواه أبو داود (٢٩٤٧)، والبيهقي في السنن (١٣٣٩٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٨٦).

تجارة لن تبور (١)

د. عبد السلام البسيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



الفقر حالة إنسانية بقدَرٍ رباني حتم، تكون ابتلاءً -رغم الهمة والسعي- وتكون بسبب التقصير والكسل، أو سوء التخطيط والفشل في إدارة الإمكانيات، أو لعوامل خارجية تبدد الجهد، وتسلبه فاعليته، وتؤدي إلى الإفقار والتجويع، كما تفعل (الحدارة) المعاصرة، التي تجيع ملايير؛ لحساب حفنة من المساعير، الذين ينهبون الأفكار، والثروات، والآمال، والإمكانات، عليهم لعائن الله وسخطه!

---

١. أخرجه أحمد، ٢٠٣٨١.

وقد خلقنا مولانا تبارك وتعالى لمهام ثلاث: عبادته عز وجل وحده، والبلاغ المبين، وإقامة حضارة بإعمار الأرض، واكتشاف السنن: ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وعمارة الأرض، وإقامة الحضارة تحتاج -بجانب الفكر والإبداع والجهد- مالًا كثيرًا!



لم يمدح الإسلام الفقر لذاته، بل استعاذ منه النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر».

ولم يمدح الغِني لذاته، بل ذمه إذا كان بابًا للضلال والانحراف، وإفساد الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

وأوضح لنا سيدنا المصطفى ﷺ أن الفقير قد يرتكس في الشر لفقره، والغنيَّ يرتكس لغناه، والفرق أن ارتكاس الفقير اضطرار، وارتكاس الغني استباحة وفِجار، فالسبب مختلف، وشكل الاستباحة مختلف! كما ورد في حديث الثلاثة أصحاب الغار، عن الفقيرة التي راودها ابن عمها فامتنعت «حتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ..»، فتنازلت اضطرارًا، وفي المترفة المستبيحة المتعالنة بالفاحشة، التي راودت يوسف عليه السلام، وقالت بوضوح: سيزني بي مرغمًا، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢]



وأعطانا ﷺ معادلة (اقتصادية إيمانية مدهشة) فيها توازن كبير: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»[٢].

وأمرنا أن نضرب في الأرض ابتغاء فضل الله، وأن نمشي في مناكبها، ونأكل من رزقه.

وطلب منا أن نكون أعْلَين نعطِي ولا نعطَى: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[٣].

وأن نكون إيجابيين: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، ثُمَّ يَغْدُو فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ ويَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ له مِن أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ»[٤].

وذم أن يكون الإنسان عالة: «خَيرٌ مِن أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ في أَيْدِيهِمْ»[٥].

والمال ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لعمارة الدنيا، والآخرة!

بالعلم والمال يبني الناس ملكهمُ .. لم يُبنَ مُلك على جهل وإقلال

وقد صح مرفوعًا: «نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للمَرءِ الصَّالحِ»[٦].

ويروى أن يحيى بن سعيد بن المسيب ترك مالًا كثيرًا فقال عند احتضاره: «اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها -الدنيا- إلا لأصون بها ديني، وأصل بها رحمي، وأكف بها وجهي، وأقضي بها ديني، لا خير فيمن لا يجمع المال ليكف به وجهه، ويصل به رحمه، ويقضي به دينه، ويصون به دينه»[٧].

---

٢. أخرجه مسلم، ١٠٥٤.
٣. البخاري، ١٤٢٩.
٤. البخاري، ١٤٨٠.
٥. البخاري، ٥٣٥٤.
٦. إصلاح المال لابن أبي الدنيا، وسير أعلام النبلاء.
٧. البداية والنهاية، الجزء السابع، ذكر فتح المدائن.

وأغنى سيدي عمر بن عبد العزيز الراشد أهل زمنه، حتى إن عماله لم يكونوا يجدون مستحقي الصدقة!

ولما فتح المسلمون القادسية أخذوا الغنائم، وجيء بتاج كسرى المرصع بالجواهر وبساطه منسوج بالذهب واللآلئ، ولما رأى هذه الثروة الهائلة، بكى عمر بن الخطاب وحمد الله وقال: «إن قومًا أدوا هذا لأمناء». فأجابه علي رضي الله عنه: «عففت فعفّوا، ولو رتعتَ يا أمير المؤمنين لرتعت أمتك»[٨].



وكان من الصحابة أثرياء يشبهون (مليارديرية هذا الزمان، وليس كما يشاع أنهم كلهم كانوا مقلين معسرين، خصوصًا بعد أن ارتفعت رايات الجهاد، ودخل الناس في دين الله أفواجًا!

يقول الحافظ ابن حجر[٩]: «دعوى أن جمهور الصحابة كانوا على التقلل والزهد ممنوعة؛ بالمشهور من أحوالهم، فإنهم كانوا على قسمين بعد أن فُتحت عليهم الفتوح؛ فمنهم من أبقى ما بيده من التقرب إلى ربه، بالبر والصلة والمواساة؛ مع الاتصاف بغنى النفس. ومنهم من استمر على ما كان عليه قبل ذلك، فكان لا يبقي شيئًا مما فُتح عليه به، وهو قليل بالنسبة للطائفة الأخرى. ومن تبحر في سير السلف علم صحة ذلك».

أثرياء الصحابة

ومن أثرياء الصحابة رضوان الله عليهم (وكلهم مبشرون بالجنة؛ بشارة عامة أو خاصة) وقد وظفوا أموالهم في خدمة الدِين؛ ولم يكونوا قوارين أو فراعين كحال الأغنياء المعاصرين[١٠]:

٨. البداية والنهاية، الجزء السابع، ذكر فتح المدائن.

٩. الفتح (ج١٣-ص٤٩).

١٠. أستفيد في الكلام عن ثروات الصحابة من مقالة: قائمة أثرياء الصحابة، د.يوسف القاسم.

سيدي الصديق رضي الله تعالى عنه الذي أسلم وله أربعون ألفًا -وهي في زمانها مثل الملايين الآن- أنفقها في سبيل الله، روى ابن ماجه، مرفوعًا: «ما نفَعني مالٌ قطُّ، ما نفَعني مالُ أبي بكرٍ»، فبكى أَبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟!

ومنهم سيدي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي حفر بماله بئر رومة، وجهز جيش العسرة، وفي (البخاري) أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «من حفر رومة فله الجنة» فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزتهم؟ قال: فصدقوه بما قال[11].

وأما سيدي طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه فتقدر ثروته بمليوني درهم، ومائتي ألف درهم، ومن الذهب مائتي ألف دينار! وكان دخله اليومي ألف درهم وزيادة. وكان من سخائه أنه سأله رجل أن يعطيه؛ بما بينهما من الرحم، فأعطاه أرضًا قيمتها ثلاثمائة ألف درهم! وكان لا يدع أحدًا من بني قرابته القريبة والبعيدة إلا كفاه حاجته وقضى دينه.



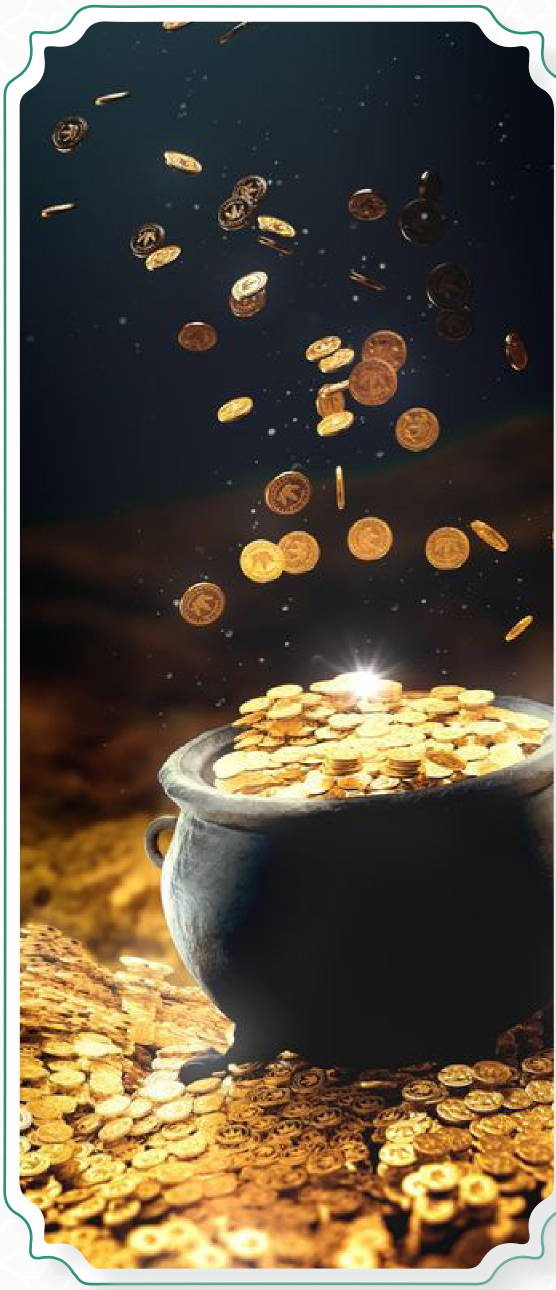
وفي طبقات ابن سعد (بسند فيه الواقدي): قتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم، ومائتا ألف درهم. وقومت أصوله وعقاره بثلاثين ألف درهم! أي: ثلاثمائة مليون درهم! قال الذهبي تعليقًا على ذلك: «أعجب ما مر بي قول ابن الجوزي: وقد خلَّف طلحة ثلاثمائة حمل من الذهب»!

قال المدائني: إنَّما سمِّي طَلْحَةُ بن عبيد الله الخزاعي: طَلْحَةَ الطَّلَحَات؛ لأَنَّه اشترى مائةَ غلام وأعتقهم وزوَّجهم، فكلُّ مولود له سمَّاه: طلحة. أو لأنه فاق في الجود خمسة أجواد، اسم كل واحد منهم طلحة[12].

---

١١. البخاري، ٢٧٧٨.
١٢. ربيع الأبرار، ج:٤، ص٣٦٦.

وأما سيدي الزبير رضي الله عنه فقد بلغت ثروته من قيمة العقار الذي ورَّثه خمسين مليونًا، ومائتي ألف، حيث جاء في صحيح البخاري أن الزبير رضي الله عنه قُتل ولم يدع ديناراً ولا درهما إلا أرضين، منها الغابة (وكان الزبير اشتراها بسبعين ومائة ألف، فباعها ابنه عبد الله بعد وفاته بألف ألف وستمائة ألف، أي باعها بمليون وستمائة ألف)، وإحدى عشرة دارًا في المدينة، ودارين في البصرة، ودارًا في الكوفة، ودارًا في مصر!



وكان للزبير أربع نسوة، وأوصى بالثلث لأولاد ابنه عبد الله، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف! فجميع ماله خمسون ألف ألف، ومائتا ألف!

وأما سيدي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فتقدر ثروته بثلاثة ملايين ومائتي ألف دينار، أي: ما يساوي اثنين وثلاثين مليون درهم فضة؛ لأن الدينار الذهبي يساوي عشرة دراهم، وهذا حسب الاحتمال الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح، حيث قال: «جميع تركة عبد الرحمن ابن عوف ثلاثة آلاف ألف، ومائتا ألف (أي ثلاثة ملايين ومائتا ألف)، وهذا بالنسبة لتركة الزبير قليل جدًّا، فيحتمل أن تكون هذه دنانير، وتلك دراهم؛ لأن كثرة مال عبد الرحمن مشهورة جدًّا» أ.هـ.

روى أحمد في مسنده من حديث أنس رضي الله عنه «أن عبد الرحمن أثرى وكثر ماله، حتى قدمت له مرة سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق»[١٣].

١٢. ربيع الأبرار، ج:٤، ص٣٦٦.

وقد بلغت ثقته باحترافه في مجال التجارة، أنه قال: «لقد رأيتني، ولو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا أو فضة». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أوجه الصدقة التي بذلها: أنه باع مرة أرضا بأربعين ألف دينار، فتصدق بها».



وأوصى لمن شهد بدرًا بأن يعطى كل واحد منهم أربعمائة دينار، فوجدوا مائة رجل بدري، أي أوصى لهم بأربعين ألف دينار، وأوصى بألف فرس في سبيل الله، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة، قُومت بمائة ألف!

وأما سيدي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فتُقدر ثروته بمئتي ألف وخمسين ألف درهم!

وكان منادي سيدي سعد بن معاذ رضي الله عنه -كما روى الدارقطني في كتابه الأسخياء- ينادي بمكان عالٍ في المدينة: «من كان يريد شحمًا ولحمًا، فليأتِ سعدًا». وكان سعد يقول: «اللهم هَبْ لي مجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم إنه لا يُصلِحني القليلُ، ولا أصلُحُ عليه».

وكان سيدي أبو طَلْحَة رضي الله تعالى عنه منهم، في الصحيحين عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة: أنَّه سمع أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول:

«كان أبو طَلْحَة أكثَرَ أنصاريّ بالمدينة مالًا، وكان أحبَّ أمواله إليه بَيْرَحَى، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخُلها ويشرب مِن ماءٍ فيها طيِّبٍ، فلمَّا نزلت: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قام أبو طَلْحَة إلى رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ الله يقول في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرَحَى، وإنَّها صدقةٌ لله، أرجو برَّها وذُخرَها عند الله، فضَعْها يا رسول الله حيث شئتَ». فقال رسول الله ﷺ: «بَخٍ، ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ».



هناك صفقة بين المسلم وربه تعالى، ثمنها النفس والمال والموقف، وعِوضها الجنة؛ يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠]

وجل الآيات التي جمع فيها بين النفس والمال تقدم بها المال على النفس!

تحوُّل المال إلى صنم، وغاية، واكتناز، واستحواذ، وامتصاص لدماء الفقراء، يجعله فسادًا عريضًا في الدنيا، ولعنة في الآخرة وبلاء مستطيرًا، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥]

وفي الصحيح مرفوعًا: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته، مثل له ماله شجاعاً أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك أنا كنزك»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

وللحديث بقية في الجزء الثاني من المقالة..



هكذا عالج الإسلام

الفقر



أ.د. أحمد ذكر الله

أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر

يعد الفقر من أهم المشكلات التي تواجه الإنسان، ومن أهم أسباب انحطاط الأمم، وانتشار الفقر بين الأفراد في المجتمعات الإسلامية أضحى آفة عامة تعاني منها تلك البلدان ليس فقط في محاولاتها لانتشال هؤلاء من براثن الفقر، ولكن أيضاً من خلال محاولات تقليل الخسائر جراء خروجهم من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى العديد من الآثار السلبية التي يولدها الفقر على مظاهر الحياة الإنسانية بصفة عامة، لا سيما في الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية، والأمنية.

• • **ويُعرف الفقر لغةً بأنه:** الحاجة، وهو مشتقٌ من انفقار الظهر، أي انكسار فقارِهِ، فكأنّ الفقير مكسور الظهرِ من شدّة الحاجة، والفقر اصطلاحًا: هو عدم امتلاك الإنسان لما يكفيه من مال، مع عدم قدرتهِ على الكسب والعمل، والفقر من وجهة نظر الإسلام عدم إشباع الاحتياجات الأساسية للإنسان والتي حددها الشرع بثلاثة احتياجات هي: المأكل والملبس والمسكن.



وقد تنوعت تعريفات الفقير بين المذاهب الفقهية الأربعة، فبينما عرفه المالكية بأنه: الفرد الذي لا يملك قوت سَنة، قال الشافعية بأنه: من لا مال له، وأشار الحنفية إلى أنه من يملك دون نصاب الزكاة، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الفقير: "كل مَن ليس لديه ما يكفيه". بمعنى عدم امتلاكه لحد الكفاية الذي يتغير وفقاً لظروف الزمان والمكان ومستويات المعيشة السائدة في المجتمع المحيط.

ولعل اهتمام هذه المدارس الفقهية مبكراً لخطورة هذه المشكلة، يشير بجلاء إلى اهتمام الفكر الإسلامي بتقديم الحلول الناجعة لاجتثاث تلك الآفة من جذورها العقدية والفكرية والاقتصادية.

الحلول العقدية لمشكلة الفقر

صحح الإسلام العقيدة الاقتصادية للإنسان فأغلق بذلك باباً مهماً من الذرائع التي يمكن الارتكان إليها في محاولة تبرير الإنسان لفقره، ومن بين تلك العناصر العقدية توضيح الفهم الصحيح للقضاء والقدر بشأن الفقر، فقد يعتقد الإنسان أن فقره هو قضاء الله وقدره، كتبه عليه، ولا مفر منه، فلا يحاول مواجهته متعللاً بذلك، فيستمر قابعاً مستسلماً في ظل الدائرة الخبيثة التي يعاني منها، نافياً المسئولية عن نفسه.

وقد فطن الدلجي في كتابه الشهير "الفلاكة والمفلوكون" أو "الفقر والفقراء" لهذا الخطأ العقدي فاستخلص العديد من النقاط شديدة الأهمية التي تصلح هذه العقيدة الفاسدة، ومن بين تلك النقاط:



أن الفقير فاعل فقره- أي متسبب فيه- إما استقلالاً أو مشاركة، وأن حركة العبد للسعي تتوافق مع التعلق بالأسباب ولا تنافيها، وأن الاكتساب لإحياء النفس واجب، وأنه ليس من شرط التوكل ترك الأسباب، وأن وجود المال في اليدين -لا في القلب- لا ينافي الزهد.

ومن بين العناصر العقدية التي صححها الإسلام في إطار معالجة مشكلة الفقر كذلك:

تصحيح نظرة الإسلام المسلم للعلاقة بين الموارد الكونية واحتياجات البشر، وهو ما عبر عنه الفكر الوضعي بالمشكلة الاقتصادية، والتي توضح أن الموارد الطبيعية تتميز بالندرة النسبية بمعنى أنها موجودة ولكنها لا تكفي جميع احتياجات البشر، لا سيما في ظل تجدد وتطور تلك الاحتياجات، بل وتطورت تلك النظرة القائمة للعلاقة بين الإنسان والموارد إلى تشاؤم غير محدود، وذلك في النظرية المالتوسية الشهيرة التي قالت إن وتيرة التكاثر الديمغرافي (السكاني) هي أسرع من وتيرة ازدياد المحاصيل الزراعية وكميات الغذاء المتوفرة للاستهلاك، وهذا من شأنه أن يؤدي في المحصلة إلى اختلال التوازن بين عدد السكان من جهة، وإنتاج الغذاء اللازم لإطعامهم من جهة أخرى، مما ينذر بمشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة، من فقر وجوع، وبروز لظواهر مجتمعية سيئة؛ كالتشرد والتسول واحتراف النصب والسرقة.

ويشير مالتوس أمام هذا الوضع إلى أن المجتمع إذا لم يتدارك نفسه ويضع لأفراده (الفقراء منهم تحديداً) قيوداً أخلاقية للتحكم في وتيرة تكاثر أعداد السكان بما يتوافق قدرته على إنتاج الغذاء، فإن "قوانين الطبيعة" ستفعل فعلها فيه لإعادة التوازن إليه وإرجاع الأمور إلى نصابها، عبر تفشي الأمراض والمجاعات وكثرة الحروب اقتتالاً على الموارد تحت سطوة غريزة البقاء عند الإنسان.

أما الفكر الإسلامي فيشير بداية إلى انتفاء تلك المشكلة حيث يقول المولي عز وجل ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [هود: ٦]. وقال تعالى

كذلك: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾. [الحجر: ٢١].

الآيات السابقة قطعية الدلالة على انتفاء المشكلة الاقتصادية بمفهومها الوضعي، بل وتؤكد على التوازن بين الاحتياجات الإنسانية والموارد الاقتصادية، فلا وجود لمشكلة الندرة، لا حالياً ولا مستقبلاً، والموارد كافية لإشباع احتياجات الإنسان بتجددها وتطورها، وأما رزق الإنسان فيتوقف على قدرته في السعي والاكتساب، وما حباه الله له من مواهب طبيعية استطاع الحفاظ عليها وتطويرها بما يخدمه في مجالات الكسب.

أما عن التفاوت في الأرزاق بين البشر فيعود إلى تصرفات الإنسان نفسه، فظُلم الانسان لأخيه الإنسان والإسراف والاحتكار والتبذير وغيرها من الأمراض الاقتصادية على مستوى الدول والأفراد -هي المسئولة عن الفجوة الواسعة في الدخول، لا سيما في ظل التطبيقات العملية لأنظمة اقتصادية تكرس الظلم وتوفر المناخ الملائم للقهر الاقتصادي وإبقاء الهيمنة والتبعية للفقراء من الدول والأفراد.

أما التصحيح العقدي الثالث بشأن مواجهة الفقر فى الفكر الإسلامي، فهو الفهم الصحيح للملكية على أساس كونها ملكية استخلاف، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].



وببساطة فإن الخليفة مكلف بتنفيذ تعليمات وتوجيهات المستخلِف، ولا يجوز له أن يهملها أو يحيد عنه متبعا هواه، ولذلك فان الربط بين التصرفات الاقتصادية للمسلم الواقعة على الموارد وبين الخالق بعلاقة الاستخلاف، وبذلك فمن الطبيعي للمؤمن بهذه العلاقة الاستخلافية أن يوظف ملكيته في إطار معالجة مشكلات المجتمع وفي مقدمتها مشكلة الفقر.

وبالطبع لم يتوقف الفكر الإسلامي في معالجته لمشكلة الفقر عند حدود تصويب الأخطاء العقدية التي قد يعتنقها الإنسان المسلم، بل وضع كذلك مجموعة من الحزم الاقتصادية المتكاملة تتكفل بتصحيح أي اعتلال لمسيرة الإنسان الاقتصادية طوال دورة حياته، وتضمن له حال تنفيذها الخروج من دائرة الفقر الخبيثة.



وتقف الزكاة في مقدمة المنظومة الاقتصادية الإسلامية لمحاربة الفقر، وبها يعاد تحويل جزء من ثروات الأغنياء نحو مصارف محددة شرعاً لصنوف من المحتاجين، تتكفل بتوفير احتياجاتهم المعيشية الأساسية، ليتطهر قلبه من الغل والحسد على الأغنياء، ويتطهر قلب الغني من الطمع والحرص على الدنيا، بما يزيد من لُحمة التماسك المجتمعي، ويحد من الفجوات الداخلية الحادة بين مكوناته.

وتتكامل فريضة الزكاة مع الصدقات التطوعية بأنواعها المختلفة في محاربة الفقر، فالصدقة التطوعية من الهبات والهدايا وغيرها تسد بعض الثغرات التي ربما لا تصل إليها الزكاة، كما أن الصدقات الجارية المتمثلة في الفكر الوقفي تقدم نموذجاً إسلامياً فريداً في التكافل المستدام، يقوم على حبس أصل المال وتثميره والعودة بالثمرة فقط على وجوه الخير والنفع التي يتبناها صاحب المال، مع بقاء الأصل.

وقد فطن المسلمون في العصور المختلفة لأهمية ودور الوقف في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأنه والزكاة عمودا خيمةِ الأمة، فراجتِ الأوقاف وانتشرت انتشاراً عظيماً في كافة المجالات، موفرةً الاحتياجات الأساسية، ليس للفقراء فقط بصفة عامة ولكن أيضاً للطلاب والعلماء والمدارس والمستشفيات، ومن المرجح أن الكثير من المشاكل الاقتصادية التي تمر بها المجتمعات المسلمة حالياً بسبب تغول الدولة على الأوقاف.

ثم يأتي بعد ذلك" القرض الحسن" لينضم إلى منظومة الحزم التي يواجه بها الفكر الإسلامي مشكلة الفقر، وهو مبلغ من المال يُعطى دون مقابل طلباً لثواب الآخرة، ولعل القرض الحسن هو الحلقة المفقودة حالياً في منظومة المشروعات المتناهية الصغر والصغيرة، والتي تعاني فقدان الملاءة المالية للاقتراض من النظام المصرفي، وحال انتشار تطبيقه سيوفر التمويل الملائم لتلك المشروعات التي تحول الفرد من فئة المعوز إلى فئات دافع الزكاة والمتصدق ربما في عام أو عامين فقط، هذا بالطبع بخلاف أهمية القرض الحسن في مواجهة العثرات المالية والظروف الطارئة للبعض ويحتاجون خلالها للمساندة المؤقتة لفترة من الزمن.

وكذلك تأتي كفالة اليتيم والأقارب كعناصر مكملة من حزم محاربة الفقر، ولكفالة اليتيم درجات فمنها ضم اليتيم بصورة كاملة للأسرة، أي التعهد بالإنفاق والتربية، ومنها التعهد بالإنفاق فقط، ولا شك أن كفالة اليتيم باب واسع من أبواب الخير في المجتمع، فهي لا تعمل على توفير الاحتياجات المالية له فقط بل تعمل على صيانته تربوياً وخلقياً، وتنشئته التنشئة الصالحة لفرد نافع لأمته، كما أن كفالة الأقارب تحفظ ماء وجوههم وتحفظهم من التسول والاستجداء وكلها من الأمور التي تصلح المجتمع.

وأخيراً فإن الإسلام جعل الإنفاق والإطعام كفارة (ما يقدره الشرع جبراً لنقص أو خطأ، أو زجراً عن معصية ومخالفة) للكثير من المعاصي، وللكفارات أنواع متعددة فمنها كفارة الصيام ومنها كفارة اليمين ومنها كفارة الحج ومنها كذلك كفارة القتل والظِهار، ولعل حرص الإسلام جليٌّ في جعل الكثير منها بالإنفاق والإطعام.

في الحقيقة فإن المنهج الإسلامي زاخر بتفاصيل محاربة الفقر والقضاء على شأفته، وما تم تناوله سابقاً كان نذراً يسيراً مختصراً إلى حد كبير، ولكن تجدر الإشارة إلى أنه لكي تتوافر عناصر تلك الحزم وتنجح في محاربة الفقر يجب أن تقوم الدولة بدور رئيسي ليس فقط بالإنفاق المباشر من الإيرادات العامة، ولكن أيضاً بتوفير المناخ القانوني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الملائم لتطبيق تلك الحزم وضمان فاعليتها، وهو الأمر الذي نراه غائباً في ظل حقب استبدادية معتمة، جعلت فقر الأمة والأفراد صفات طبيعية لا تشمئز منها العقول والقلوب.



كيف حارب النبي ﷺ الفقر؟ (١/٢)



الشيخ محمد بن محمد الأسطل

باحث في العلوم الشرعية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ مشكلةَ الفقر من أشهر المشاكل التي أرَّقت الأمم من قديم؛ لشِدَّةِ ما ينتج عنها من آثارٍ من شأنها أن تُشَوِّشَ حَياةَ الإنسان وتُعَكِّرَ مِزاجه وتُعطِّلَ مصالحه، حتى إنها قد تعود بالتشويش على الاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد وللعائلة.

•• وهذا ما جاء التعبير عنه في أحد الأمثال الشعبية في الشام بقولهم: «إذا دخل الفقرُ من الباب هرب الحبُّ من الشُّبَّاك».

وإزاء ذلك تعدَّدت الحلولُ المقترحة لعلاجِ هذه المشكلة، حتى تسيَّدت بعض الرؤى لتصبح قانونًا ملزمًا في بعض العصور والأماكن، إلا أنه لم يَخْلُ شيءٌ منها من آثارٍ سلبيةٍ ربَّما زادت المجتمع تمزقًا وطبقيةً، وزادت المشكلة تعقيدًا.

إنَّ الإسلام قد حارب الفقر ولم يقبل به، وتعددت التدابير التي يُواجه بها، وإذا كانت الدول تبدأ ضعيفةً مستنزفة، ثم تصل إلى الاستقرار، ثم تشق طريقها في درب النهضة والحضارة.. فإنَّ النبيَّ ﷺ سلك هذه المسالك، وسار في كلِّ مرحلةٍ في عدة مسارات، لا سيما حين تولى الحكم في المدينة بعد أن دخلها سلطانًا سياسيًّا كما دخلها نبيًّا مرسلًا.

أولًا: منح القيمة الاعتبارية للمال في الإسلام

تعاملت الشريعة مع المال تعاملًا متوازنًا، يجمع بين متطلبات المادة والروح، والفرد والمجتمع، وحوائج الدنيا ومركزية الآخرة، فليس المال مزهودًا فيه كما أنه ليس إلهًا يُعبد.



ومن ثَمَّ وجدنا المال أحد الكليات الخمس في الشريعة، فالشريعة لا تُنظِّر للفقر ولا للمسكنة، بل إنَّ كمية النصوص التي تدعو للعمل والإنتاج والإنفاق وإيتاء ذوي القربى والإقراض والزكاة والنفقة في الجهاد والكفارات.. تستفزنا للعمل على محاربة ظاهرة الفقر، ولا يبعد أن تدل دلالةً إشاريةً إلى أنَّ المسلم ينبغي أن يجعل من عمله أن يكون غنيًّا لا يقف بباب أحد.

ومن هنا وجدنا النبي ﷺ يتعامل مع الفقر أنه من جملة المصائب التي يتوقاها المرء ويستعيذ بالله تعالى منها:

فقد روى النسائي من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْقِلَّةِ وَالْفَقْرِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ»[١].

• وروى أيضًا ما مفاده أنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو دبر كل صلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[٢].

وعند أبي داود عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَمِنْ شَرِّ الْغِنَى وَالْفَقْرِ»[٣].

ولعلك لحظت اقتران الفقر بالذل والكفر وعذاب القبر والفتن بما يشي بأنَّ الإسلام يتعامل معه على أنه مشكلةٌ ذاتُ خطرٍ تحتاج إلى حل.

والنبيُّ ﷺ نفسه لم يكن فقيرًا على الدوام كما يستقرُّ في بعض الأذهان، فالنبي ﷺ كان بمكة تاجرًا، ثم ورث مال خديجة رضي الله عنها وهي من أثرياء مكة.

ولما ذهب إلى المدينة أعطاه الله خُمُسَ الخُمُس من الغنائم، يعني سهمًا من خمسة وعشرين من مال الأمة، وأعطاه أربعة أخماس الفيء؛ أي من المال الذي يؤخذ من العدو من غير قتال، وقد رأيناه يذبح يوم حجه ثلاثة وستين بدنةً من ماله الشخصي.

وأحصى الدكتور عبد الفتاح محمد السمان وفقه الله في رسالته «أموال النبي ﷺ كسبًا وإنفاقًا وتوريثًا» بإشراف شيخنا الدكتور محمد الزحيلي وفقه الله بأن مجمل ما دخل من الذهب في مالية النبي ﷺ بلغ (١٢١٧) كيلو جرام من الذهب، ومجمل تركته من العقارات والأراضي بلغ (١٥) قطعة أرض.

---

١. سنن النسائي، رقم الحديث: (٥٤٧٧). وصححه الألباني.
٢. سنن النسائي، رقم الحديث: (١٣٤٦).
٣. سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥٤٥). وصححه الألباني.

أما ما يذكر من أنه ربط على بطنه الحجارة من الجوع، وأنه كان يمر عليه الهلال ثم الهلال ولا يوجد في بيته طعام، وأنه تُوفِّي ودرعه مرهونة عند يهودي.. فهذه من الحالات الطبيعية التي تمر بالإنسان، فلا يكون عنده سيولةٌ مالية، وإن امتلك قطعة أرض هنا أو عقار هناك، فتتقلب عليه الأحوال فقرًا وغنى، ضيقًا وسعةً.



•• ويزداد الأمر في شخص النبي ﷺ أنه كان يتقصَّد التخفف من الدنيا، والتصدق بما يؤتيه ربه على أصحاب الحاجة، لكنه كان في الجملة ذا مال، كيف وقد قال الله تعالى له: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (الضحى: ٨).

ثانيًا: خضوع المشكلة المالية لنظامٍ اقتصاديٍّ متكامل

لا يخفى أنَّ أيَّ ظاهرةٍ معقدة أسبابُها مركبة ومن ثم حلولها مُركَّبة، والنظام الاقتصادي في الإسلام فيه حلقاتٌ يُكمِّل بعضُها بعضًا، وهو نظام مستقلٌّ لا ينتسب لأيِّ مذهبٍ أرضيٍّ ولا ينتسب إليه أي مذهب.

فالرأسمالية مثلًا جعلت الفقر شرًّا، لكنَّها جعلت الفقير هو المسؤول عن فقره، أما الغني فليس لغيره في ماله نصيب، جريًا على منهج قارون حين قال عن ماله الذي بلغ ثروةً هائلة: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨].

ولهذا من إفرازات الرأسمالية انتشار الأنانية في الأغنياء، وتفشي القسوة التي لا ترحم صغيرًا ولا تشفق على عاجز ولا تحنو على ضعيف، فالفقراء والمستضعفون مسحوقون تحت وطئة النظام الرأسمالي.

أما الاشتراكية.. فقد وقفت في الاتجاه المعاكس؛ فاتخذت من القضاء على طبقة الأغنياء حلًّا، وألَّبت بقية الطبقات عليهم، وواصلت المسير حتى حاربت الملكية، وحرمت الناس من التملك لا سيما في الأراضي والمصانع والآلات.



وكان من إفرازات ذلك انتشار الحسد والبغضاء والصراع الكامن في النفوس، لينتصر في نهاية المطاف الأكثر عددًا وهم العمال.

•• فالرأسمالية حمَّلت الفقير تبعات فقره، والاشتراكية حطَّمت الغني، وكلاهما فسادٌ عريض.

ولهذا لا غرابة حين يذهب صانع القرار الأمريكي في السبعينات إلى خطة جهنمية تقوم على إبادات جنسيةٍ لتقليل سكان العالم في سياق السيطرة عليه، وأنَّ الحل الأنجع الذي توصلوا إليه لعلاج مشكلة الفقر إنما هي في القضاء على الفقراء أنفسهم!

أما في الإسلام فليس الأمرُ على ذلك ولا بعضه؛ فالعلاقة بين الغنيِّ والفقير علاقةٌ شريفةٌ مقدسة، مشحونة بالمعاني الأخوية ومكارم الأخلاق وسطوة القيم، فالأغنياء والفقراء يحبون بعضهم بعضًا، بل ويرى الغني للفقير فضلًا عليه إذ يأخذ منه ما يتقرب به إلى الله تعالى؛ إذ الصدقة في التراتيب التعبدية في الإسلام على مرتبةٍ رفيعة جدًّا.

وبناءً على ما تسطر: فإنَّ علاج مشكلة الفقر أمرٌ يتوزع بين الفقير والغني والمجتمع والدولة، فالكل يحتشد في النظام الإسلامي ليضرب له بحظٍّ في العلاج.

ومن هنا فإنَّ الإسلام أرفع قدرًا من أن يُوضع بجوار المذاهب الأرضية، بل المقارنة بينهما مقارنةٌ بين الظلمات والنور.

ثالثًا: خدمة المنظومة الشرعية للأطروحات الاقتصادية

ثمة قواعد شرعية تعد رافعةً لأيِّ طرحٍ اقتصاديٍّ من شأنه أن يحل المشاكل المالية والتي من أهمها الفقر، ومن ذلك مثلًا:

١. تحريم ما فيه استغلال ذوي الحاجة أو الإضرار بهم:

- ورأس الأمثلة في هذا: تحريم الربا وتشديد الإسلام فيه؛ فهذا من شأنه أن يمنع من استغلال حاجة الفقير، مع التحريض على القرض الحسن ورصد الأجور له.

ومن هذا ما روى المنذري عن أبي أمامة عن النبيِّ ﷺ قال: «دَخَلَ رجلٌ الجَنَّةَ فرأى مكتوبًا على بَابِهَا الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أمثَالِهَا والقَرضُ بثمانية عشر»[٤].

فتخيل نظامًا شرعيًّا يجعل جزءًا من معايير الرقي في درجات الجنة بحسب درجة القرب من الفقراء وكفالتهم وحل مشاكلهم، حتى إنَّ الفقير يصبح بالتربية الشرعية في كثيرٍ من الأحيان مبحوثًا عنه لا باحثًا.

أضف إلى ذلك رزمة التدابير الوقائية التي تحفظ للناس أموالهم، لا سيما الفقراء؛ كتحريم الغش والقمار والاحتكار، ومنح من يخشى الخديعة ثلاثة أيام، وتشريع خيار الرد بالعيب، وخيار النقيصة وغير ذلك.

٢. تشريعات تحرك أسواق العمل:

وذلك مثل الحج؛ فإنه يفتح أسواق الأنعام ليُباع منها بالملايين، وقل مثل ذلك في موسم الأضاحي وكذلك العقائق.

وإذا جاء رمضان رأيت ما لا يُحصى من الناس يحرصون على تفطير الصائم، بناء على حديثٍ صحيحٍ يثبت أنَّ من فطَّر صائمًا فإنَّ له مثل أجره، وهذا فيه من تحريك الحالة الاقتصادية لأصحاب المتاجر والخدمات ما فيه.

---

٤. الترغيب والترهيب، رقم الحديث: (١٣٣٢). وحسنه الألباني.

٣. كفارات علاجية تضرب لها بسهمٍ في ذلك:

ككفارة اليمين مثلًا، فإنَّ المُكفِّر هو الذي يبحث عن عشرة مساكين ليخرج من يمينه.

- وقل مثل ذلك في النذر، وأن صدقة السر تطفئ غضب الرب، فالإنسان لو وقع في ذنب يصبح من تدابير تحلله فيما بينه وبين ربه أن يتصدق على ذوي الحاجة.



رابعًا: الزكاة

فُرِضَت الزكاةُ في السنة الثانية من الهجرة والمجتمع الإسلامي في بدايات تأسيسه وتكوينه، وكان فرضها وركنيتها خطوةً مثيرةً للإعجاب حقًّا، إذ إنَّ مؤازرة الفقراء وبعض مصارف الحاجة ارتقى في الإسلام ليكون ركنًا من أركانه الخمسة الكبرى!

ومن الآيات في ذلك: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٤٢،٤٣)، فحَظُّ الفقير في الإسلام حقٌّ ثابتٌ لدرجة أنه حقٌّ لا عقد، وأنَّه معلومٌ مُقدَّر لا مجهولُ مُفترض، فالإسلام جعل الزكاة حقًّا من حقوق الله تعالى على عباده، وحقًّا من حقوق الإنسان على أخيه الإنسان.

ولم يقف الأمر عند هذا القدر من المؤازرة، بل إنَّ التفاصيلَ الواردةَ في قانون الزكاة الإسلامي جديرةٌ بالإعجاب هي الأخرى، وأسجِّل من ذلك الأمور الستة الآتية:

أولًا: أنَّ نطاق صرف مال الزكاة غير مرتبط بخصوص الطعام والشراب، وإنما يمتد ليشمل مواطن الحاجة الأخرى؛ كبناء البيت والزواج والعلاج والسفر وأضراب ذلك.

ثانيًا: المبلغ الذي يُعطى للفقير لا ينحصر في رقمٍ يُمثِّل معونةً مؤقتةً لا يغتني بها، بل إنه مُقدَّرٌ عند الشافعية بكفاية العمر الغالب.



ومعنى ذلك: أنَّ عمر الإنسان العاجز عن الكسب المستحق للزكاة لو كان ثلاثين سنة الآن، وقلنا: إنَّ متوسط العمر الغالب ٦٥ سنة.. فإنَّ هذا الفقير يحتاج لنفقة ٥٣ سنة، ولو كان يحتاج في كل شهر ٢٠٠٠ رِيال.. فهذا يعني أنَّ كفاية العمر الغالب تقترب من ٢٥٠ ألف ريال!

•• ولا يُشترط أن تُعطى له وجبةً واحدة؛ بل يمكن أن تُعطى على هيئة راتبٍ شهري.

لكن المهم في التدبير الفقهي أنَّ عددًا من الفقراء يتم شطبهم في كلِّ عام من سجلات الفقراء.

وهذا الكلام في حقِّ غير القادر على الكسب، أما القادر فيُعطى ما يشتري به آلات الحرفة التي يحسن، لينتظم في سلوك أصحاب الدخل، كما سيأتي معنا من تصرف النبي ﷺ مع بعض الفقراء إذ تدبَّر أمورهم على هذه السياسة.

ثالثًا: أنَّ مبلغ الزكاة منوطٌ بالكفاية لا بمقدارٍ عُرفِيِّ معين؛ فقد يكون الإنسان موظفًا ذا دَخلٍ إلا أنه على حالةٍ اجتماعيةٍ تجعل ما يأخذه من راتب لا يكفيه، وهذا هو المُسمَّى في اللغة الشرعية بالمسكين.

فالإسلام يُسعفه بما يحتاج ليصل إلى حد الكفاية الذي يريد.

والفقراء أسعد الناس حظًّا بهذه التدابير التي تُبلِّغهم مرادهم مع حفظ ماء وجوههم، فرعاية الجانب النفسي في النظام الإسلامي لا يختلف عن رعاية الجانب المالي نفسه.

رابعًا: التشديد الشرعي في نقل الزكاة من موطن دفعها

فليس الباب مقفلًا في الفقه، لكنه محاطٌ بضوابط مُقيِّدة؛ إذ الأصل أنَّ أموال الأغنياء تعود في الفقراء.

فإذا حُلَّت مشكلة بقعة أمكن نقل ما فاض من مال أهلها إلى غيرهم، وفي الكتب الفقهية تفاصيل لا تحتملها هذه الرسالة المختصرة.

خامسًا: جعل الأقارب أولويةً في الصرف

•• روى مسلمٌ في صحيحه عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ»؟ فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي»؟ فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا» يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ»[٥].

وروى النسائي في سننه عَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ: «يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»[٦]. صححه الألباني.

بل إنَّ القرآن جعل للقريب حقًّا كما قال سبحانه: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦]، ولهذا يمكن أن تجب النفقة على الأقارب، ولكن بشرطين: فقر من تجب له، وأن يكون للمنفق مال زائدٌ عن نفقته ونفقة أهله.

والميراث نظامٌ عظيمٌ يؤدي دورًا جيدًا في حل مشكلة الفقر، والتوزيع فيه في غالبه يدور على درجة القرابة.

وبهذه النقطة والتي قبلها يتبين أنَّ السياسات الإسلامية في الباب أقرب إلى الاقتصاد الجزئي منها إلى الاقتصاد الكلي.

---

٥. صحيح مسلم، رقم الحديث: (٢٣٦٠).
٦. سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٥٣١).

سادسًا: إنزال العقوبات بمانع الزكاة



•• والعقوبات المأثورة في الباب كثيرة، سواء كانت في الدنيا أو في الآخرة، ولكن هنا أكتفي بعقوبتين إيجازًا:

الأولى: مصادرة نصف مال الممتنع عن الزكاة؛ لما روى أبو داود في سننه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ»[٧]. حسنه الألباني.

فهذا الجزء من الحديث يجيز لوليِّ الأمر مصادرة نصف مال الممتنع، وهي عقوبةٌ تعزيريةٌ تُتَّخذ عند الحاجة تأديبًا لمن يمتنع، وليست دائمة ولا لازمة، وقد تكون بالحبس وغيره بما يراه الحاكم مناسبًا.

الثانية: إعلان القتال ضد مانعي الزكاة، كما فعل أبو بكر الصديق بما عُرف بحروب الردة لما امتنعوا عن الزكاة، والأمر هنا فوق خطورة الزكاة إلا أنَّ الحرب شُرعت فيمن أراد أن ينقص شيئًا بعد أن كمَّله الله تعالى ومات رسول الله ﷺ على ذلك.

وبما تقرر تدرك حساسية مشكلة الفقر في التصور الإسلامي.

المحور الثاني: ما يتعلق بالفرد

ما تسطَّر في المحور الأول يفتح بعض المسارات التي يمكن أن تُتَّخذ حلولًا، لكن الأصل العام في عملية الاسترزاق هو العمل، فينزل الفرد لسوق العمل ويعمل فيما يفتح الله له ويتوقى بذلك ذل السؤال

٧. سنن أبي داود، رقم الحديث: (١٥٧٧)، سنن النسائي، رقم الحديث: (٢٤٤٣) واللفظ لأبي داود.

والعمل هو الذي يؤدي إلى الإنتاج الذي هو قاعدة الاقتصاد الأُولَى.

•• ومجالات العمل تتردد بين الزراعة والصناعة والتجارة، وأكثر العقود المالية دورانًا: التجارة بالبيع والشراء، والشركات، والإجارة، والمضاربة.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان حريصا غاية الحرص على الاستقلال الاقتصادي، والخلاص من مشكلة الفقر التي يمكن أن تقعد بمشروع إنشاء الدولة الإسلامية، وتؤثر على خطة سيره.

فنراه من الأيام الأولى ينشئ سوقًا خاصًّا بالمسلمين وقد كان الاتجار في سوق قينقاع، ويستقل بالحوائج الأساسية كالماء كما سيأتي تفصيله في المحور الرابع إن شاء الله.



واستطاع النبيُّ ﷺ أن يتدبَّر الظرف الطارئ المتمثل في هجرة عدد كبير من الصحابة إلى المدينة من خلال الحث على إطعام الطعام كما صرَّح بذلك في خطابه السياسي الأول في المدينة، ثم في اختراع فكرة المؤاخاة لتحل بديلًا عن قانون الجوار.

ومع أنَّ الأنصار لم يقصروا بل آثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم..» إلا أن النبي لم يكتفِ بالحلول المؤقتة، وراح يفتتح سوقًا خاصًّا بالمسلمين؛ لئلا نبقى تحت تحكم اليهود، فضلًا عما يعرضونه في السوق مما لا يحل بيعه ومقارفته.

ثم بدأت رحلة التحريض على العمل والحث عليه والتحذير من التعرض لمسألة الناس:

فقد روى البخاري في الصحيح عَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[٨].

٨.صحيح البخاري، رقم الحديث: (١٤٧١). وعند مسلم مثله برقم: (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة.

ومدح الذي يأكل من عمل يده، ففي الصحيح عَنْ الْمِقْدَامِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[٩].

ووعظ الصحابة بأفعال الأنبياء من قبلهم يعمل في النفوس عملَه كما لا يخفى.

•• وفي نفس الاتجاه ما جاء في المستدرك في حديثٍ طويلٍ خلاصة ما فيه أنَّ آدم كان حرَّاثًا، ونوحًا كان نجارًا، وإدريس كان خياطًا، وداود كان زرَّادًا، وموسى كان راعيًا، وإبراهيم كان زرَّاعًا، وصالحًا كان تاجرًا، والنبي نفسه كان يرعى غنم أهل بيته، وحواء كانت تغزل الشعر، ومريم بنت عمران كذلك[١٠].



وهذا كله إعمالٌ لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

فإن تعسر باب الرزق على الإنسان وكان قادرًا على الكسب.. فالمنظومة الشرعية نفسها تعينه في الخروج من هذا المأزق بحسن سؤال الله، كما لقَّن النبي ﷺ ابن عباس بقوله: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ..»[١١].

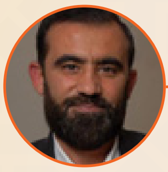
ومن وسائل ذلك: الاستغفار، وجاء الوعد بالرزق بذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

وهذا أمرٌ مجرَّب، وفائدته غير المال أنَّ الإنسان يواجه مشكلة الفقر بسكينةِ نفسٍ وراحة بال.

وللحديث بقية في المقال القادم إن شاء الله..



هل كان رسول الله ﷺ من الأثرياء؟



د. بسام محمد صهيوني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

سؤال يطرح نفسه عند قراءة سيرة رسول الله ﷺ، والاطلاع على سنته الشريفة، هل كان النبي ﷺ صاحب ثروة ومال؟ أم كان صلوات ربي وسلاماته عليه يعيش الكفاف في هذه الحياة فلم يجمع شيئاً من حطام الدنيا، ولم يكون ثروة ولم يخلف ميراثاً لأهله؟

سوف نحاول الإجابة على هذه التساؤلات بكل وضوح وبساطة من سنة وسيرة المصطفى ﷺ.

حال النبي ﷺ قبل البعثة

ورد في السيرة النبوية الشريفة أنه ﷺ كان عمل في التجارة مع خديجة رضي الله عنها، وعند الهجرة أحضر أبو بكر رضي الله عنه ناقتين كان أعدهما لذلك فأبى النبي ﷺ إلا أن يدفع ثمن الناقة.

والظاهر أن النبي ﷺ كان ميسور الحال، عنده من المال من يكفيه، لكنه قبل البعثة لم يشتهر عنه أنه من أصحاب الثروات الكبيرة، والأموال الوفيرة.

حال النبي ﷺ بعد البعثة وقبل الهجرة وبعدها



وعند نزول الوحي نرى أن النبي ﷺ انقطع للدعوة وتبليغ الرسالة مستعيناً بما لديه من مال، حتى هاجر إلى المدينة النبوية حيث تفرغ تفرغاً كاملاً للدعوة والحكم والجهاد وسياسة الناس ورياستهم في الدين والدنيا وكان اعتماده ﷺ في رزقه على الغنائم والفيء، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١]

فكان النبي ﷺ يكفي نفسه وأهله بهما في الحد الأدنى للكفاية، ويجعل لهم كفاية سَنة من غير أن يكنز مالاً ويشيد قصراً، فهو ﷺ كثير الصدقة كثير الإنفاق في وجوه الخير، لا يرد سائلاً، وما قال لا قط لأحد.

وكان صلوات ربي وسلاماته عليه يشبع أحياناً ويجوع أخرى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة، قال أسامة: وأنا أشك على حجر، فقلت لبعض أصحابه لَمَ عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا: من الجوع، فذهبت إلى أبي



طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أبتاه، قد رأيت رسول الله عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه، فقالوا: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي، فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم، عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ وحده أشبعناه، وإن جاء آخر معه قل عنهم، ثم ذكر سائر الحديث بقصته[1].

•• وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت إنها قالت لعروة: «ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلّة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار». فقلت يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: «الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، كانت لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم، فيسقينا»[2].

وتقول أيضاً رضي الله عنها: «ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله»[3].

مع أن خبز الشعير لم يكن يتناوله إلا قليلو المال، مع ذلك لم يكن متوفراً دائماً في بيت النبي ﷺ، فقد كان ملخص عيشه الكفاف فحسب.

عبداً رسولاً وليس ملكاً نبياً

وكان كل ذلك مع الرضى والسعادة القلبية التامة التي لا توجد عند أحد من الخلق كما وُجدت عنده ﷺ، فهو الذي اختار ذلك طوعاً منه؛ فعن أبي هريرة قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، أفمِلكاً نبياً يجعلك أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبداً رسولاً»[4].

١. صحيح مسلم (١٦١٤/٣) رقم ٦.
٢. البخاري رقم (٢٥٦٧)، ومسلم رقم (٢٩٧٢).
٣. مسلم رقم (٢٩٧٠)
٤. مسند أحمد (٧٦/١٢) رقم ٧١٦٠.

لأن هذه الحياة دار عبور يتبلغ منها المرء ما يتقوى به على عبادة ربه، وما المال إلا وسيلة غير مقصودة بذاتها، فاختار النبي ﷺ أن لا يتمتع بمزايا الملوك وحياة الملوك، التي لا تنفك غالباً عن القصور والخدم والحشم وأطايب الأطعمة، واختار أن يكون كعامة الناس، فهو إن لم يستطع أن يعطيهم جميعاً ويغني فقراءهم، لا أقل من أن يعيش مثل عيشهم فيجوع كما يجوعون ويعاني مثل ما يعانون ويشعر بما يشعرون به، وهذا الخُلق لا يكون إلا من أنبل الناس خلقاً وأرفعهم شرفاً وقدراً.

ماذا ترك النبي ﷺ بعد موته؟

لم يكن النبي ﷺ صاحب ثروة ولم يجمع مالاً لورثته من بعده، فقد كانت عينه على الآخرة (كما يقال)، وقلبه معلق بربه وما عنده من الثواب والنعيم والجنان، كي يربي أتباعه ويكون قدوة لهم، فبهدى القدوة يهتدي الأتباع، والقدوة العملية في هذه المواطن أعظم أثراً من الخطب والمواعظ .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: «إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به، أخذ بحظ وافر»[٥].

فميراث النبوة الحقيقي هو العلم والتعلم، وهما رأس المال، فالدنيا عالم ومتعلم، وما سوى ذلك وسائل وأسباب فقهها أولو الألباب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مرَّ بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم، قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقَسَّم وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟! قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً إلى المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة فقد أتينا المسجد فدخلنا، فلم نرَ فيه شيئا يُقَسَّم، فقال لهم أبو هريرة: أما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرءون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم، فذاك ميراث محمد ﷺ»[٦].

وصلى الله وسلم وبارك على خير البشر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

٥. مسند أحمد (٣٦/٤٦) رقم ٢١٧١٥

٦. رواه الطبراني في الأوسط ١٤٢٩.

.. فسوف يُغنيكم الله ..

في ظلال قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾

عبد الله الطبلوهي

باحث شرعي



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛

فمن الآيات التي تشير إلى علاج مشكلة الفقر قوله تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٨، ٢٩]

•• فهذه الآية إيذان ألا يحج بعد العام التاسع من الهجرة مشرك ولا يقرب المسجد الحرام كافر، وقد كان الحج موسما لأهل مكة تجلب فيه التجارات وتروج فيه الأسواق، فخشي بعض الناس بوار تجاراتهم وحلول العيلة والفقر بعد ذلك، فبشرهم الله جل وعلا بإغنائهم من فضله، ودلهم على بعض سبل الغنى التي وهبها لهم؛ فقال جل وعلا في الآية التالية: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

قال الطبري: «قيل ذلك لهم؛ لأن المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك، وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه، وهو الجزية".

ثم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن، قال: من أين تأكلون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم العير؟ فقال الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨] فأمرهم بقتال أهل الكتاب، وأغناهم من فضله".

ثم روى عن الضحاك أنه قال: "﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال: بالجزية..، أُخرج المشركون من مكة، فشق ذلك على المسلمين، وقالوا: كنا نصيب منهم التجارة والميرة. فأنزل الله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾"، ثم روى عن قتادة أنه قال: "أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما"، ثم روى عن ابن إسحاق أنه قال: «عوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية"[١].

وقال ابن عطية: «وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم"[٢].

وقال القرطبي: «أحل في هذه الآية الجزية وكانت لم تؤخذ قبل ذلك، فجعلها عوضا مما منعهم من موافاة المشركين بتجارتهم"[٣].

١. تفسير الطبري.
٢. تفسير ابن عطية.
٣. تفسير القرطبي.



• **وقال الطيبي عن قوله تعالى:** ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾: "واردة لبيان قوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾"[٤].

وقال البقاعي: «ولقد صدق سبحانه ومن أصدق منه قيلاً، فإنه أغناهم بالمغانم التي انتثلها بأيديهم بعد نحو ثلاث سنين من إنزالها من كنوز كسرى وقيصر غنى لم يطرق أوهامهم قط..، ولما كان ذلك موضع تعجب يكون سبباً لأن يقال: من أين يكون ذلك الغنى؟ أجاب بقوله: (قَاتِلُوا) أي أهل الأموال والغنى (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)..، ففي ذلك غنى لا يشبه ما كنتم فيه من قتال بعضكم لبعض لتغنم ما في يده من ذلك المال الحقير، ولا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التي لا يبلغ أكبرها وأصغرها ما أرشدناكم إليه، مع ما في ذلك العز الممكن من الإصلاح والطاعة"[٥].

كيف يكون الجهاد سبباً لدفع الفقر؟

الجهاد الحق في سبيل الله تعالى وحده، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو فيه ولا جفاء، من أهم عوامل دفع الفقر وحصول الغنى، وذلك لأنه يتضمن أسبابا مهمة تفيد في تحقيق ذلك، ومن أهم تلك الأسباب:

١. بالجهاد تحافظ الأمة على مقدراتها وتسترد حقوقها:

فالجهاد هو خط الدفاع عن الأمة ومقدساتها ومقدراتها، وإذا انكسر المجاهدون حل بالأمة الفقر والذل والهوان، قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ٨ - ١٠]، قال ابن كثير: «لو ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلا ولا ذمة"[٦].

---

٤. حاشية الطيبي على الكشاف.
٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
٦. تفسير ابن كثير.

واعتداء الكفار على حقوق المسلمين وديارهم وأموالهم من أهم أسباب الفقر التي يسعى المرء لدفعها بالجهاد، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

•• **وقال جل وعلا:** ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، قال السعدي: «لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لاستولى الكفار على المسلمين، فخربوا معابدهم، وفتنوهم عن دينهم، فدل هذا أن الجهاد مشروع لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره، ودل ذلك على أن البلدان التي حصلت فيها الطمأنينة بعبادة الله، وعمرت مساجدها، وأقيمت فيها شعائر الدين، كلها من فضائل المجاهدين وببركتهم، دفع الله عنها الكافرين»[٧].

ولذلك كان استرداد المسلمين لحقوقهم المسلوبة من أهم دوافع الجهاد، قال تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ومن قرأ التاريخ المعاصر علم أن تسلط الأعداء عليها وهزيمتهم المسلمين قبل أكثر من قرن من الزمان من أهم أسباب فقر الأمة؛ حيث احتلوا أكثر بلاد الإسلام وتقاسمها البريطانيون والفرنسيون والروس وغيرهم، فجعلوا أعزة أهلها أذلة وساموا المسلمين سوء العذاب، وما خرج هؤلاء المحتلون المجرمون صوريا من جل هذه البلاد إلا بعد أن أسسوا لنظم تسلب المسلمين خيراتهم لتصب في صالح الأعداء، فأصبحت ثروات المسلمين إلى اليوم مرهونة لشركاتهم ومُكنَّزة في بنوكهم، وأصبحت أسواق المسلمين عالة على منتجاتهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.



٧. تفسير السعدي.

٠٢ الجهاد سبب للرزق الوفير:

الغنائم والفيء وما يلحق بذلك كالجزية والخراج والعشور، من أهم أسباب الغنى التي تدفع عن الأمة الفقر والحاجة، وقد أحلها الله جل وعلا للمسلمين وطيبها لهم رحمة بهم، قال ﷺ: «لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا»[٨].

•• ولذلك تكرر تشجيع المجاهدين بذكر الخيرات والنعم المترتبة على الجهاد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، وقال جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، قال القرطبي: «(يَبْتَغُونَ) يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللهِ) أي غنيمة في الدنيا»[٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

وقال جل وعلا عن المجاهدين: ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

وقال ﷺ: «الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ»[١٠].

وقد روي أن النبي ﷺ قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي» [ذكره البخاري في الصحيح معلقا بصيغة التمريض، وأخرجه أحمد في المسند، وجود إسناده بعض أهل العلم كالذهبي في سير أعلام النبلاء، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار]، قال القرطبي: «جعل الله رزق نبيه ﷺ في كسبه لفضله، وخصه بأفضل أنواع الكسب وهو أخذ الغلبة والقهر لشرفه»[١١].

---

٨. متفق عليه.
٩. تفسير القرطبي.
١٠. متفق عليه.
١١. تفسير القرطبي.

•• وقد جُعلت في غنائم المسلمين بركة للأمة مع تعاقب الأزمان والدهور، فما زالت أرض الخراج والأراضي الأميرية وما وضع منها في الأوقاف تدر الخير على المسلمين في بلاد عديدة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وضع الخراج على الأرض المفتوحة يُجبى لبيت المال، ولم يقسمها بين الفاتحين: «لَوْلاَ آخِرُ المُسْلِمِينَ مَا فَتَحْتُ قَرْيَةً إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ أَهْلِهَا، كَمَا قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ»[12].



٠٣ الفقراء لهم نصيب في الغنائم والفيء:

الغنائم والفيء من الآثار المترتبة على الجهاد وفيها خير وفير، وقد جعل الله جل وعلا للفقراء فيها حقا مؤكدا، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال جل وعلا: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، قال السعدي: «وإنما قدر الله هذا التقدير، وحصر الفيء في هؤلاء المعينين لـ (كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً) أي: مداولة واختصاصا (بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ) فإنه لو لم يقدره لتداولته الأغنياء الأقوياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء، وفي ذلك من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، كما أن في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر»[13].

الجهاد سبب لزيادة الإنفاق في وجوه البر:

الجهاد ذروة سنام الإسلام، وقد حث الإسلام عليه وعلى ما يعين عليه كالجهاد بالمال الذي يفيد في تحقيق مصالح الجهاد والأمة ويدفع عنها مخاطر الفقر والحاجة، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال الطبري: "أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنُّب ما أمرتكم بتجنبه من معاصيَّ، ومن الإنفاق في سبيلي، وَعَوْدِ القوي منكم على الضعيف ذي الخلّة؛ فإنّي أحبّ المحسنين في ذلك"[14].

---

١٢. متفق عليه.
١٣. تفسير القرطبي.
١٤. متفق عليه.

وحث الإسلام على إعانة المجاهد في سبيل الله وإعانة أهله، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[١٥].

وبعث رسول الله ﷺ إلى بني لحيان: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ»، ثم قال للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»[١٦].

٥. للمجاهدين حق في بيت المال يدفع عنهم الفاقة:

من أسس تنظيم الدولة في الإسلام تجنيد الجنود لسد ثغور الأمة، وتخصيصهم وتفريغهم لهذه الأمانة، وهذا الثغر يشمل العدد الأكبر من رعايا الأمة الذين على بيت المال رعايتهم رعاية تنفي عنهم الفقر والفاقة، قال الماوردي: «وإذا نقص مال الخراج عن أرزاق جيشه طالب الخليفة بتمامه من بيت المال، ولو نقص مال الصدقات عن أهل عمله لم يكن له مطالبة الخليفة بتمامه؛ لأن أرزاق الجيش مقدرة بالكفاية، وحقوق أهل الصدقات معتبرة بالوجود..، وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكفاية حتى يستغني بها عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة، والكفاية معتبرة من ثلاثة أوجه:



- **أحدها: عدد من يعوله من الذراري والمماليك.**
- **والثاني: عدد ما يرتبطه من الخيل والظهر.**
- **والثالث: الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص.**

فيقدر كفايته في نفقته وكسوته لعامه كله، فيكون هذا المقدر في عطائه، ثم تعرض حاله في كل عام فإن زادت رواتبه الماسة زيد، وإن نقصت نقص...، ويكون وقت العطاء معلوما يتوقعه الجيش عند الاستحقاق، وهو معتبر بالوقت الذي تستوفى فيه حقوق بيت المال، فإن كانت

١٥. متفق عليه.
١٦. رواه مسلم.

تستوفى في وقت واحد من السنة جعل العطاء في رأس كل سنة، وإن كانت تستوفى في وقتين جعل العطاء في كل سنة مرتين، وإن كانت تستوفى في كل شهر جعل العطاء في رأس كل شهر؛ ليكون المال مصروفا إليهم عند حصوله، فلا يحبس عنهم إذا اجتمع، ولا يطالبون به إذا تأخر، وإذا تأخر عنهم العطاء عند استحقاقه وكان حاصلا في بيت المال كان لهم المطالبة به كالديون المستحقة، وإن أعوز بيت المال لعوارض أبطلت حقوقه اقهم دَينا على بيت المال"[١٧]



ختاماً:

فإن الحياة في ظلال الجهاد هي الحياة الهنية والعيشة الرضية، قال رسول الله ﷺ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ»[١٨]

فسلام على فارس الإسلام في كل زمان ومكان:

فَتًى لاَ يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى •• وَلَا الرِّزْقَ إِلاَّ مِنْ قَناً وَسُيُوفِ

والحمد لله رب العالمين.

---

١٧. الأحكام السلطانية.

١٨. رواه مسلم.



الرؤية الإسلامية

في مواجهة الفقر



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

منذ لحظة الخلق الأولى كانت مهمة الإنسان على وجه هذه البسيطة عملية الاستخلاف التي جعلها الله جل جلاله لآدم عليه السلام ولبنيه من بعده كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

•• وتتضمن عملية الاستخلاف القيام بعبادة الله وتحقيق العمران في الأرض ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].



وحتى يتحقق ذلك فقد سخر الله جل جلاله لهذا المكلف الآدمي كل ما في السماوات والأرض منحة وهبة منه جل جلاله ومكن الإنسان من الاستفادة مما سخر له وفق سنن وقوانين كونية فاعلة والناس بطبيعة الحال يتفاوتون في الاستفادة من خيرات الأرض تفاوتاً عظيماً علماً وقدرة، كما يتفاوتون في التزام الهدي الإلهي المنزل لضبط حركة الإنسان وطريقة حياته وتعامله مع غيره من بني آدم؛ فالتفاوت في جانبي العلم والقدرة يجعل البعض أكثر استحواذاً على خيرات الأرض واستثماراً لها، وكذلك التفاوت في السلوك الإنساني ومدى الالتزام بالضوابط الشرعية، فهناك من يكون همه جمع الثروات دون النظر لكونها حلالاً أم حراماً، وفي كلا الحالتين يحدث التفاوت في الموارد والقدرات الناتجة عنها، وينشأ الغنى في طرف والفقر في طرف آخر.

وقد ينتج عن ذلك مظالم كثيرة وصراعات دامية وتقاتل بلا توقف في سبيل تحقيق التوازن المفقود بسبب هذا التفاوت الكبير الناتج عن اختلالات عديدة، أعظمها غياب الهدي الرباني عن السلوك البشري في كيفية استثمار خيرات الأرض وكيفية توزيعها، وهذه هي كبرى المعضلات التي يعاني منها البشر ويعمل الفلاسفة وعلماء الاقتصاد على حلها وكل من منظوره الخاص؛ فمنهم من يجنح هواه لرجال المال فيدافع عنهم ويؤسس لنظام رأسمالي، ومنهم من يميل هواه للفقراء ويؤسس لنظام اشتراكي وشيوعي، وكلها معالجات بعيدة عن منهج الحق وعدالة السماء في توازن بديع يحقق الاستخلاف المنشود دون تظالم وتهارج وعدوان.



ورغم التطور الذي يغطي العالم علميا وتقنيا وتكنلوجيا إلا أن الفقر يعد من أهم المشكلات الاقتصادية في العالم؛ لأن هذا التقدم الذي نراه تحول في نفسه لأداة من أدوات التحكم والسيطرة من قِبل أغنياء العالم من دول ومجتمعات في مواجهة الفقراء، الذين تُنهب مواردهم وخيراتهم بمختلف الوسائل ويتمتع بها غيرهم وهم يعانون الحرمان والبطالة والتضخم.

وما تقوم به المؤسسات الأممية من معالجات لتقليل التفاوت الضخم بين دول العالم من حيث الغنى والفقر ما هي إلا مسكنات لا تلامس أصل المشكلة وجذورها، كما أنها لا تستطيع أن تكبح جماح جشع الأغنياء والمترفين الذين لا يشبعون مهما امتلأت بطونهم؛ لأنهم أولياء وإخوان الشيطان الذي يحملهم على الإسراف والبذخ والتبذير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٧].

وبطبيعة الحال تزداد مساحات الفقر كلما زادت مساحات الحروب، فكم من شعب عاش غنياً بموارده وعمله ولكن تحول بفعل الحروب إلى شعب فقير يتسول العالم دون جدوى، كما هو حال بعض شعوبنا المسلمة.

ولا يفوتنا التأكيد على أن المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للتنمية ومنظمة التجارة الدولية تقوم سياساتها على إعادة الهيكلة الاقتصادية في البلدان النامية بما يجعلها خادمة للدول المتقدمة، وفي النهاية تغرق هذه الدول في المديونيات من هذه المؤسسات بما يزيدها فقراً وبطالة وتضخماً وخضوعاً لمزيد من الهيمنة الدولية والنفوذ الرأسمالي، وبالتالي لا توجد معالجات حقيقية لظاهرة الفقر في ظل النظام الرأسمالي المهيمن وسطوته الظاهرة.

تعريف الفقر

الفقر في اللغة هو خلاف الغِنى، وذلك بعدم الكفاية والقدرة المالية فيما تتطلبه الحاجات الضرورية للإنسان، وذلك إما بالعجز عن العمل أو عدم كفاية العمل لسد الحاجة. والفقير هو المحتاج والعاجز والضعيف الذي لا قدرة له بالقيام بحاجاته، كحال من فقد فقر ظهره فصار مقعداً.

وتدور المعاني القرآنية لمفردة الفقر حول ذات المعاني اللغوية من الحاجة والعجز والفاقة، ولكن القرآن يضيف لها معنى خاصاً وهو الفقر المطلق بحاجة العباد جميعًا لله جل جلاله الغني الحميد في البدء والمنتهى، كما يضيف معنى جديداً في الفقر وهو الفقر الناتج عن الهجرة والجهاد والحبس لصالح الدعوة وإقامة الدين، وهو الفقر الأولى بالمعالجة لأنه متى ما قامت الدعوة والدولة بوظيفتها فإن ذلك يؤدي لمعالجة ظاهرة الفقر في النطاق الآخر.

وهذا النوع من الفقر يسميه القرآن الكريم «الإحصار في سبيل الله» بعدم القدرة على الضرب في الأرض، ليس بسبب طبيعي بل بعوامل اجتماعية حبست هؤلاء عن التفرغ لشواغل الحياة المعيشية بسبب التفرغ لهمّ الدعوة والجهاد، ولو تأملنا لكلمة «الإحصار» لوجدناها جامعة لكل مستحقي الزكاة بوجه من الوجوه، والجامع بينها هو الحبس عن العمل أو العجز عنه وعدم القدرة على مزاولة الكسب والمعاش.

الرؤية الإسلامية في التعامل مع ظاهرة الفقر



الإسلام وهو يعالج ظاهرة الفقر فإنه يعالجها من مداخل شتى وسياسات متعددة تأخذ بكافة أبعاد الظاهرة ولا تتعامل بنظرية العامل الواحد، وذلك لأن ظاهرة الفقر ظاهرة إنسانية والظواهر الإنسانية معقدة ومتشابكة بحكم التركيبة البشرية وتفاعلاتها مع الغيب والطبيعة، وسنحاول تناول الرؤية الإسلامية في تعاملها مع الفقر إجمالاً لأن المقام ليس مقام تفصيل وذلك على النحو الآتي:

١. المنطق التأصيلي الأساس في قضية الفقر والغنى هو موضوع الاستخلاف البشري على وجه الأرض وتسخير ما في طبيعة الأرض من موارد لصالح الإنسان المستخلف، وتمكينه من الاستفادة عملياً من خلال معرفة السنن والقوانين الكونية، وأن الاستخلاف عام لجميع الناس فلا يمكن لفئة أن تسيطر على خيرات الأرض وتمنع الآخرين منها، كما أن مفهوم الاستخلاف يعني فيما يعنيه أن الأرض مالكها هو الله جل جلاله والناس مستخلفون بأمره القدري والشرعي، وهذا يوجب العمل بأمر الله تعالى في ملكه وعليه.

•• فالموارد هبة الله تعالى وما ينتج عن الأرض من خيرات فهي ملكه كذلك وما ينتهي إليه من مال يتملكه الإنسان هو «مال الله تعالى»، وعليه يجب أن تكون التصرفات المالية محكومة بالشرع الإلهي وأي خروج عن ذلك فهو تمرد وفسوق عن الميثاق الأول مع الله تعالى، الذي يقضي بالاعتراف بالربوبية المطلقة لله جل جلاله.

ولهذا فإن التصور الإسلامي يقوم على فكرة الكسب والإنفاق وليس على التكديس وكنز الأموال كما هو الحال في النظام الرأسمالي، قال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]. وفي الوقت الذي حثت الشريعة على الكسب والإنفاق إلا أنها اشترطت أن يكون ذلك كسباً مشروعاً لا ممنوعاً ومحرماً، كالمال المغصوب والمسلوب والمسروق وأموال المقامرة والربا وكافة البيوع المنهي عنها بسبب الجهالة والغرر، وما ينشأ عنها من مكاسب مالية. واتخذ إزاء ذلك العقوبات الرادعة، وفي ذلك إلزام لأفراد المجتمع في البحث عن الكسب المشروع والتقيد بأحكام الشارع وفق منطق الاستخلاف المذكور.

٢. وإذا كان الاستخلاف البشري وتحقيق العمران هو مهمة الناس كافة فكذلك خيرات الأرض وما يخرج عنها متاح لهم جميعاً.

ولكن يتأثر ذلك غالباً بطبيعة الولاية السياسية القائمة على الناس، ولهذا فإن طبيعة الولاية العامة في الإسلام لا تقوم منطق القوة والنفوذ، ولا منطق السلالة والعِرق، ولا منطق السلطان المالي؛ بل تقوم على أساس الولاية الإيمانية والتآخي الذي يلغي كافة أنماط التفاوت الطبقي الجاهلي، ويؤسس لدولة الناس كافة الخاضعةِ لسلطان الشريعة وسيادتها وشورى الناس وآرائهم المعبرة عن مصالحهم توافقاً وإجماعاً.

وهذا يعني أن الناس شركاء في تحصيل العلم والمال والموارد وبناء السلطان السياسي والولاية العامة، وقد تولت الشريعة وضع الأسس والتشريعات التي تنظم الحياة بكل تفاصيلها والتي تجنب الناس الصراع على المال والجاه والموارد للاستحواذ عليها من خلال التشريعات البرلمانية، كما هو الحال في النظم الوضعية، وهو من أكثر دوافع الصراع على السلطة كما عبر عن ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته بقوله «الجاه المفيد للمال».



•• وخلاصة القول فالنظام الإسلامي يؤسس لدولة الناس لا دولة النخبة وهذا يعني تمكين الناس من الموارد وأدوات الانتاج وفق أحكام الشريعة، وهي بطبيعتها لا تجعل المال دولة بين الأغنياء ولا السلطة السياسية دولة الأقوياء؛ بل فلسفة النظام السياسي الإسلامي تقوم على أساس قوة الأمة والمجتمع وليس العكس كما هو الحال في واقعنا المعاصر، الذي همش وأضعف المجتمع وقوى السلطة السياسية، حتى تغولت على المجتمع كله ومارست عليه كافة صنوف الطغيان والجبروت.

٣. الإسلام يدعو للاستفادة من خيرات الأرض والاستمتاع بها وفق أحكام الشريعة

وهذا يعني أنه يدعو للغنى ولا يقدس الفقر والحرمان؛ بل يرى ذلك ابتلاءً وامتحاناً، فمن أصيب به فعليه بالصبر، وقد تكاثرت النصوص في ذلك، حيث نجد الإسلام يحث على الدعاء بطلب الغِنى: ورد في صحيح مسلم من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[١]. ومنها: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً صالحاً متقبَّلاً»[٢].

ومنها الدعوة بوفرة المال وتكثيره: أورد البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ دعا لصاحبه وخادمه: «اللهم أكثر ماله»[٣]. وكذا دعا لعبد الرحمن بن عوف وعروة بن جعد بالبركة في تجارتهما كما في صحيح البخاري كما اعتبر الغنى بعد الفقر نعمة يمتن الله بها على عباده: قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨]. وقال: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

١. رواه مسلم، ح/٤٨٩٨.
٢. رواه البخاري، ح/٥٨٥٩.
٣. رواه ابن ماجه، ح/٩١٥.



كما أن الشريعة جعلت أهل الانفاق المالي أفضل من غيرهم في مواطن كثيرة، وجعلت الغنيّ المنفق أحد اثنين تمدح غبطتهم؛ إذ يقول رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق...»[٤].

والمال قوة وقوام الحياة به، ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء:٥]. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «إنا أنزلنا المال لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة»[٥]. وفي الصحيح يقول رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»[٦]. وقد قدّمت الشريعة الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في معظم المواضع القرآنية لأهميته.

إذن فكرة تقديس الفقر ليست أصيلة بل هي دخيلة وافدة على التصور الإسلامي.

٤. أوجبت الشريعة العدل بكل صوره وحرمت الظلم بكل صوره

وتواترت نصوص الكتاب والسنة على ذلك، ومن أهم أنواع العدل المنشود العدل في توزيع الثروات، وذلك بتحقيق العدل الاجتماعي والاقتصادي بتأمين الكفاية من حاجات الإنسان الضرورية، من ملبس ومسكن ومأوى.

وقد شرع الإسلام لتحقيق ذلك شعيرة الزكاة، التي هي إحسان إلى الخلق ومواساة من الأغنياء إلى الفقراء، وينطلق الإسلام في ذلك من أن الحاكم ليس مالكاً لبيت مال المسلمين، إنما دوره هو التقسيم والتوزيع بالعدل، ولا يجوز له أن يخص نفسه أو أهل بيته أو أقاربه بالأموال والأملاك لقول النبي ﷺ: «إنما أنا قاسم والله المعطي»، وقال الإمام السيوطي في وجه دلالة الحديث: «إن التمليك والإعطاء إنما هو من الله تعالى لا من الإمام، فليس للإمام أن يملك أحداً إلا ما ملكه الله، وإنما وظيفة الإمام القسمة، والقسمة لابد أن تكون بالعدل»[٧].

---

٤. رواه البخاري، ح/٧١.
٥. صحيح الجامع من حديث أبي واقد الليثي.
٦. أخرجه أحمد وابن ماجه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
٧. راجع: حسن سلمان، فقه المشاركة السياسية بين التأصيل والممارسة، ص٣٠١، ٣٠٢.

وجاء عن عليّ رضي الله عنه قال: «مرت إبل الصدقة على رسول الله ﷺ، فأهوى بيده إلى وبرة من جنب البعير فقال: «ما أنا بأحق بهذه الوبرة من رجل من المسلمين»».

•• فقد حرم الإسلام الربا والاستغلال بكافة صوره السياسية والاقتصادية، فالإسلام في تشريعاته المالية يتجه إلى الكسب الحلال والتوزيع العادل حتى لا تتكدس الثروات في أيدي فئة قليلة يتداولونه فيما بينهم، وحتى يتحقق التوازن الاجتماعي بين فئات المجتمع، سلك عدة سبل ووسائل منها: تقريب الفوارق بين الأغنياء والفقراء.

فالإسلام يرفض تكدس الثروة في أيد قليلة وحرمان الجماهير منها، وهذا مبدأ أصيل من مبادئه في المال والاقتصاد ويكون ذلك بالحد من طغيان الأغنياء، وبرفع مستوى الفقراء، تحقيقاً للتوازن الاجتماعي بين الناس وتفادياً لأسباب الحقد والعداوة والصراع بين أبناء المجتمع الواحد، ولذا جاء القرآن الكريم معللاً حكمة توزيع الفيء على الفئات المحتاجة من المهاجرين، وعلى القيادة الإسلامية اتخاذ كافة الإجراءات الكفيلة بتحقيق التوازن، بالأخذ من أموال الأغنياء ما تقتضيه حاجة الخزانة العامة ومصالح المسلمين، عملاً بقاعدة المصالح المرسلة، كما يجوز للقيادة المسلمة التدخل لمنع أي مفسدة تحول دون تحقيق التوازن الذي من شأنه أن يؤدي إلى مفاسد اجتماعية شتى، التزاماً بقاعدة سد الذرائع»[٨].



٥. يقوم التصور الإسلامي في مجال الاقتصاد على أن السعي والعمل هو أساس في عمارة الأرض وتحقيق الكسب المشروع لتحقيق الحاجات الإنسانية

٨. المرجع السابق



وقد حث الإسلام على السعي و العمل في مختلف ميادين الحياة من زراعة وتجارة وكسب يدوي في نصوص عديدة منها: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

•• وورد في صحيح البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه، يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»[٩].

٦. وفي الوقت الذي حثت الشريعة على الكسب والعمل والسعي الجاد إلا أنها حددت كذلك جملة من الموارد التي تعالج من خلالها حالات العجز المؤدية للفقر والحرمان

ولعل شعيرة وفريضة الزكاة من أهم الموارد التي تسهم في معالجة ظاهرة الفقر، كما نص القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ونلاحظ أن الآية اشتملت على فئتين عند التقسيم العام للمستحقين للزكاة:

الفئة الأولى: هي القادرة على العمل (الأرقّاء والغارمين والمؤلفة قلوبهم وأبناء السبيل)، وهذه تُدرَج في الدورة الاقتصادية؛ حيث تمنح نصيباً من المال ليتاح لهم العمل والكسب بالطرق المشروعة، ولعل هذا ما يُفهَم من كلام الإمام الغزالي: «إن من قدر على الكسب بآلة يجوز أن تشترى له الآلة»[١٠].

وهذه وظيفة أساسية للزكاة في بعدها التنموي.

الفئة الثانية: وهي غير القادرة على العمل والكسب من (الشيوخ والمرضى وذوي العاهات) بالجوانب المالية للعبادات الخالصة، فنصيبهم من الزكاة هو تعبدي، ويلحق بالزكاة كافة الكفارات

٩. رواه البخاري، ح/٢١٥٢.
١٠. إحياء علوم الدين للغزالي، ج٣ ص١٣.



المتعلقة بالعبادات من صيام وحج وزكاة فطر وغيرها، فهي للفقراء والمساكين من هذه الفئة، وهكذا فالزكاة تعالج مشكلة الفقر من زوايا متعددة بحسب حاجة كل محتاج.

•• وكذلك من الموارد الهامة في معالجة مشكلة الفقر: الغنائم.

وهي المال المأخوذ من الكفار بالقتال و يؤخذ خُمسه لبيت مال المسلمين، والباقي يُوزع على المقاتلين، ومنهم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله، وهذا يُسهِم بطبيعة الحال في معالجة ظاهرة الفقر. قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وكذلك الفيء: وهو ما أخذه المسلمون من الكفار بغير قتال، قال تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. وقد جعل الشارع أمر توزيع الفيء للنبي ﷺ، وقد خص النبي ﷺ المهاجرين بأموال بني النضير، وهي من الفيء ليحقق بذلك التوازن المجتمعي، وهي سياسة نبوية حكيمة، قال الإمام القرطبي في تفسير الآية ٦ من سورة الحشر: «فجعل أموال بني النضير للنبي ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها بين المهاجرين»[11].

ومحصول القول فإن الإسلام في أحكامه كلها يسعى لتحقيق العدل ورفع الظلم الذي يحول دون تحقيق الاستخلاف والعمران والعبادة في الأرض، ويعد النبي ﷺ الرائد في التطبيق العملي للوحي المنزل باعتباره القدوة والأسوة المتبعة سواء بحكم العصمة في البلاغ والبيان أو الاستعصام في التنزيل العملي.

١١. تفسير القرطبي، ج١٨ ص١١.

ولهذا فقد كانت عملية التطبيق الأول للنص القرآني في العهد النبوي في مسألة الحقوق تقوم على إعطاء كل ذي حق حقه، دون تطفيف أو نقصان، ولم يكن يحتبس شيئاً من أموال المسلمين في خزينته عليه الصلاة والسلام، كما أنه لم يكن بخيلاً بل كان جواداً كريماً في جميع أحواله، ولم يعرَف عنه الاكتناز لنفسه ولا لأهل بيته إلا بقدر ما يحفظ لهم الحياة في حدها الأدنى، وما زاد كان ينفقه على فقراء المسلمين.

كما أن الشريعة حرمت على أهل بيته الميراث جرياً على سنن الأنبياء، وقد أدت السياسة النبوية إلى الانتقال بالمجتمع المسلم من طور الفقر والعدم والعوز إلى مجتمع التكافل والتراحم والغنى، فكان الحال في النهايات أفضل منها في البدايات من حيث الكفاية والإغناء.



ثم تطور الحال بعد ذلك في عهد الخلفاء الراشدين من بعده ورُتبت العطاءات وفق منهج واضح في مرحلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسادت العدالة التوزيعية التي بلغت مداها، حتى جاء عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ليدخل المسلمون إلى مرحلة الرفاهية المادية والغِنى والوفرة لجميع أفراد الأمة، وهكذا نقلت المنهجية الإسلامية المجتمع من الفقر والحرمان إلى الرفاهية والغنى.

والحمد لله رب العالمين

النبي ﷺ يُعلّم الفقير

كيف يعالج فقره



الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ



أرسل الله رسوله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأخرجهم من الشرك وعبادة الأوثان إلى التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له، والشرك أخطر تلك الأمراض وعلاجه التوحيد الذي جاء به النبي ﷺ، وكما فعل ذلك بالشرك فعل ذلك أيضاً بكل الأمراض الحسية والمعنوية التي كانت تواجه البشرية، فجاء مناديًا بالعلم لعلاج مرض الجهل، وجاء مناديًا بالنظافة لعلاج الأدران والأوساخ، ومنادياً بالطب لعلاج الأمراض الجسمية، ومنادياً بالوحدة لعلاج داء الفرقة، وبالحب لعلاج داء الكراهية والبغض، وبالزواج والأسرة لعلاج أمراض الزنا والتفكك الاجتماعي، وهكذا كل مرض وداء يوجد في الأرض وضع النبي ﷺ له علاجًا ناجعًا، قَبِله مَن قبله ورفضه مَن رفضه ﷺ.

علاج الرسول ﷺ لمرض الفقر

ومن هذه الظلمات وتلك الأمراض ظلمة الفقر والعوز والمسألة، وجاء النبي ﷺ لعلاج هذا المرض الخطير وذاك الداء الفتاك، ولذلك جاء بالشريعة الغراء التي عالجت المسألة علاجًا متوازنًا من كل جوانبها، ففرضت الزكاة في الأموال، وفرضت فطرة الصائم، وندب الناس للصدقة والتبرعات، ودعا الناس للتآخي والتعاون ومعرفة حق الجار وغيرها من الأدواء التي جاءت بها شريعة المصطفى ﷺ لعلاج ذلك المرض الخطير.



ولكن النبي ﷺ لم يجعل للفقير حلًا سهلًا يدعو للتكاسل والخمول دون أن يشارك فيه الفقير نفسه، كما أنه لم يجعل الفقير عالةً على المجتمع يستفيد دون أن يفيد ودون أن يشعر أن عليه واجبًا وحملًا لابد أن يؤديه، ولم يفرض على المجتمع والأغنياء حمل الفقير والقيام عليه مادام الفقير قادرًا على الكسب وبذل الجهد لإغناء نفسه، لكنه عالج الأمر أيضًا من ناحية الفقير، فقد حثه على العمل، ورغبه في الجد والاجتهاد والبحث، وحذره من أن يكون عالةً على غيره.

فعن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا قط، خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده».

فإذا كان الأنبياء يعملون ويجتهدون ويأكلون من عمل أيديهم فغيرهم أولى بذلك.

وعن عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج، قال: قيل يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»[1].

---

١. مسند أحمد ١٧٢٦٥.



وعن محمد بن عمار، مؤذن مسجد رسول الله ﷺ، قال: سمعت سعيدًا المقبري، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح»[٢].

شر المسألة

بل وهذا حديث يبين فيه النبي ﷺ شر المسألة وأنها لا تجوز إلا للضرورات الملحة على العبد، وينصح صاحب المسألة ويدله كيف يداوي مرضه دون حاجة لأحد ويذهب للعمل ويكسب أضعاف ما كان سيأتيه من المسألة فضلاً عن ذل المسألة وعذابها للنفس في الدنيا والآخرة، عن أنس بن مالك:

أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: «ائتني بهما»، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثاً، قال رجل: «أنا آخذهما بدرهمين»، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين، فأعطاهما الأنصاري، وقال: «اشتر بأحدهما طعاماً، فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به» فأتاه به، فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً». فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتةً في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»[٣].

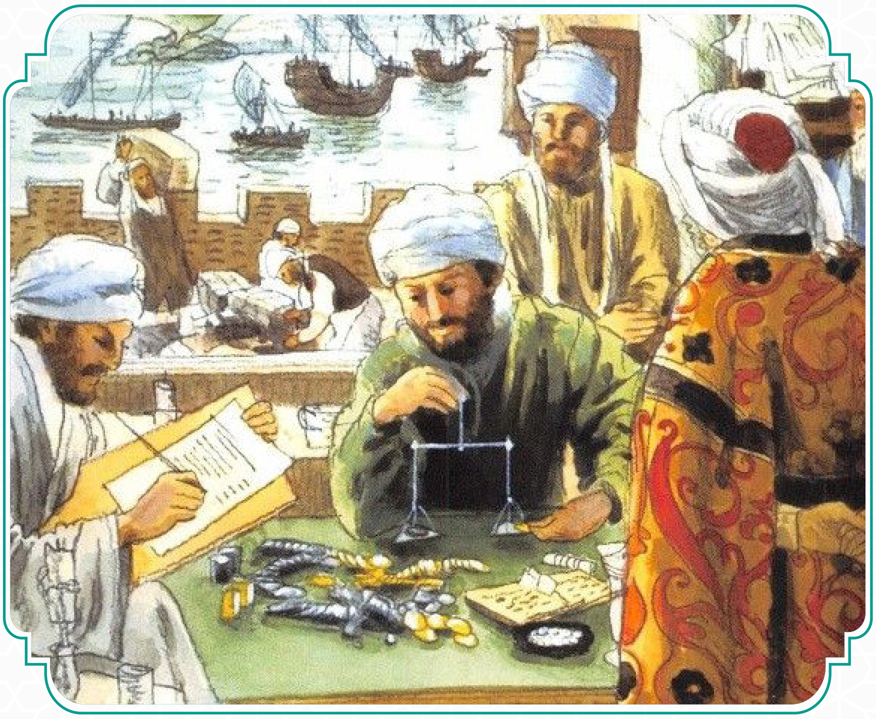
---

٢. مسند أحمد ٨٦٩١.

٣.أحمد ١٦٤١ وابن ماجه بسند ضعيف.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزعة لحم»[٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلًا، فيسأله أعطاه أو منعه»[٥].

التجارة والصدق



وعن فضل العمل بالتجارة مع الصدق فيها أي القيام بحقها، يبين ﷺ أنها ترفع صاحبها في الآخرة لأعلى الدرجات مع الشهداء، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة»[٦].

والتجارة باب عظيم من أبواب العمل وكسب الرزق حث النبي ﷺ أصحابه عليه وهو عمل طيب للكسب الطيب، وقد اشتغل بها كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وكان النبي ﷺ يعمل بها قبل البعثة.

وهذا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) وقد تعلم وتربى على يد رسول الله ﷺ فلما جاء للمدينة وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع رضي الله عنه، فعرض عليه سعد نصف ماله ونصف أرضه، وكان هذا رزقًا حلالًا سهلًا لعبد الرحمن، لكنه رفض ذلك وقال لسعد: «بارك الله لك في مالك ولكن دلني على السوق». فذهب يبيع ويشتري حتى صار تاجرًا من أكبر تجار المدينة، ومن أغنى الصحابة وأكثرهم إنفاقًا في سبيل الله تعالى.

---

٤. البخاري ١٤٧٤.
٥. البخاري ١٤٧٠.
٦. سنن ابن ماجه ٢١٣٩.



ولم ينسَ النبي ﷺ أن يربي أصحابه على التوكل على الله مع العمل في طلبهم للرزق، ويجعلهم يتضرعون لله بالدعاء لسد حاجتهم وعوزهم وقضاء ديونهم، فالله سبحانه هو مسبب الأسباب وقاضي الحاجات، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال:

«يا أبا أمامة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟» قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟». قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجُبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال». قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى عني ديني.[٧]

فانظر كيف علمه أن يدعو وأن يستعين بالله سبحانه وأن يستعيذ من الدَّين ويستعيذ أيضًا من العجز والكسل لأنهما سبب الدين غالبًا، فإذا زال الكسل والعجز قام الرجل للعمل، فلو حلّت له في عمله البركة من الله تعالى قضي دينه وزال همه وأصبح غنيًا لا فقيرًا.

---

٧. سنن أبي داود ١٥٥٥.

في عمل الدنيا ثواب الآخرة

بل إنه ﷺ يربط بين العمل والثواب في الآخرة، وهذا من أكبر المحفزات على العمل عند المسلم، فعندما يعلم المسلم أن من جرّاء عمله صدقة تُكتب له وربما دامت له زمناً بعد موته، فإنه يسارع إلى ذلك ولا يتكاسل عنه، فعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أُكل منه له صدقةً، وما سُرق منه له صدقة، وما أكل السبُع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يَرزؤه أحد إلا كان له صدقة»[٨].



وفي ذلك حث على العمل بالزراعة لعظيم نفعها في الدنيا ولعظيم ثوابها في الآخرة.

بل ويجعل ﷺ العمل كالجهاد في سبيل الله تعالى سواء بسواء، وأن من يعمل ليطعم صغاره أو والديه أو ليعف نفسه، فكل ذلك في سبيل الله تعالى، عن كعب بن عُجرة قال: مر على النبي ﷺ رجل فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلَده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»[٩].

فهذا رسول الله ﷺ الذي جاء بالخير والنور للبشرية كلها، لم يترك ظلمة إلا وكان مصباحًا لها يبددها، ولم يترك مرضًا إلا وجاء له بالعلاج، ولم يترك داء إلا وأوجد له الدواء، فصلى الله عليك وسلم سيدي يا رسول الله.

٨. مسلم ١٥٥٢.
٩. أخرجه الطبراني.



الأسرة الكتانية وخدمتها للسُّنة (٣)



د. الحسن بن علي الكتّاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

٥. أبو الفضل جعفر بن إدريس الكتّاني[1]:

نشأ الإمام جعفر بن إدريس بن الطائع الكتّاني بمدينة فاس عاصمة المغرب آنذاك، حيث عاصر كبّار العلماء، والصلحاء في زمانه، كحمدون بن عبد الرحمان السلمي، وعمر بن الطالب بن سودة وعبد الرحمن العلوي المدغري، وتربى على يد ابن عمه أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتّاني آنف الذكر، وغيرهم. حتى لقب بشيخ الإسلام ومفتي المغرب.

١. «منطق الأواني» (ص ٥٠) و«فهرس الفهارس» (١٧٦/١).

•• فكان أحد رواد النهضة العلمية، والفكرية زمن السلطان الحسن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي، وعُرف بنبوغه المبكر، حيث تصدر للتدريس في ريعان شبابه بجامع القرويين، والزاوية الكتانية الكبرى، وغيرهما من مساجد وزوايا فاس، كما اشتغل بالخطابة والإمامة، ولنبوغه النادر، فقد قرّبه ملوك المغرب، لتصدر مجالس إقراء الحديث بالضريح الإدريسي، والمجالس العلمية بالقصر الملكي بفاس، وكان أحد رجال مجلس الشورى، وكان محدثاً حافظاً، له اعتناء كبير بعلم الحديث سنداً، ومتناً، وضبطاً، ونقداً، درس وسرد صحيح البخاري وصحيح مسلم، ويعد شيخ هذا الفن في القرن الرابع عشر.



يقول العلامة المؤرخ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة في (إتحاف المطالع): «علَم الأعلام، الـمُحدّث المشارك المطلع، الحجة الحافظ، الولي الصالح»[٢].

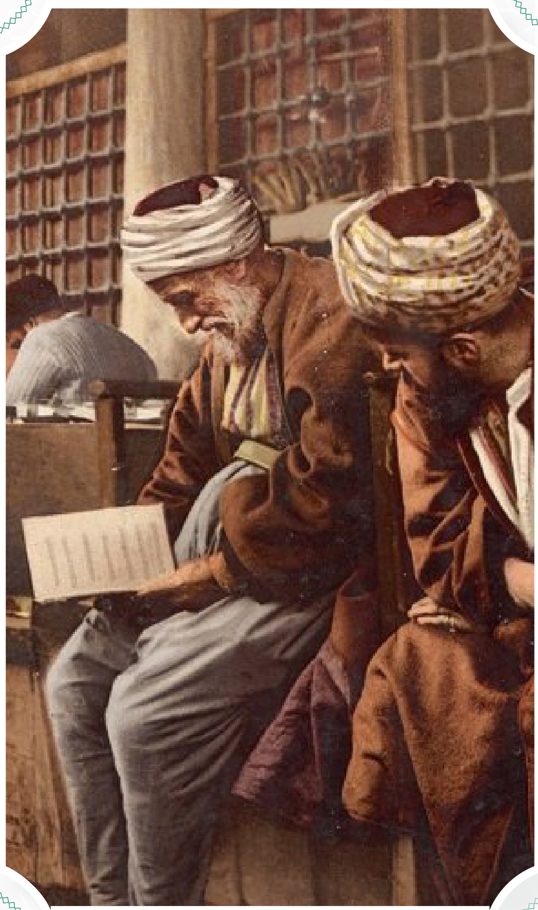
ويقول صاحب «شجرة النور الزكية» (٤٩٢/٢) محمد مخلوف التونسي: «العلامة القدوة الفهامة، العمدة المحدث النظار، الذي لا يجارى بعلمه وفهمه في كل مضمار، بيته بفاس معروف بالصلاح والعلم، والعدالة، والسؤدد والجلالة».

وقيل عنه إنه كان: «فقيه المغرب، والترجمان المعرب، علامة الزمان، وواسطة عقد الأقران، وارث مالك بن دينار في السنن المحمدية، وخليفة مالك بن أنس في المسائل النظرية، ويقول محمد بن عزوز: إنه البحر من أي النواحي جئته، والبدر من أي الضواحي رأيته، رضع ثدي العلم منذ فطم، وطلع وجه الصباح ليحاكيه فلطم، وقطع الليل والنهار ردائين، واتخذ العلم والعمل صاحبين».

٢. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث والرابع عشر (٣٦٥/١).

وأقبل عليه العلماء للرواية عنه والأخذ، وشهد له بعلو السند وسعة الرواية الكبار والشيوخ، وأثنوا على علمه وفضله، كالعلامة الحجوي الذي قال عنه: «الإمام الفقيه العلامة الورع، الدال على الله بحاله ومقاله، من أهل الشورى المتفق على نزاهته وفضله، وقد اشتغل وواظب على تدريس الصحيح بالزاوية الكتانية بفاس حتى ختمه أزيد من عشرين مرة، وأقرأ بقية الكتب الستة عدا ابن ماجه».

كما درس بمختلف الزوايا والمساجد: التفسير، والتصوف، ومختلف كتب الحديث، وروى وأسند، وأفاد ووجه طوال عمره الكريم، مما يؤكد دوره العلمي البارز في عصره، وما حققه من نجاح وترقي واجتهاد.



سنده العالي في الحديث

وعن سنده العالي في صحيح البخاري تحدث المترجم في كتابه «إعلام أئمة الأعلام»، وهو فهرسته، عن ذلك بقوله: «وأروي البخاري بسند عال جداً، عن الشيخ محمد عابد السندي بسنده المذكور في الموطأ، إلى الختلاني، عن محمد بن يوسف الفربري، عن البخاري، فيكون بيني وبين البخاري عشر وسائط، فتقع بثلاثياته بأربع عشرة، ولله الحمد.

آثاره: كان الإمام جعفر الكتاني كثير التأليف موهوباً فيه، موفقاً إليه، وذلك في شتى العلوم والفنون، وتناولت كتبه كافة المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية والصوفية وغيرها التي نيفت على المائة، نذكر في مقدمتها:

*الرياض الريانية في الشعبة الكتانية. *الدواهي المدهية للفرق المحمية -طبع مرات- مطبوع ببيروت ١٤١٦ بعناية أخي الدكتور حمزة وتخريجي لأحاديثه. *الشرب المحتضر في رجال القرن الثالث عشر- طبع. *أحكام أهل الذمة -طبع بتحقيق شقيقي الدكتور حمزة ببيروت- لبنان ١٤٢٨.



*شرح آخر ترجمة من صحيح الإمام البخاري -طبعة حجرية. *إعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها. *الحديث المسلسل بالأولية -طبعة حجرية. *المناصحة فيما يتعلق بالمصافحة. *تحريم الدخان- مطبوع. *تأليف في حكم صابون الشرق - طبعة هجرية. *نزهة النسرين والحبق في امتداد مختار المغرب إلى الشفق- طبع. *إتحاف الطالب الحاذق اللبيب بما يحصل العلم الرحيب الرطيب- طُبع. *شرح على همزية الإمام ابن عبد الواحد الكتاني في السيرة.

*ثبت ألفه باسم محدث المدينة المنورة أبي الحسن علي بن ظاهر الوتري. *أرجوزة في ترجمة شيخه الإمام أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني. *ثبت ألف باسم تلميذه أبي عبد الله محمد المدني بن جلون. *إتحاف نجباء العصر بالجواب عن المسائل العشر. *كتاب في حديث إن الله يبغض أهل البيت اللحميين. طبع. *تذكرة لبيب الحي فيمن حفر قبره وهو حي. *فهرس بأسانيد شيخه ابن عبد الواحد الكتاني. *حواشي على صحيح البخاري. *حاشية على جامع الترمذي. *حقيقة الحقائق في مولد الشفيع المشفع وخير الخلائق. *ختمة البخاري.

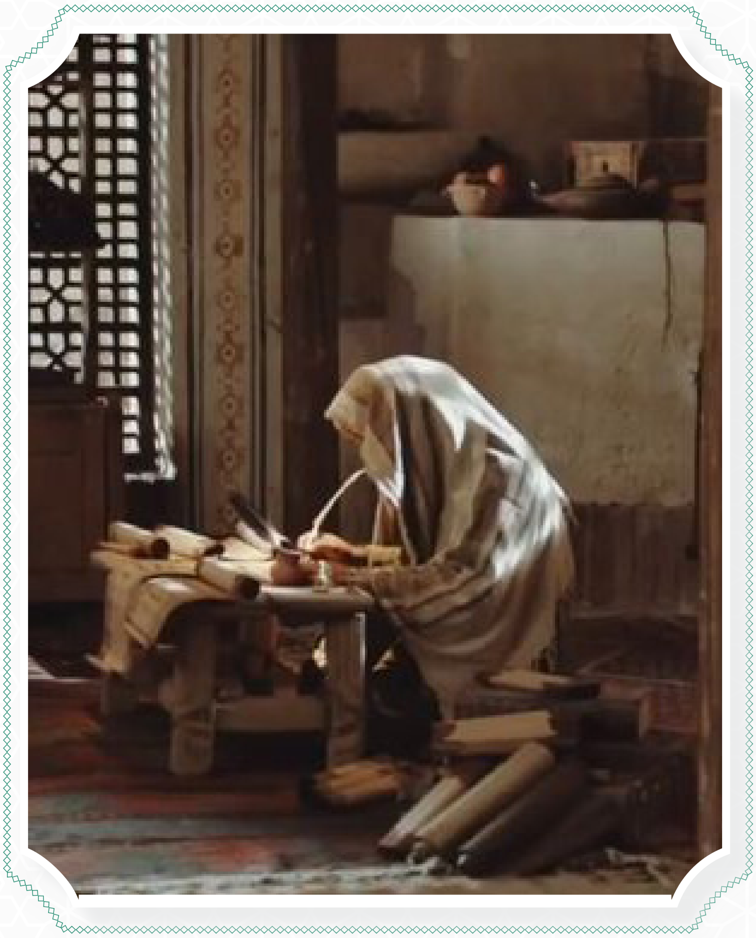
*ختم مسلم. *ختم الموطأ. *ختم سنن أبي داود. *ختم الهمزية للبوصيري. *رسالة في الدعوة إلى الجهاد. *منتخب الأقاويل فيما يتعلق بالسراويل. طبع. *مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب. طبع في مجلدين. *النوازل - مجموع أجوبته على المسائل التي استفتي فيها. *ختمة الأجرومية. *أحكام أهل الذمة. *ختمة المرشد المعين. *رسالة في التحذير من ولاية خطة القضاء.

تُوفي رحمة الله عليه عام ١٣٢٣، بمدينة فاس. وترك عدداً من الأبناء كلهم علماء فضلاء.

٦. أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني[٤]:

هو الشيخ الإمام، علم الأعلام أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس بن محمد الزمزمي بن محمد الفضيل الكتاني الحسني. وُلد بـ (فاس) عام (١٢٧٤هـ)، تُوفيت والدته وهو صغير، فاحتضنه والده وتكفّل برعايته، وأخذه للكُتَّاب لحفظ القرآن ومهمات المتون، ثم أدخله جامع القرويين، فأخذ مختلف العلوم من تفسير وفقه، وأصول وحديث، ولغة ونحو وبيان وسير وتصريف ومنطق، وغير ذلك على أئمة العلم في عصره.

- أخذ العلم أولاً عن والده الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني (ت: ١٣٢٣هـ) سمع عليه الصحيح نحواً من عشرين مرة، وكذلك على ابن عمّ والده الشريف محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت: ١٢٨٩هـ)، كما تتلمذ على يد القاضي أبي عبدالله محمد بن عبد الرحمن العلوي (ت: ١٣١٧هـ)، وأبي عبدالله محمد المدني بن علي بن جلّون (ت: ١٢٩٨هـ) الذي درّبه على الاشتغال بعلم الحديث وحبّبه إليه، وكذلك أبي العباس أحمد بن أحمد بنّاني المدعو «كلاَّ» (ت: ١٣٠٦هـ) سمع عليه الكثير من أوائل كتب الحديث.



ومن الفقهاء أيضاً الذين أخذ عنهم محمد بن عبد الواحد بن سودة، والشيخ عبد الملك العلوي الضرير، والشيخ أحمد بن الطالب ابن سودة والعلامة الطيب بن كيران، وغيرهم.

---

٤. «إتحاف المطالع» (٢/ ٥٧٠)، و«سل النصال» (ص١٧٦)، و«من أعلام المغرب العربي» (٧٢).

•• رحل إلى الحجاز عام (١٣٢١هـ)، فدخل الشام ومصر، وأخذ عن جلّة شيوخها وأعلامها، ثم حج ثانية سنة (١٣٢٥هـ) وهاجر بأهله إلى المدينة المنورة إثر تردّي الأوضاع بالمغرب وتربُّص الكفار به، فمكث فيها نحو عام تقريباً، وعاد سنة (١٣٢٦هـ) بعد خلع السلطان عبد العزيز وتولية السلطان عبد الحفيظ، بغية الذّبّ عن حرم البلاد ونصرة السلطان الجديد، غير أنه وجد عدم انضباط أحوال البلاد، وأَيِس من إصلاحها فهاجر مرة أخرى إلى المدينة المنورة عام (١٣٢٨هـ)، واستوطنها إلى سنة (١٣٣٦هـ).

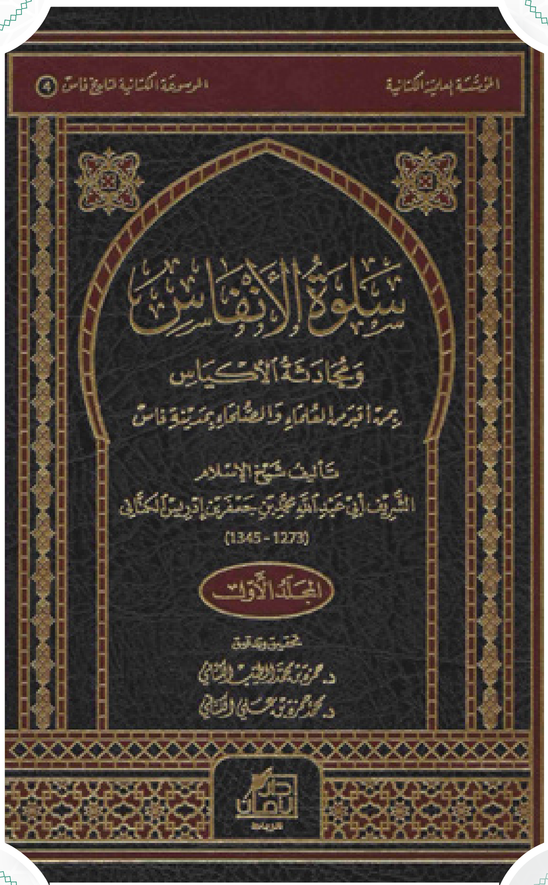
في تلك الفترة قام بنهضة علمية كبرى بالحرمين الشريفين، ودرّس مختلف الكتب العلمية، وتعمّق في دراسة المذاهب الأربعة وغيرها دراسة تحقيق وتوسّع. وكانت له حظوة عند الخلافة العثمانية وحكّامها، كما حظي باحترام كبير من لدن أشراف الحجاز وحكّامه، وانتقل إلى دمشق سنة (١٣٣٦هـ) بعد الثورة العربية ضد الخلافة العثمانية، فاستقبل استقبال الأعلام، وأقبل عليه الخاص والعام، ومكث هناك مشعلاً علمياً استضاء به جميع علماء ومصلحي الشام.

لما دخل الفرنسيون الكفار لبلاد الشام قرر العودة إلى فاس فعاد سنة (١٣٤٥هـ)، وتفرغ لإلقاء دروس في جامع القرويين في شرح مسند الإمام أحمد، ووُصف مجلسه بأنه قلّ أن شاهد جامع القرويين مشهداً أكبر ولا أجمع منه، ويعد الآخذون عنه بالآلاف من علماء المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز والشام والعراق والهند وتركيا ؛ لما عُرف عنه من سعة الاطلاع وحفظ الآثار واستجماع أدوات الاجتهاد، إلى ما جُبل عليه من متانة دين وزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة، واشتهر ذلك عند معاصريه من أقرانه وتلامذته.

قال الشيخ عبد الحي الكتّاني: «وهو رحمه الله ممن خاض في السُّنة وعلومها خوضاً واسعاً واطّلع اطلاعًا عريضاً على كتبها وعويصاتها، بحيث صار له في الفنّ ملكة وإشراف لم يشاركه فيهما أحد من أقرانه بـ(فاس) والمغرب، وتمّ له سماع وإسماع غالب الكتب الستة، وقرّر عليها وأملى وقيد وضبط، وعُرف بملازمة السنة في هديه ونطقه وفعله وشدة التثبت والتحري في علمه وعمله، واشتُهر أمره في مشارق الأرض ومغاربها بذلك وافتخر أعلام بالأخذ عنه والانتماء إليه».

وقال تلميذه عبد الحفيظ الفاسي: «عَين من أعيان علماء فاس وسَراتها الأمجاد، مشارك متفنن في كثير من العلوم، متضلّع في علم الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، دؤوب على تدريسه وسرده، حسن النطق به، عارف بتراجم رجاله، مطلع على أخبار صلحاء وعلماء فاس وطبقات علماء المذهب».

للعلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله أكثر من ستين تأليفاً نذكر منها:



* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس. طُبعت. *الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة. طبعت. *الرسالة المستطرفة الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة. طبعت. *الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس *تعجيل البشارة للعامل بالاستخارة *إسعاف الراغب السابق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق. طبعت. *نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي المختار الرسول. طبعت. *نظم المتناثر من الحديث المتواتر. طبعت.*سلوك السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح. *الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة. طبعت. *رفع الملامة دفع الاعتساف على المالكي إذا بسمل في الفريضة خروجاً من الخلاف *رفع الالتباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الأكياس في مسألة الحرير التي وقع الخوض فيها بين الناس. *الرسالة المختصرة فيما لا يسع المحدث جهله من الكتب التي لها تعلق وارتباط بالسنة المطهرة. طبعت. *جلاء القلوب الغيبية لبيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية. طبعت.*نصيحة أهل الإسلام مما يدفع عنهم دار الكفرة اللئام طبع. *شرح ختم موطأ مالك. *شرح ختم صحيح البخاري. *شرح ختم صحيح مسلم. *شرح ختم الشمائل النبوية. *شرح أول ترجمة من جامع الترمذي. *تخريج أحاديث الشهاب للقضاعي.

وقد تُوفي رحمه الله، بمدينة فاس في رمضان سنة ١٣٤٥ هـ.

٧. محمد المهدي الكتاني[٥]:

ومن علماء أهل بيتنا الذين دعوا للسنة والأثر العلامة أبو الفضل محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير.

وُلد بفاس سنة ١٣٠٧، وأخذ عن كبار علماء أهل بيته كجده ووالده وابن عمة أبيه محمد بن جعفر، وكبار علماء القرويين كابن الخياط والقادري وابن القرشي، وكبار المحدثين بالرباط كابن الحسني وأبي شعيب الدكالي، ولقي الأكابر في رحلته للحج في مصر والحجاز، وروى عنهم واستفاد كثيراً.

ثم امتُحن في ريعان شبابه صحبة آل بيته وخرج من السجن بعد وفاة أبيه الشهيد رحمه الله. ولما توفي جده اختلف مع عمه أبي الإسعاد في مواقفه ومراجعاته الفكرية فتزعم الجناح المتشدد من الجماعة (الطريقة) وعادى سياسات فرنسا في المغرب وطالب بجلائهم عن بلاده، ثم عارض «جبهة التحدي والإصلاح» ورفض خلع السلطان محمد بن يوسف وطالب برجوعه ولم يعترف ببيعة ابن عمه ابن عرفة. وفي منهجه الدعوي كان متمسكاً بالسنن والآثار، داعياً لعقيدة السلف الأثرية مع تصوفه وربانيته. ومن مؤلفاته: رسالة في التمسك بعقيدة السلف وأخرى في براءة الطريقة ممن خالف الكتاب والسنة .

ومما ذكره شقيقه أبو الهدى الباقر رحمه الله في «مشيخته» أنهما كانا مع العلامة أبي شعيب الدكالي رحمه الله فقدماه للصلاة بهما لكونه شيخهما، فلما صلى رفع يديه في المواطن الثلاث وبسمل وقبض، فلما سلم التفت إليهما وقال لهما: «هذه ليست صلاتي بل صليت صلاتكما كما كان يفعل الأئمة مع من يكونون معه». لكونه كان متمسكاً بمشهور المذهب. ثم التفت لأبي الفضل وقال: «إني لأهابك». والتفت لأبي الهدى وقال:



محمد المهدي الكتاني

---

٥. «منطق الأواني» (ص ١٠٥).

«إني لأعتقدك». وفي هذه القصة بيان لما كان عليه أولئك الأئمة الفضلاء من التمسك بالسنة والعمل بالآثار وإن خالفت المذهب وما عليه أهل التقليد.

ألف تآليف كثيرة في مختلف مجالات المعرفة، خاصة الحديث والتصوف والتاريخ؛ منها: «الجوهر الثمين في تراجم أمهات المؤمنين»، وفهرسة تضمنت نصوص إجازات العلماء له، وتأليف في تفضيل مذهب السلف على مذهب الخلف في الآيات المتشابهة؛ سماه: «ما يجب أن تكنه الصدور، في جانب الربوبية وهو النافع يوم النشور». طُبع، ونصيحة عامة للمسلمين في عدة مجلدات، كلاهما قرظه كبار علماء الطريقة الكتانية، وتقييد في أصل مواسم الصالحين، و«وفيات القرن الرابع عشر الهجري»، و«بيني وبين الرافعي»؛ يعني: فيلسوف المغرب محمد بن أحمد الرافعي الجديدي. ومؤلَّف في أن الطريقة الكتانية لا تعترف إلا بأتباعها الناهجين نهج الكتاب والسنة، وبراءتها من المتبعين لأهوائهم وشهواتهم، والمتكلين على الفضائل... وغيرها.

توفي الشيخ رحمه الله بمدينة سلا قرب الرباط سنة ١٣٧٩ رحمه الله رحمة واسعة.

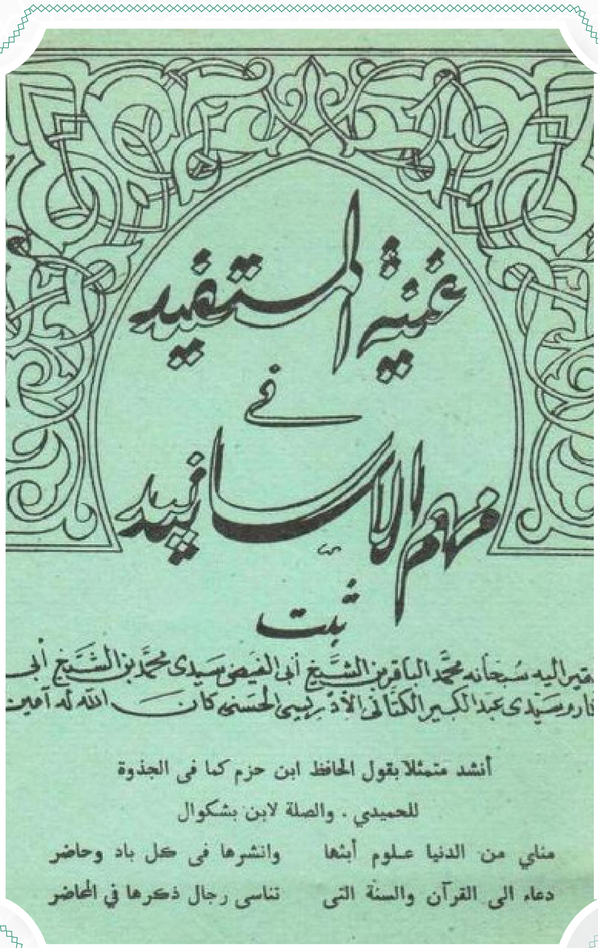
٨. محمد الباقر الكتاني[٦]:

ومن أئمة آل بيتنا الذين عظموا السنن والآثار ودعوا إليها ونشروها، مع الزهد و العبادة والنسك والمواقف الجليلة والغيرة على الإسلام و المسلمين وترك التعصب الطائفي المقيت الإمام أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير رحمهم الله تعالى.


محمد الباقر الكتاني

٦. «منطق الأواني» (ص ١١٩) و«ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» المقدمة بقلم المحققة الدكتورة نور الهدى بنت عبد الرحمن الكتاني، «إتحاف المطالع» (٢/ ٥٨٤)، «سل النصال» (١٩٧). «من أعلام الفكر بالعدوتين الرباط وسلا» (٢/ ١٠١)، «من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر» (ص١٥٢)، «تشنيف الأسماع»، «السبحة النورانية» ص٨٨.

وُلد رحمه الله بفاس سنة ١٣١٩ وابتلي مع والده وأهل بيته بالسجن والترهيب وهو ابن ٧ سنوات. وبعد خروجه من السجن أخذ عن كبار علماء القرويين كابن الخياط وابن رشيد العراقي وابن القرشي وغيرهم وانتقل هو وإخوانه للسُّكنى بالرباط ثم سلا فأخذ عن أئمتهما كالمدني بن الحسني وأبي شعيب الدكالي، وحجّ فلقي بمصر والشام والحجاز كبار أئمة العالم الإسلامي في ذلك الوقت كبدر الدين البيباني وبخيت المطيعي وعمر حمدان المحرسي وغيرهم كثير، وتفقه وروى وحدّث حتى أصبح عالي الرواية، وقد جمع أسانيده في ثبته المطبوع «غنية المستفيد في مهم الأسانيد» الذي أرويه عن أمي عنه وعن خال عنه فقد كان جد أمي رحمه الله .



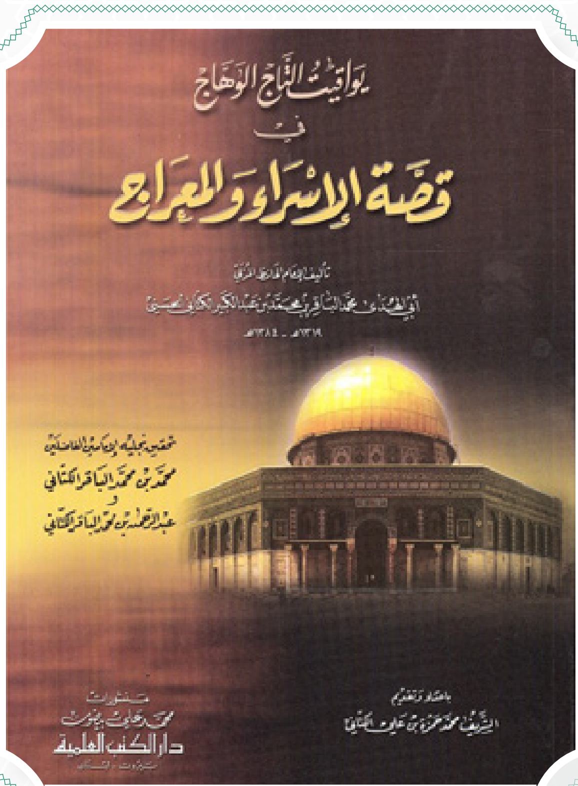
وتصدر للتدريس والإفادة والدعوة إلى الله. وقد تولى زعامة جماعتهم (الطريقة الأحمدية الكتّانية)، وكان يطمح أن تصبح تنظيماً دعوياً مثل الإخوان المسلمين الذين كان يجلّهم ويحترمهم.

كان الشيخ رحمه الله مثالاً للسلف الصالح في هديه وسمته وعبادته فلم يخلف بعده مثله، وكان يضيف للقبِه (الأثري). درس الكتب الستة على أبي شعيب الدكالي وعظّم السنة فعمل بها وإن خالفت المذهب، وأرجع مسائل التصوف لدليلها، وله رسالة في قصة مولد رسول الله ﷺ حرص على الاستدلال فيها بالصحيح والحسن دون غيره خلافاً لأغلب كتب الموالد، ورسالة أخرى في الإسراء والمعراج كذلك.

وكتب في ديباجة ثبته: أنشد متمثلاً بقول الحافظ ابن حزم كما في «الجذوة» للحميدي و«الصلة» لابن بشكوال:

منای من الـدنيا علوم أبثها •• وأنشرها في كـل باد وحاضر
دعاء إلى القرآن والسنن التي •• تناسى رجال ذكرها في المحاضر

كان الإمام أبو الهدى محمد الباقر شديد الاهتمام بقضايا الأمة الإسلامية، وكان يتطلع لأن تصبح الطريقة جماعة إسلامية شاملة على غرار تنظيم الإخوان المسلمين فلذلك كان يسمي أصحابه وجماعته بـ(الإخوان الكتانيين)، وكان من المؤسسين لرابطة علماء المغرب والمشاركين في جهادها ضد العلمانية والتفرنج فجر استقلال المغرب.



ومن لطيف ما كان يفعله هو التنويه بقضايا الأمة ضمن نشاطاتهم الدعوية ، ففي آخر كتابه «يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج» (ص٧٤) يقول:

«اللهم إنك تعلم أن أرض الإسراء والمعراج محتلة من طرف شرذمة من اليهود المجرمين، الذين تآمروا مع الرأسمالية العالمية والشيوعية على القضاء على الملة والدين الذي ارتضيتَه للبشرية ديناً، وإشاعة القتل والفتن والفوضى والانحلال بين الشعوب الآمنة حيناً فحيناً، وحبك المؤامرات الدنيئة لاحتلال جميع البلاد العربية وإرجاع الأراضي التي يسكنها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع إلى حكمهم بجوار مدينة رسول الله ﷺ، لا قدر الله لا قدر الله لا قدر الله. فألهم اللهم المسلمين طريق الهدى والرشاد واجمع شملهم وحبب إليهم فريضة الجهاد وألّف بين قلوبهم. وأصلح ذات ما بينهم ووفقهم لحذق جميع العلوم العصرية والتفوق فيها على أعدائهم الكفرة الفجرة وكل الدول الاستعمارية، ومدهم اللهم بقوة من عندك كي يستطيعوا إحباط جميع المؤامرات والقضاء على كل النزاعات والنزعات والمناورات، واحتلال مركز الصدارة بين الأمم و الشعوب و التمكن من القضاء على دويلة إسرائيل بفضلك وجودك يا علام الغيوب».

الإمام الباقر و الحاكمية



مع فجر استقلال المغرب سنة ١٣٧٥ (١٩٥٥) بدأ ظهور بوادر العلمانيين المتفرنجين الذين خلفوا المحتل الفرنسي في منهجه وتفكيره، واندسوا داخل الحركة الوطنية، فبدأوا يطالبون بتحكيم قوانين وضعية مستمدة من قوانين المحتل الفرنسي وتعطيل الشريعة الإسلامية التي كانت هي القانون المعمول به في محاكم المسلمين في مسائل المعاملات والأحكام طبقاً لما جرى به العمل في مذهب المالكية بالمغرب.

هذا الصراع واجهه بعض العلماء المخلصين في بداياته، وكان منهم الإمام أبو الهدى الباقر رحمه الله الذي كتب رسالة لوزير العدل سنة ١٣٧٦ باسم فرع جمعية الإرشاد والإصلاح بسلا، وكان من ضمن ما جاء في رسالته القيمة المنشورة آخر كتابه «روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات» ص٧٦:

«ويعجبني قول الإمام الشهيد حسن البنا رضوان الله عليه: يجب أن يهيمن الإسلام على كل شؤون الحياة وأن تصبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتساندها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً. أما إذا أسلمت في عبادتها وقلدت غير المسلمين في بقية شؤونها فهي أمة ناقصة الإسلام».

ثم قال رحمه الله: «وعليه، فإنني باسم فرع جمعية علماء الإرشاد والإصلاح بسلا أطالب حكومتنا الوطنية بإقامة النظام الإسلامي بالمغرب ودستورية الكتاب والسنة، كما أطالب بتغيير برنامجكم القضائي تغييراً يرضي الأوساط العلمية والشعبية تستند بمقتضاه وظائف القضاء إلى رجالات القانون الإسلامي، وأطالب بحمل القضاة على الحكم بما أنزل الله، وصدق الله في قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. [سورة النساء: ٦٥]

ترك تآليف تناهز المائتين، في التفسير والفقه والحديث، والتصوف والتاريخ والأنساب والسياسة، منها:

*أوضح المسالك، في اختصار موطأ الإمام مالك، سبعة كراريس. *أسهل المقاصد في أسانيد الشيخ الوالد سبعة كراريس. *إكرام الصادر والوارد بمعجم شيوخ الإمام الوالد، كتب منه كراريس ولازال لم يتم. *البساتين الزاهية في مولد نبي الإنسانية، مولد كبير. *بدائع النفائس في اتصالنا بالفهارس ختمات لعدة كتب في الحديث والسيرة والفقه والنحو. *دليل الخيرات في الصلاة على ختم الرسالات. *ديوان شعر في مدح النبي ﷺ. *روض أهل الجنة في الاعتصام بالكتاب والسنة. *روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات. *ظواهر الآيات في بعض ما للمصطفى من الكمالات. *لوامع اللآلئ في الأربعين الباقرية العوالي. *اللئالئ المفصلة في الأحاديث المسلسلة. *منار الاهتداء في الكلام على حديث حُبب إليّ من دنياكم النساء. *مفتاح الجنة في دلائل شعائر الطريق من الكتاب والسنة، لم يتم. *المناجاة الباقرية للحضرة الإلهية- كراس. *نفحات العطر الشذي في اختصار جامع الترمذي. *نجوم المهتدين في فضائل سيد المرسلين. *ضياء الأنام بمولد نبي الإسلام. مولد صغير، ويسمى روضات الجنات. *العقد المكلل في حديث الرحمة المسلسل. *غنية المستفيد في مهم الأسانيد. *فتح الباري، في أسانيدي لمؤلفات البخاري. *سفينة الجنة في اتصالنا ببعض كتب السنة. *سبيل النجاة، في استحضار أسرار الصلاة. *الهمة العليا في أسانيدي لمؤلفات الحافظ ابن أبي الدنيا.

رحم الله الإمام أبا الهدى الباقر فقد كان عالماً نادراً من علماء المغرب، علماً وسلوكاً وعملاً، وتُوفي بمدينة سلا بعد كفاح وجهاد تخلله سجنه مع أبيه وهو طفل في السادسة من عمره. تُوفي سنة ١٣٨٤

مساحة إعلانية



سلسلة السيرة النبوية

الشيخ د. محمد الصغير

الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لوقائع السيرة النبوية التي نحتاجها في واقعنا المعاصر

- من نبعته إلى بعثته ﷺ
- من بعثته إلى هجرته ﷺ
- من هجرته إلى وفاته ﷺ
- الغزوات النبوية



سلسلة السيرة النبوية الفرنسية

محمد إلهامي

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام ﷺ

استعراض لسيرة النبي ﷺ من خلال دراسات ومؤلفات المستشرقين والمؤرخين الفرنسيين، تحقيقا لقوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾

- السيرة النبوية الفرنسية

أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

من تراث علمائنا الراحلين



كفالة الفقراء والعاجزين

ركن من أركان الدين

أ.د. حسين حامد حسان



رحمه الله*

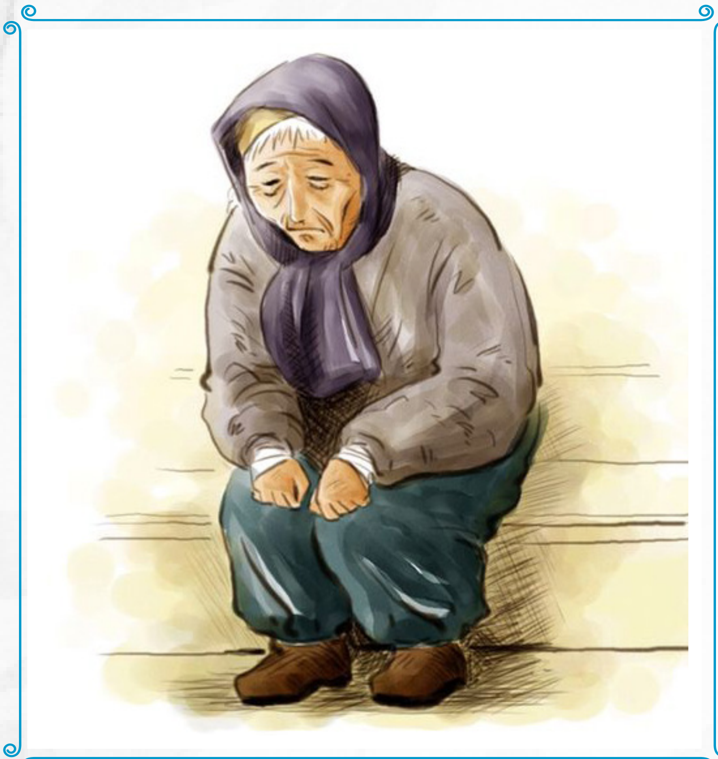
لقد طلب الإسلام من القادرين على العمل أن يمشوا في مناكب الأرض ليأكلوا من رزق الله فيها، وأن ينتشروا في جنباتها لابتغاء فضل الله فيها، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. وقال سبحانه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].



* أ. د حسين حامد حسان، التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، ط: مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، ص٤-١٢، رابط إلكتروني: bit.ly/3PCSlWV.

ولقد أعطى الإسلام العامل الحق في ناتج عمله، وملكه ثمرة جهده وكفاحه، فكان العمل بذلك هو الدعامة الأولى في توزيع الثروة في المجتمع الإسلامي. ولكن أفراد المجتمع أي مجتمع ليسوا جميعاً من العاملين الذين يحصلون على أرزاقهم بعملهم ويكسبون ما يشبع حاجاتهم بكدهم وعرقهم، فهناك العاجزون عن العمل والكسب وليس لهم من يعولهم من أقاربهم كالصغير اليتيم، والمرأة الأرملة، والشيخ الهرم، والمريض المقعد، وذوي العاهات كالمجنون والأعمى، فهؤلاء جميعاً يعجزون عن كسب قوتهم وتحصيل معاشهم.

وهناك من سدت في وجوههم أبواب العمل مع قدرتهم عليه واستعدادهم له، فيبحثون عن فرصة العمل في المجتمع فلا يجدونها، وليس لهم مورد رزق ولا مصدر كسب غير هذا العمل، وهناك من يعملون ويكسبون من عملهم أقل من كفايتهم لقلة أجورهم، أو كثرة أعبائهم.



إن هذه الفئات لا تأخذ نصيباً من الثروة على أساس العمل، لأن بعضهم يعجز عنه وبعضهم لا يجده وبعضهم يجد منه ما لا يكفيه، لذلك جعل الإسلام حاجتهم وعجزهم سبباً لاستحقاقهم في مال الزكاة التي أحكم الله فرضها في كتابه ثم بينها على لسان رسوله ﷺ أكمل بيان لجاءت سنته ﷺ ببيان من تجب عليه الزكاة ومن تجب له وما تجب فيه من الأموال، والمقدار الواجب في كل مال، ووقت أدائها وطريقة دفعها وتوزيعها.

والزكاة في الإسلام ليست إحساناً يجود به الغني على الفقير إن شاء أو يمنعه إذا أراد، بل إنها حق معلوم فرضه الله عز وجل في أموال الأغنياء، وجعل أداءه ثالث أركان الإسلام وأهم قواعد الدين، وألزم الجماعة الإسلامية بالتعاون على تنفيذه، وجعَل ذلك من أهم الوظائف التي تقوم بها الدولة الإسلامية ومن أقدس الواجبات التي كلف الله بها ولي أمر المسلمين.



فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[١].

ولقد بلغ من عناية الإسلام بفريضة الزكاة أنه جعل إيتاءها دليل الدخول في الدين وقبول الإيمان كترك الشرك وإقامة الصلاة. فقال سبحانه في شأن المحاربين من المشركين: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ٥] .

فالتوبة من الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هي التي تعصم دماء المشركين المحاربين، وتوجب الكف عن قتالهم وتبرر قبولهم في الجماعة الإسلامية يمتعون فيها بالأخوّة والتكافل والتضامن وينعمون فيها بالعدل والإحسان، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]

ومن هنا دخلت مبادئ الاقتصاد في أصول الإسلام وقواعد الدين، فكانت كفالة المجتمع للعاجزين عن العمل من أفراده ركناً في الدين، وقاعدة من قواعد الإسلام، لا تُقبل دعوى الإيمان بدونها، ولا يُعد من الجماعة الإسلامية من لا يقر بها ويؤديها طائعة بها نفسه مطمئناً بها قلبه، لا فرق في ذلك بين الزكاة والصلاة، ولذلك جاءت الزكاة في القرآن الكريم مقرونة بالصلاة دائماً، روي عن ابن زيد أنه قال: «افترُضت الصلاة والزكاة جميعاً لم يُفرق بينهما». وقرأ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة، وقال: «رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه»[٢].

---

١. أخرجه البخاري في الإيمان، باب الإيمان وقول النبي: (بني الإسلام على خمس)، ومسلم في الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام .

٢. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (١٠/٦٢).

ولقد جعل الله سبحانه إيتاء الزكاة شرطاً في دخول الفرد في حظيرة الإيمان واستحقاقه للفلاح العظيم والفردوس المقيم الذي أعده الله للمؤمنين؛ فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ* ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١- ٤].

وإيتاء الزكاة طريق للهدى وسبب للبشرى، قال تعالى: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ*ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النمل: ٢،٣] فكان الهدى الذي منحه الله للمؤمنين والبشرى التي وعدهم بها بسبب أدائهم للصلاة وإيتاءهم للزكاة.

وإيتاء الزكاة يجعل الفرد من المحسنين الذين أعد الله لهم الحسنى وزيادة يقول تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان: ٣، ٤].

الكفالة حق معلوم وليست منحة تطوعية

يزعم بعض الكاتبين في نظام التكافل الاجتماعي أن التكافل الذي عرفه العالم في العصر الحديث يمتاز على كل المحاولات التي بُذلت لمساعدة الفقراء والمساكين والضعاف والبائسين قبل بداية القرن العشرين، يمتاز على هذه المحاولات بأنه يعد المساعدة التي تُمنح للفقير والمسكين حقاً من الحقوق إذا توافرت بعض الشروط.

وهذا زعم باطل، وجهل فاضح بحقائق الإسلام، الذي كان أول دين يقرر للفقراء والمساكين حقاً معلوماً في أموال الأغنياء بل يجعل ذلك ركناً من أركانه؛ فالزكاة التي أوجبها الله على الأغنياء حق محدد معين معلوم تستوفيه الدولة الإسلامية لأصحابه وتقاتل المانعين له حتى يؤدوه، فكيف يزعم زاعم أن الفضل يرجع إلى نُظم التكافل الأوروبية في اعتبار المساعدة التي تُدفع للفقير حقاً من الحقوق إذا توافرت لها شروط معينة؟!



إن اعتبار سهم الفقراء والمساكين في أموال الأغنياء حقاً معلوماً وديناً محدداً أمر جاء واضحاً وصريحاً في الكتاب والسُّنة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، بل إن تصرفات الخلفاء والولاة وعمال الصدقات تؤكد هذه الحقيقة وتوضحها، بما لا يدع مجالاً لحاقد أو جاهل ليزعم أن نظم التكافل الأوروبية هي أول من أسبغ هذه الصفة على ما يأخذه الفقير من مساعدات تُفرض له في أموال الأغنياء. قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]. يقول سبحانه يصف عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج ٢٤،٢٥]، يقول سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فالزكاة حق معلوم محدد من حيث المال الذي يجب فيه الحق والمقدار الواجب منه ووقت الوجوب ومن يجب عليه ومن يجب له.

ولقد تولى الشارع بنفسه تحديد هذا الحق وبيانه ولم يترك ذلك لجود الموسرين، وكرم المحسنين ومدى ما تنطوي عليه نفوسهم من رحمة وما تحمله قلوبهم من رغبة في البر والإحسان وحب فعل الخير.



حق الفقير مقدم على جميع الحقوق

بل إن فقهاء المسلمين يقررون أن حق الفقير والمسكين في أموال الأغنياء من الحقوق التي تتعلق بالمال، وتمنع المالك من التصرف فيه قبل أداء الزكاة، ويبالغون في تأكيد هذا الحق فيرونه مقدماً على جميع ما عداه من الديون، فالفقير والمسكين يستوفي قيمة الزكاة التي يستحقها في مال الغني قبل أن يأخذ جميع الدائنين حقوقهم من هذا المال.

إن ما يأخذه الفقير من مال الغني حق بكل خصائص الحق في الإسلام، أما ما يأخذه الفقير من مساعدات في نظم التكافل الاجتماعي الذي يعرفه العالم اليوم فإن له شبهاً بالحق وليست له صفاته وخصائصه، ولا قوته ولزومه كما يقرر دعاة هذه النظم أنفسهم.

ومما يؤيد القول بأن ما يستحقه الفقير في أموال الأغنياء يعد حقاً لازماً وديناً ثابتاً يجب على الغني دفعه ويلزم الدولة الإسلامية جمعه وتحصيله ثم أداؤه إلى الفقير -ما رواه أبو عبيد في (الأموال) بسنده عن عمير بن سلمة قال:

بينما عمر نصف النهار قائل[٣] في ظل شجرة، وإذا أعرابية فتوسمت الناس[٤] فجاءته فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً[٥] فلم يعطنا، فلعلك يرحمك الله تشفع لنا إليه، فقال: فصاح بـ(يرفأ) [خادمه] أن: «ادع لي محمد بن مسلمة»، فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه، فقال إنه سيفعل إن شاء الله فجاءه (يرفأ) فقال: أجب، فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة، فقال عمر: «والله ما آلو أن أختار خياركم[٦] كيف أنت قائل إذا سأل الله عز وجل عن هذه؟»، فدمعت عينا محمد، ثم قال عمر: «إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه، واتبعناه، فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك ثم استخلف الله أبا بكر، فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني فلم آلُ أن أختار خياركم، إن بعثتُك فأدِّ إليها صدقة العام وعام أول، وما أدري لعلي لا أبعثك». ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً وقال: «خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر فإنا نريدها». فأتته بخيبر فدعا لها بجملين آخرين وقال: «خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام أول»[٧].

---

٣. من القيلولة: وهي نومة الظهر.

٤. يعني تأملتهم وتفرست في وجوههم.

٥. يجمع الزكاة من الأغنياء ويوزعها على الفقراء.

٦. يعني ما أقصر في ذلك ولا أتهاون.

٧. أبو عبيد الأموال باب قسم الصدقة في بلدها، وحملها إلى بلد سواه ومن أولى بأن يبدأ به منها، ص ٥٣٠.



فعمر بن الخطاب رضي الله عنه، يعد ما تطالب به هذه المرأة حقاً لها، ويؤكد أنه حق لازم ودين ثابت لا يسقط بالتقادم، ولا يضيع بمرور الزمن، ولا يفوت بعدم المطالبة ولذلك يأمر عامله على الزكاة أن يعطيها حقها من الزكاة للعام وعام أول، فهو حق يُقضى، ودَين يؤدَّى، والتزام على بيت مال المسلمين.

فهل عرفتْ نُظم التكافل الحديث ذلك إلى اليوم؟ وهل يجرؤ بعد ذلك جاهل بحقائق الإسلام أو حاقد عليه على القول بأن نظم التكافل الحديث الذي عرفه العالم في أوائل القرن العشرين، هي التي منحت المساعدات التي تُدفع للفقراء والمساكين صفة الحق الثابت بعد أن ظلت أربعة عشر قرناً من الزمان إحساناً فردياً وصدقة اختيارية؟!

•• المال مال الله والأغنياء خزانه والفقراء عياله ••

الفلسفات الوضعية وإثارة الأحقاد

هناك فلسفات تقيم حق الفقراء في أموال الأغنياء على أساس عقد مفترض بين الغني والفقير بمقتضاه يتعهد الغني بإعطاء الفقير جزءاً من ماله؛ لأن الفقير قد أسهم بعمله مع رأس مال الغني في الكسب الذي حققه الغني، ويفسر أصحاب هذه الفلسفة الجوع الذي يعاني منه المحرومون والبؤساء بعدم إعطاء الغني الفقير ما تعهد له بمقتضى العقد غير المكتوب.

وهذه الفلسفة وإن بدت عليها الصحة فإنها تخفى في طياتها الأحقاد والضغائن لأنها تُشعر الفقير بأن ما عند الغني من مال إنما هو ناتج عمل الفقير وثمرة جهده وكفاحه، وما لديه من ثروة إنما هو دماء الكادحين وعرق العاملين، فالغني غاصب لهذا المال وسالب لتلك الثروة، ومن ثم فإن هذه الفلسفة توغر صدر الفقير على الغني، وتدفعه إلى بغضه والحنق عليه وتبرر له حرمان الغني من ماله، وسلب ثروته وتأميم ممتلكاته.

الأساس الشرعي في إيجاب حقوق الفقراء



أما الشريعة الإسلامية فإنها تجعل ما عند الغني مال الله عز وجل، رزقه لعباده وأوجب عليهم فيه حقاً معلوماً للسائل والمحروم وليس عرق الفقير ودم الكادح، وإنك لتجد هذا التفسير الإسلامي واضحاً فيما ذكره الإمام الرازي في تفسيره، فقد ذكر في بيان الحكمة من وجوب الزكاة واعتبارها حقاً معلوماً للسائل والمحروم وجوهاً منها:

الأول: أن الإنسان إذا حصل له من المال بقدر حاجته كان هو أولى بإمساكه؛ لأنه يشاركه سائر المحتاجين في صفة الحاجة وهو ممتاز عنهم بكونه ساعياً في تحصيل ذلك المال، فكان اختصاصه بذلك المال أولى من اختصاص غيره، وأما إذا فضل المال على قدر الحاجة وحضر إنسان آخر محتاج فهنا حصل سببان كل منهما يوجب تملك ذلك المال، أما في حق المالك فهو أنه سعَى في اكتسابه وتحصيله وأيضاً شدة تعلق قلبه به، فإن ذلك التعلق أيضاً نوع من أنواع الحاجة.

وأما في حق الفقير فاحتياجه إلى ذلك المال يوجب تعلقه به، فلما وُجد هذان السببان المتدافعان، اقتضت الحكمة الإلهية رعاية كل واحد من هذين السببين بقدر الإمكان، فيقال: حصل للمالك حق الاكتساب وحق تعلق قلبه به، وحصل للفقير حق الاحتياج، فرجحنا جانب المالك وأبقينا عليه الكثير وصرفنا إلى الفقير يسيراً منه، توفيقاً بين الدلائل بقدر الإمكان.

الثاني: أن المال الفاضل عن الحاجات الأصلية إذا أمسكه الإنسان في بيته بقي معطَّلاً عن المقصود الذي لأجله خُلق المال، وذلك سعي في المنع من ظهور حكمة الله تعالى، وهو غير جائز، فأمر الله بصرف طائفة منه إلى الفقير حتى لا تصير تلك الحكمة معطلة بالكلية.

الثالث: أن الفقراء عيال الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

والأغنياء خزان الأموال في أيديهم أموال الله، ولولا أن الله تعالى ألقاها في أيديهم لما ملكوا منها حبة، فكم من عاقل ذكي يسعى أشد السعى ولا يملك ملء بطنه طعاماً، وكم من أبله جلف تأتيه الدنيا عفواً صفواً، إذا ثبت هذا فليس بمستبعد أن يقول المالك لخازنه: اصرف طائفة مما في تلك الخزانة إلى المحتاجين من عبيدي[٨].

تلك هي الحِكم العالية التي تفسر لنا الأساس الشرعي في إيجاب حق الفقراء في أموال الأغنياء. إن الإسلام لا يقول للفقراء: إن ما بأيدي الأغنياء ناتج عملكم وعرق جبينكم وإنكم أصحاب الحق فيه، وعليكم أن تقاتلوهم لحرمانهم لكم منه، لأن هذا ليس بصحيح، لأن المال مال الله، يرزقه خلقه بأسباب شرعية ليس فيها ظلم لعامل، ولا هضم لحق كادح، ولكنه رزْق الله وفضْله يؤتيه من يشاء من عباده.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: ٧١]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠]. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

---

٨. الرازي: التفسير الكبير (٤/٤٥٨) طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م .

حِكمة الزكاة

وخطورة تركها



الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

رحمه الله*

فإني أحمد الله رب العالمين، وأصلي وأسلم على رسول الله وخاتم النبيين، نصح أمته وقال فيما صح عنه: «الدين النصيحة»[1]. وأنزل الله عليه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ثم إن الباعث لكتابة هذه الكلمة هو النصح والتذكير بفريضة الزكاة التي تساهل بها بعض الناس وغفلوا عنها، مشتغلين بتدبير أموالهم عن فريضة من فرائض الدين، وركن من أركان الإسلام، يكفر جاحده، وتقاتَل الطائفة الممتنعة من أدائه.



* فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ، (٤/٥-١٤). باختصار يسير.

١. رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

ولقد ذكر الله في كتابه الزكاة مقرونة بالصلاة فقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وأمر تعالى رسوله بأخذها حيث يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وجاء الوعيد الشديد على مَن بخل بها وقصر فيها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. [التوبة: ٣٤، ٣٥]



وفي الحديث الصحيح: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحتْ له صفائح من نار، فأُحمي عليها في نار جهنم فيكوَى بها جبهته وجنبه وظهره، كلما بردت أُعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضَى بين العباد...»[٢].

وفي الصحيح: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِ زكاته، مُثّل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يُطَوقه يوم القيامة ثم يأخذ بِلِهزِمَتَيْه، ثم يقول أنا مالك أنا كنزك». لِهزِمَتَيه: يعني شدقيه.

ولا يخفى ما منّ الله به على عباده من نعمة المال، ولا سيما في هذا الزمن الذي تكاثرت فيه المصالح والخيرات، واتسعت فيه أسباب الرزق، وتضخمت فيه أموال كثير من الناس، وما الأموال إلا ودائع في أيدي الأغنياء، وفتنة وامتحان لهم من الله لينظر أيشكرون أم يكفرون. ومِن شُكرها وقيد النعمة فيها أداء

٢. أخرجه الستة إلا الترمذي، وفي رواية: من آتاه الله مالاً... إلخ.



زكاتها، والصدقة على الفقراء والمساكين، والإنفاق مما استخلفهم الله فيه، قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾. [الحديد: ٧]

الحكمة من الزكاة

ومن الحكمة في تشريع الزكاة مواساة الأغنياء لإخوانهم الفقراء. فلو قام الأغنياء بهذه الفريضة حق القيام وصرفوا الزكاة مصرفها الشرعي لحصل الفقراء والمساكين ما يكفيهم، ولا يحتاجون معه إلا غيره. أما إذا منع الأغنياء ما أوجب الله عليهم من فريضة الزكاة فإنه ينشأ من هذا أضرار ومفاسد كثيرة من تعريض العبد نفسه للعذاب العظيم، وكراهة الله والناس له، وتسبب لإهلاك المال وانتزع البركة منه، ففي الحديث: «ما خالطت الزكاة مالاً قط إلا أهلكته»[٣]. ومن ظُلمٍ للفقراء والمساكين وإيصال الضرر إليهم، ودعوة له إلى ارتكاب شتى الحيل في الحصول على لقمة العيش، والتعرض للوقوف في المواقف الحرجة، والإلحاح في السؤال، بل ربما اضطرتهم فاقتهم وشدة الحاجة إلى السرقة والإقدام على بعض الجرائم، لما يقاسونه من آلام الفقر والمسكنة، التي لو أحس بها الغني يوماً من الدهر لتغيرت نظرته إليهم، ولعرف عظيم نعمة الله عليه.

وإذا كان في الزكاة مصلحة للفقراء والمساكين وبهم ضرورة إليها، فإن فيها مصلحة لأرباب الأموال، وبهم ضرورة إلى أدائها من تطهير وتزكية لهم، وبُعد عن البخل المذموم، وقُرب من فعل الكرم والجود، واستجلاب للبركة والزيادة والنماء، وحفظ للمال ودفع الشرور.

ولهذا قال ﷺ: «من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره»[٤].

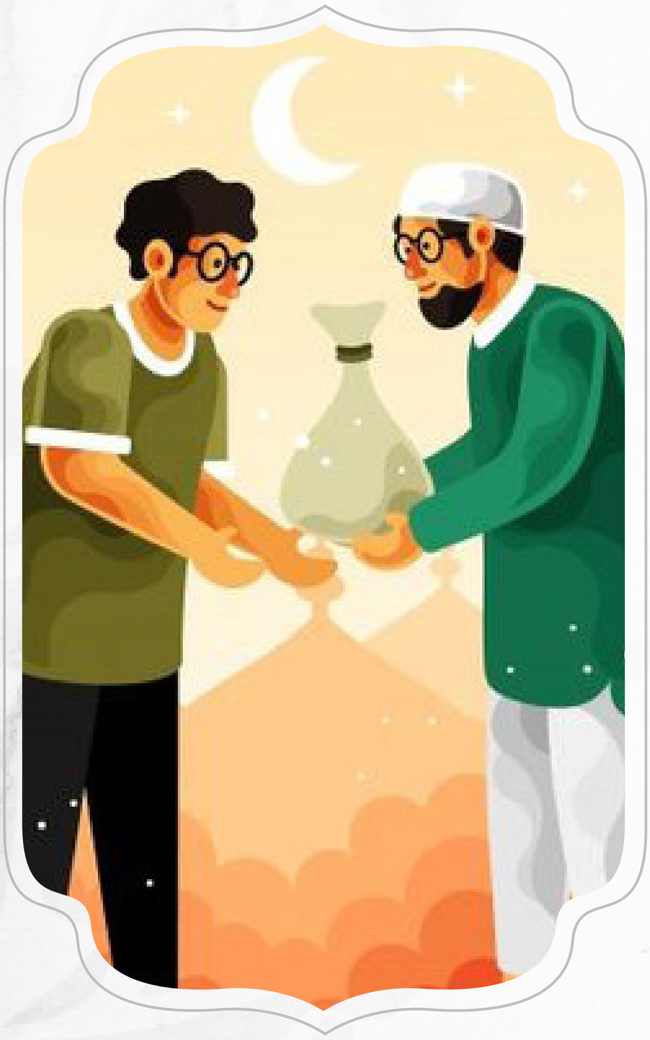
٣. أخرجه البزار عن عائشة.
٤. رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل ومال وحاضرة فأخبرني كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «تُخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين، والجار، والسائل»[٥].

وعن الحسن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع»[٦].

وكان الرسول ﷺ يدعو لمن جاء بالزكاة فتارة يقول: «اللهم بارك». وتارة يقول: «اللهم صلِّ عليه».

الأشياء التي تجب فيها الزكاة



هذا ولقد تولى الله قسمة الزكاة بنفسه وجزأها إلى ثمانية أجزاء، أما الأشياء التي تجب فيها الزكاة فهي أربعة أصناف: الخارج من الأرض كالحبوب والثمار، وبهيمة الأنعام، وعروض التجارة، والذهب والفضة. وقد تجب في غيرهن.

ولكل من هذه الأصناف الأربعة نِصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه، فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق. وأدنى نصاب الغنم أربعون شاة، وأدنى نصاب الإبل خمس، وأدنى نصاب البقر ثلاثون، ونصاب الفضة مائتا درهم، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً.

---

٥. رواه أحمد.

٦. رواه أبو داود في المراسيل.

فإذا ملك الإنسان نصاب الذهب وقدره إحدى عشر جنيهاً ونصف، أو ملك نصاباً من الفضة وقدره ستة أو خمسة ريالاً عربياً تقريباً، وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة ربع العشر. وكذلك الأوراق التي كثرت في أيدي الناس وصار التعامل بها أكثر من غيرها فإذا ملك الإنسان منها ما يقابل نصاباً من الفضة وحال عليه الحول فإنه يخرج منها زكاتها ربع عشر.

أما العروض وهي ما اشتراها الإنسان للربح فإنها تُقوَّم في آخر العام ويُخرِج ربع عشر قيمتها. وإذا كان للإنسان دَين على أحد فإنه يزكيه إذا قبضه، فإن كان الدَين على مليء فالأفضل أن يزكيه عند رأس الحول، وله أن يؤخر زكاته حتى يقبضه.

ويجب إخراج الزكاة في بلد المال إلا لعذر شرعي. ولا حظّ فيها لغني ولا لقوي مكتسب. ولا يجوز صرفها لغير أهلها الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾. [التوبة: ٦٠]

والزكاة حق الله فلا تجوز المحاباة بها ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضراً.

فاتقوا الله أيها المسلمون وتذكروا ما أوجب الله عليكم من الزكاة وما يقاسيه الفقراء والمساكين من ويلات الفقر والفاقة، وبادروا إلى إخراج زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، خالصة لوجه الله، ولا منّ فيها ولا أذى، ولا رياء ولا سُمعة، اغتنموا الفرصة قبل فوات الأوان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. [البقرة: ٢٥٤]

مصارف الزكاة

وأما مصرفها فقد بينه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾. [التوبة: ٦٠]

فلا يجوز صرفها إلى غير هؤلاء الأصناف الثمانية؛ كبناء المساجد والمدارس وتكفين الموتى ووقف المصاحف وكتب العلم وغير ذلك من جهة الخير.



ويجب إخراجها عند تمام الحول فوراً إلا لعذر شرعي. ولا يدفعها إلا لمن يغلب على الظن أنه من أهلها، لأنها لا تحل لغني ولا لقوي مكتسب، كما في حديث عبيد الله بن عدي بن الخيار، رواه ابن داود والنسائي.

فليتقِ الله من لا تحل له أن يأخذ منها شيئاً، فإنها سحت ومحق لما في يده قبلها من المال.

ولا يُجزئ إخراجها إلا بنية، سواء إخراجها بنفسه أو بوكيله، وسواء دفعها إلى مستحقها أو إلى نائب الإمام ليفرقها على مستحقيها؛ لحديث: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرء ما نوى»[٧].

ولا يجوز دفعها إلى أصوله أو إلى فروعه أو زوجته أو إلى أحد ممن تلزمه نفقته، ولا يحابي بها قريبه، أو يقي بها ماله، ولا يدفع بها مذمة.

وينبغي للإنسان الاستكثار من صدقة التطوع أيضاً في الشهر الكريم والموسم العظيم، لحديث أنس: سُئل النبي ﷺ الله: أي الصدقات أفضل؟ فقال: «صدقة في رمضان»[٨]. وقال ﷺ: «من تصدق بعِدل تمرة مِن كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل العظيم»[٩].

وعن أنس مرفوعاً: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء».

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة معروفة، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يشملنا وإياكم بعفوه ومغفرته ورحمته وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويذل أعداءه.

---

٧. متفق عليه.
٨. رواه الترمذي.
٩. متفق عليه.



ما ذُكر في الأسواق



الشيخ العلامة محمد عبد الحي الكتاني

رحمه الله*

ترجم البخاري في كتاب البيوع من صحيحه: (باب ما ذُكر في الأسواق).

وفي فتح الباري قال ابن بطال: «أراد بذكر الأسواق إباحة المتاجر ودخول الأشراف والفضلاء إلى الأسواق».

وكأنه أشار إلى ما لم يثبت على شرطه من أنها شر البقاع، وهو حديث أخرجه أحمد والبزار وصححه الحاكم من حديث جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق».

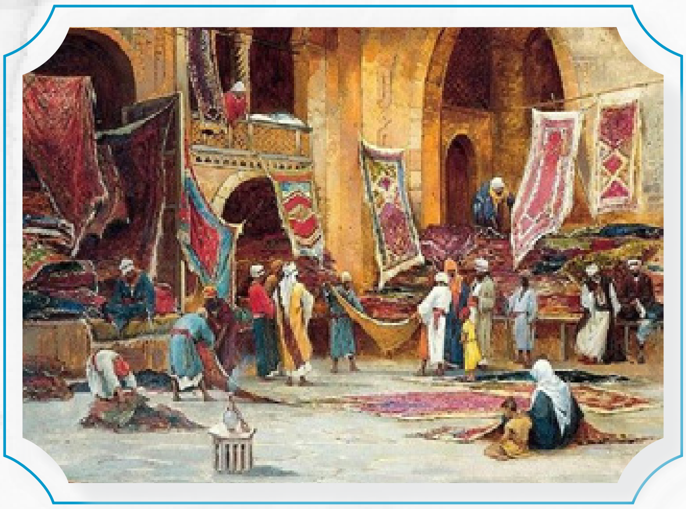
---

* الشيخ العلامة محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى (التراتيب الإدارية)، ط٢، ط: دار الأرقم-بيروت، ١٩٩٦م، (٢/٧-١٤).

وإسناده حسن وأخرجه ابن حبان والحاكم أيضاً من حديث ابن عمر.

قال ابن بطال: «هذا خرج على الغالب، وإلا فرُب سوق يُذكر فيه اسم الله أكثر من كثير من المساجد». اهـ.

قلت: غفل سيدنا الحافظ رحمه الله عن كون الحديث في صحيح مسلم، عن أبي هريرة بلفظ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».



وهو من أفراد مسلم عن البخاري فإنه لم يخرجه خلافاً لمن زعمه.

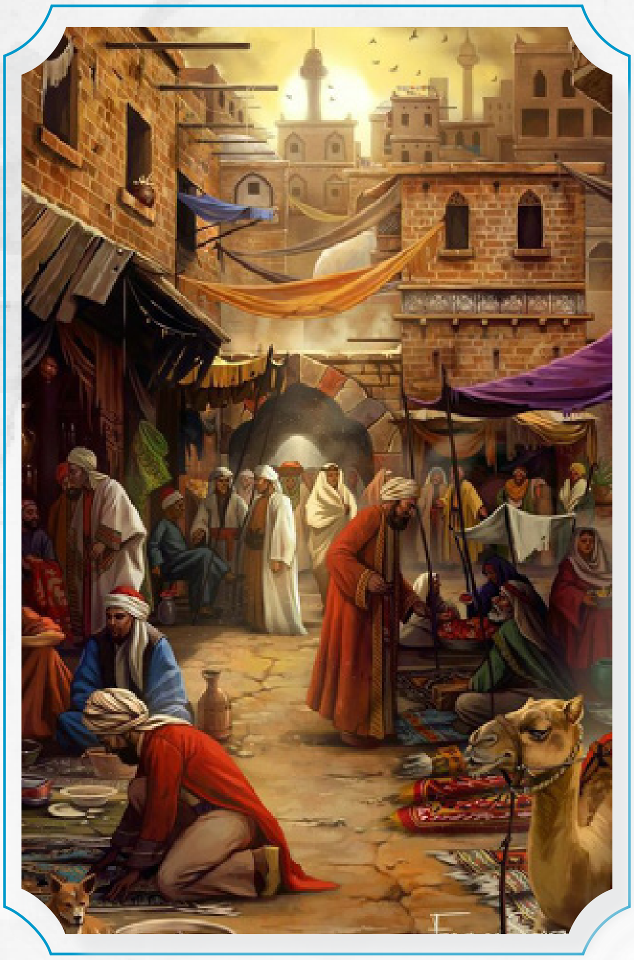
وأخرج البخاري في هذه الترجمة قول عبد الرحمن بن عوف لما قدم المدينة: «هل من سوق فيه تجارة؟»، فقيل: «سوق قينقاع».

وقال عمر: «ألهاني الصفق بالأسواق».

قال الحافظ: «الغرض منه ذكر السوق فقط وكونه كان موجوداً في زمن النبي ﷺ، وكان يتعاهده الفضلاء من الصحابة لتحصيل المعاش للكفاف والتعفف على الناس، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾. [الفرقان:٢٠] اهـ.

• • وترجم ابن رشد في (جامع البيان والتحصيل): في جواز دخول أهل الفضل الأسواق ومقاربتهم في البيع والشراء.

ثم ذكر عن مالك: أنه سُئل عن الرجل له فضل وصلاح يحضر السوق يشتري لنفسه فيقارب في ذلك لفضله ولحاله؟ قال: «لا بأس بذلك وقد كان عمر بن الخطاب يدخل السوق، وسالم بن عبد الله إن كان ليقعد في سوق الليل ويجلس معه رجال. وإن الحرس ليمرون بجلسائه فيقولون: يا أبا عمر أمن جلسائك؟ فقيل له ما بال الحرس؟ قال: يطردون منه السفه والعبث".



قال ابن رشد: «وأما جواز دخول الأسواق والمشي فيها، فكفى في الحجة في ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] رداً لقول المشركين ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]. وقع في بعض الكتب: أمن جلسائك؟ والمعنى في ذلك إعلامهم إياه أنهم يحفظونهم بمجالستهم إياه فهم آمنون. والمعنى فيما داخل الكتاب الاستفهام في الرجل هل هو من جلسائه؟ فيحفظونه من أهل السفه كما يحفظونه وجلساءه منه». اهـ.

ثم ترجم البخاري أيضاً (باب السخب في الأسواق)، وهو الصياح.

نقل الدماميني عليها عن ابن المنير ترجم كثيراً على إباحة السوق ثم ترجم هنا على السخب فيها قال: «كان البخاري صاحب تجارة وزرع. وقال: يُروى أنه أُعطي ببضاعة له خمسة آلاف فذكر في نفسه ولم يتلفظ، فأُعطي فيها بعد ذلك أضعاف الأولى ألوفاً مؤلفة قال: «لا، قد كنت ركنت إلى الأولى». فحاسب نفسه على الهواجس التي لا تلزم» اهـ.

الصحابة والتجارة

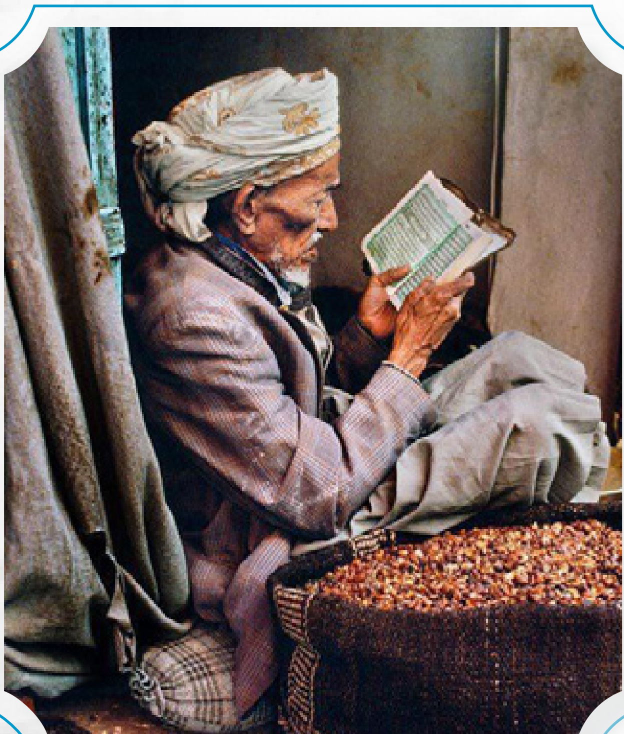
قلت: وبذلك وبغيره مما تقدم ويأتي تعلم ما في قول أبي علي اليوسي في قانونه: توفي رسول الله ﷺ عن ألوف من الصحابة ما كان يحسن الواحد منهم أن يشتري حاجة من السوق بقيراط، وهم فقهاء في دين الله اهـ.

فإن هذا الإطلاق بصيغة الشمول والاستغراق عجيب من مطلقه، وأغرب ما يُذكر عن عالم مثله، إلا أن يكون عَنى أهل الصفة، الذين كانوا كما سبق انقطعوا للعبادة والتأله والتعلم، وهم لم يصلوا إلى الألوف، على أن انقطاعهم لا عن جهل بالبيع والشراء، بل إيثاراً لما يبقى على ما يفنى.

وقد قال ابن الحاج في المدخل: أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في الأسواق يتجرون وفي حوائطهم يعملون.

وقد ترجم البخاري أيضاً باب: (كسب الرجل وعمله بيديه)، فذكر فيه عن عائشة لما استخلف أبو بكر الصديق قال: «لقد علم قومي أن حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشُغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال، وأحترف فيه للمسلمين».

قال الحافظ: حديث أبي بكر هذا وإن كان ظاهره الوقف ولكنه بما اقتضاه من أنه قبل أن يستخلف كان يحترف لتحصيل مؤونة أهله، يصير مرفوعاً، لأنه يصير كقول الصحابي: كنا نفعل كذا على عهد النبي ﷺ. وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث أم سلمة أن أبا بكر خرج تاجراً إلى بصرى في عهد النبي ﷺ، وتقدم في حديث أبي هريرة في أول البيوع: إن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق. ويأتي حديث عائشة أن الصحابة كانوا عمال أنفسهم اهـ.



وترجم البخاري أيضاً (باب التجارة في البر وغيره)، وساق قوله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] ثم ذكر قول قتادة: كان القوم يتبايعون ويتجرون، لكنهم إذا نابهم حق من حقوق الله لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه إلى الله. قال العيني في العمدة: أراد بالقوم الصحابة، فإنهم في بيعهم وشرائهم إذا سمعوا إقامة الصلاة يتبادرون إليها، لإقامة حق.

ويؤيد هذا ما أخرجه عبد الرزاق من كلام ابن عمر أنه كان في السوق، فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد. قال ابن عمر: فيهم نزلت. فذكر الآية. قال ابن بطال: ورأيت في تفسير الآية قال: كانوا حدادين وخرازين، فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الأشفى فسمع الأذان لم يخرج الأشفى من الغرزة، ولم يوقع المطرقة، ورمى بها وقام إلى الصلاة اهـ.

وقال الحافظ على أثر كلام قتادة المذكور: لم أقف عليه موصولاً عنه، وقد وقع لي موصولاً من كلام ابن عمر أخرج عبد الرزاق عنه فساق ما سبق عن العيني.

وقال القسطلاني في الإرشاد: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير فيما ذكر ابن كثير في تفسيره، ثم قال الحافظ: وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود نحوه. وفي الحلية عن سفيان الثوري: «كانوا يتبايعون ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة» اهـ.

وترجم البخاري أيضاً باب الخروج في التجارة وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١١] فذكر فيها قول عمر: ألهاني الصفق بالأسواق. يعني بذلك الخروج إلى تجارة. قال القسطلاني: وكان احتياج عمر إلى السوق لأجل الكسب لعياله، والتعفف عن الناس. وفي ذلك رد على من يتنطع في التجارة فلا يحضر الأسواق، ويتحرج منها، لكن يحتمل أن يتحرج من يتحرج لغلبة المنكرات في الأسواق، في هذه الأزمنة بخلاف الصدر الأول اهـ.

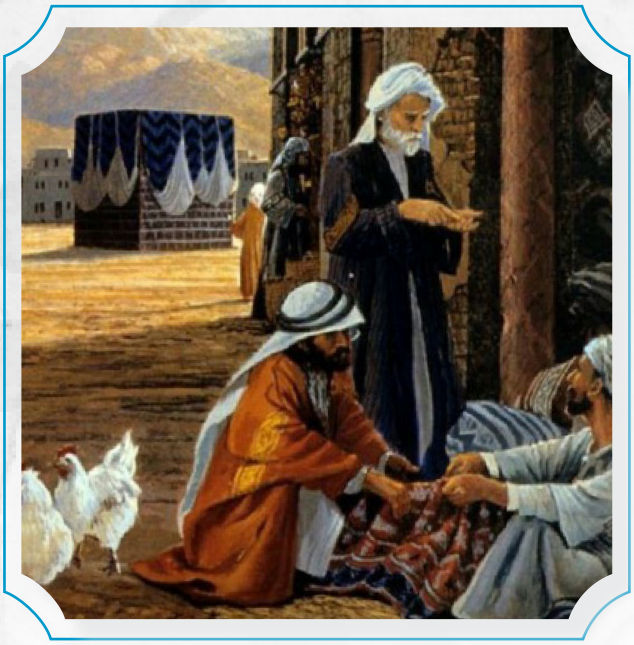
وترجم البخاري أيضاً باب قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قال القسطلاني عن مجاهد: المراد به التجارة.

وقد ترجم البخاري في كتاب البيوع أيضاً: باب ذكر الصواغ، وباب ذكر القين، وباب الخياط، وباب النساج، وباب النجار، وباب بيع السلاح في الفتنة وغيرها، وباب العطار، وبيع المسك، وباب ذكر الحجام، وباب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء.

---

١. انظر: ص٢٦٧ من ج٤ من الفتح، وص٤٤١ من ج٥ من العيني، وص٣١ من ج٤ من القسطلاني.

فقال ابن المنير وابن حجر والدماميني والعيني والقسطلاني وغيرهم: فائدة الترجمة على هذه الصنائع التنبيه على ما كان في زمنه عليه السلام، وأقره مع العلم به، فيكون كالنص على جواز هذه الأنواع، وما عداها إنما يؤخذ بالقياس اهـ[1].



كسب الرجل وعمله بيده وأفضل المكاسب

قد بوب البخاري أيضاً باب: كسب الرجل وعمله بيده.

قال الحافظ: وقد اختلف العلماء في أفضل المكاسب، **قال الماوردي:** أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصنعة. والأشبه في مذهب الشافعي أن أطيبها التجارة، قال: والأرجح عندي أن أطيبها الزراعة، لأنها أقرب إلى التوكل، وتعقّبه النووي بحديث المقدام وقد أدخله البخاري في الترجمة، وفيه: ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده. ثم خرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إن داود كان لا يأكل إلا من عمل يده.

قال النووي: الصواب أن أطيب المكاسب ما كان بعمل اليد، ولما فيه من النفع العام للآدمي وللدواب، ولأنه لابد فيه في العادة أن يأكل منه بغير عوض، ومن لم يعمل بيده فالزراعة في حقه أفضل، لما ذكرنا.

قال الحافظ: والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. اهـ.

قال الحافظ: ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو، وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال، والحاجة إلى الغير، وفي الشرح الجلي قيل: التجارة أفضل لأن المصطفى ﷺ اتجر ولم يزرع. اهـ وفيه نظر، يعلم مما يأتي وعن رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله أي الكسب أفضل؟ قال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور.



وأورده التبريزي في المشكاة وعزاه لأحمد، وعزاه القاري للبزار أيضاً، وقال على قوله: بيده أي من زراعة أو تجارة أو كتابة أو صناعة. اهـ وقال في محل آخر: أَفضلُ أنواعِ التّجارة البَز، ثم العِطْر اهـ.

التجارة والتجار

وقد ورد في التجارة والتجار عدة أحاديث، أخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر قال الحاكم صحيح واعترض: التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة. وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد قال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم من مراسيل الحسن: التاجر الصدوق الأمين مع النبيئين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا. وأخرج الأصبهاني في ترغيبه، والديلمي في الفردوس، عن أنس رفعه: التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة. وأخرج ابن النجار عن ابن عباس رفعه: التاجر الصدوق لا يحجب من أبواب الجنة. قال المناوي في التيسير: بل يدخل من أيها شاء لنفعه لنفسه ولصاحبه وسراية نفعه إلى عموم الخلق.

وأخرج القضاعي عن أنس قال المناوي بإسناد حسن رفعه: التاجر الجبان محروم، والتاجر الجسور مرزوق.

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي ويحيى بن جابر الطائي مرسلاً قال المناوي ورجاله ثقات: تسعة أعشار الرزق في التجارة، والعشر في المواشي. يعني النتاج.

وقال الإمام أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في رسالته في مدح التجار وذم عمل السلطان: وقد علم المسلمون أن خيرة الله من خلقه، وصفوته من عباده، والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة، وهي معولهم وعليها معتمدهم، وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم. وبالتجارة كانوا يعرفون. ولذلك قالت كاهنة اليمن: لله الديار ولقريش التجار، اسم اشتق لهم من التجارة. والتقريش، فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم، وهو الاسم الذي نوّه الله به في كتابه، وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله، ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبو ذؤيب:

إذا ضربوا القباب على عكاظ •• وقام البيع واجتمع الألوف

وقد بقي النبي ﷺ برهة من دهره تاجراً، وباع واشترى حاضراً ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ولم يقسم الله مذهباً رضياً ولا خلقاً زكياً، ولا عملاً مرضياً إلا وخصه منه أوفر الحظوظ، وأقسمه فيه أجزل الأقسام.

ولشهرة أمره في البيع والشراء قال المشركون: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] فأوحى الله إليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات. اهـ كلامه[٢].

وأخرج الديلمي عن ابن عباس: أوصيكم بالتجار خيراً فإنهم برد الآفاق وأمناء الله في الأرض.

وهذا كالصريح في تفضيل التجارة على غيرها من المكاسب، وللإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن محمد الخلال كتاب في الحث على التجارة، ذكره له ابن سليمان الرداني في صلته، في حرف الجيم، وذكر إسناده له.



وقد استدل كثيرون بحديث الصحيح: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، على أن الزراعة أفضل المكاسب؛ لما فيها من النفع المتعدي. والنفع المتعدي أفضل من القاصر، وقال الحافظ ابن حجر: الصواب أن ذلك يختلف باختلاف الأوقات والأشخاص. اهـ.

٢. انظر بقيته فيه ضمن: مجموعة من رسائل الجاحظ، طُبعت بمصر سنة ١٣٢٤.

وقال بعض الأعلام: وينبغي أن يختلف التفاضل بين الثلاثة باختلاف الحال؛ فإن احتيج إلى الأقوات أكثر تكون الزراعة أفضل، وإن احتيج إلى المتجر لانقطاع الطرق تكون التجارة أفضل، وإن احتيج إلى الصنعة تكون أفضل، وهذا الخلاف في الأفضلية وإلا فكلها فروض كفاية؛ كما في (الإحياء)، و(جمع الجوامع)، وغيرهما.

وعبارة الغزالي: «أما فرض الكفاية فكل علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا؛ كالطب والحساب وأصول الصناعات والسياسة».



مكاسب أجمعوا على تحريمها

قال أبو عمر بن عبد البر في (الكافي): «من المكاسب المجمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرِشَى وأخذ الأجرة على النياحة، وعلى الكهانة وادعاء الغيب، وأخبار السماء وعلى الزمر واللعب والباطل كله. اهـ نقله القرطبي في التفسير.

التجارة التي تشغل عن الدين

إلى ما غلب في تجارة الناس اليوم، أشار الشهاب البربير كما في الشرح الجلي له:

أرى التجار سكارى •• من سكرهم ما أفاقوا
وليلنا اسودَّ منهم •• واحمرت الآفاقُ
فالخسر عدّوه ربحاً •• غداً إليه يُساقوا
للصدق فيه كساد •• وللنفاق نَفاقُ

وقال أيضاً:

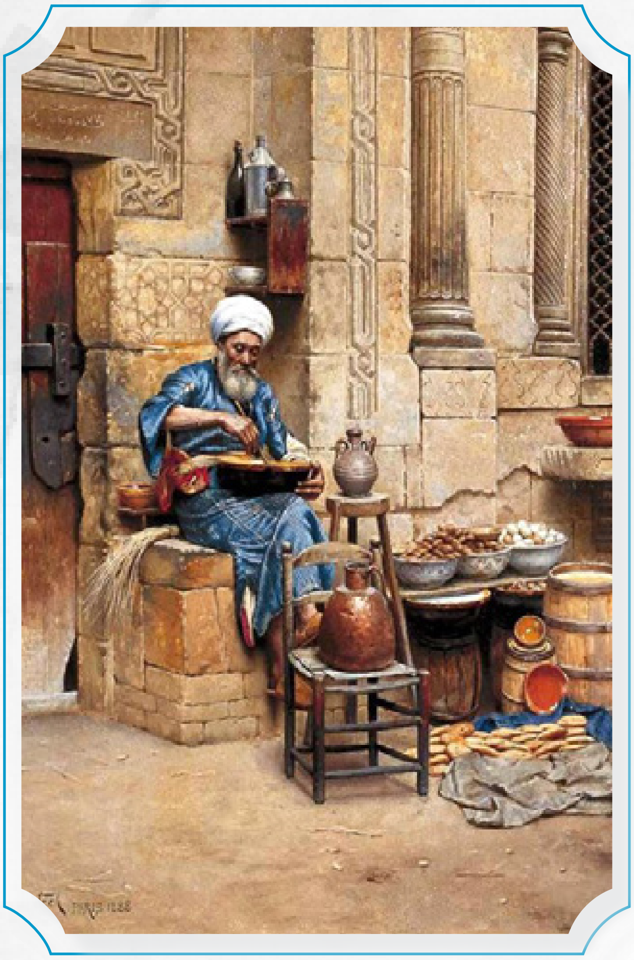
أبناء دهري طلقوا الأخ •• رى وما ندموا عليها
إذا رأوا تجارة أو •• لهواً انفضوا إليها

وقال أيضاً:

يا تاجراً لازال يرجو •• ربحاً ويخسر الخسارة
عبادة الله كل حين •• خير من اللهو والتجارة
فاعبده ما دمت واخشَ ناراً •• وقودها الناس والحجارة

قال الشهاب البربير:

«ما أشعرتْ به آية ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ من ذم التجارة، محمول على تجارة تشغل عن أمور الدين، وتصرفه عن أمور الآخرة، وتحمله على الإقبال والانهماك على الدنيا، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] وأما إذا خلت عن ذلك



فهي ممدوحة وذمها عارض، وعلى ما ذكرنا يحمل حديث البخاري: «هم الفجار» كما حمل حديث: «إذا زرعت هذه الأمة نزع منها النصر». وحديث: «الذل في أذناب البقر». المشعِرين بذم الزراعة، على زراعة تحمل الناس بالاشتغال بها على ترك الغزو بالكلية، لأنها إذا فعلت ذلك هجم العدو عليها في أوطانها، وهي على غير أهبة فينالها بذلك الذل، وتحرم النصر على العدو. وأما إذا جمعت بين الزراعة والقدرة على دفع العدو فبالسنة أخذت، لأن خير المؤمنين من لا يترك الدنيا للآخرة، ولا الأخرى للدنيا، بل يأخذ منهما كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧]» اهـ.

وقد أنشد الشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابه (مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية ص٥١).

إن حزتَ علماً فاتخذ حرفة •• تصون ماء الوجه لا يُبذَلُ

ولا تُهِنه أن ترى سائلاً •• فشأن أهل العلم أن يُسألوا

ودليله قول الأحنف بن قيس كما لابن الهندي في كتاب (الرحمة في الطب والحكمة): «لا ينبغي للعاقل أن يترك من علم يتزوده لمعاده، وصنعة يستعين بها على أمر دينه ودنياه، وعلم طب يذهب به الداء والعلة عن نفسه وعن جسده».

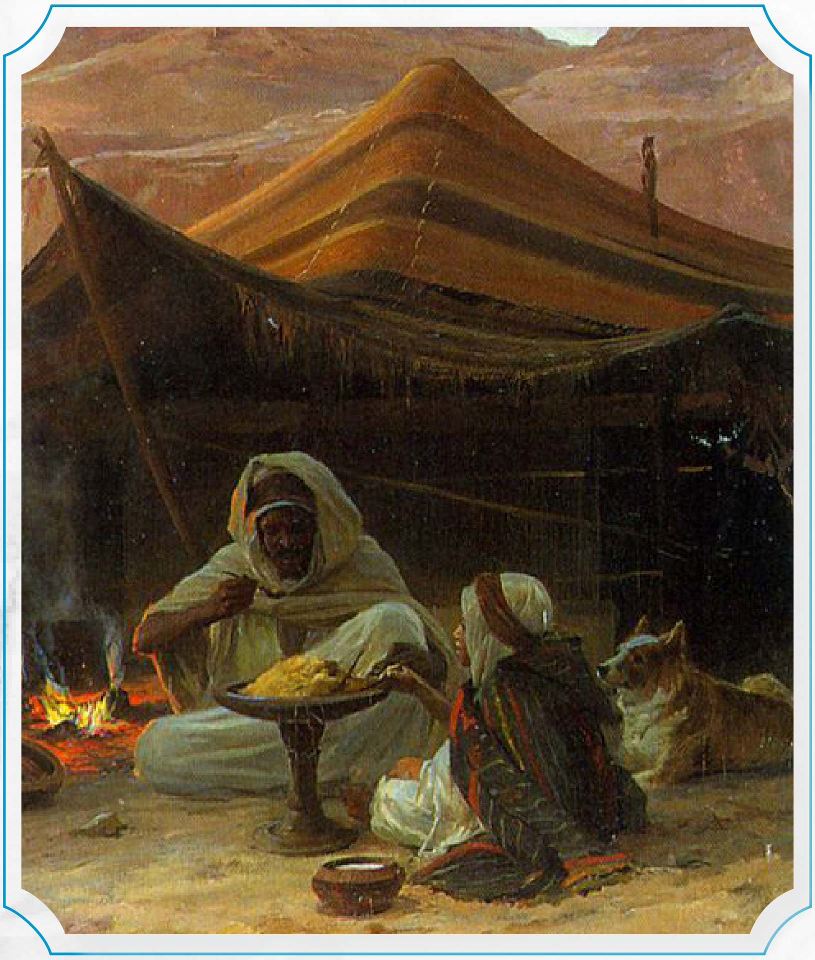
وانظر رسالة: (كشف الزور والبهتان من صناعة بني ساسان). على مبالغات فيها.

• • ترك التكسب لغلبة الحرام

وربما تعلل بعض جهال المتعبدين في ترك التكسب بغلبة الحرام، قال القاري في المرقاة: «واعلم أن هذا الزمان لا يوجد الحلال في كثير من الأحوال، فليكتسب السالك من غيره بما يحفظ حياته لئلا يموت جوعاً، قال بعض الظرفاء:

يقول لي الجهول بغير علم •• دع المال الحرام وكن قنوعا

فلما لم أجد مالاً حلالاً •• ولم آكل حراماً متُّ جوعا



لكن يجب أن يراعي درجات الحرام والشبهة، فمهما وجد ما يكون أقرب إلى الحلال لا يتناول مما يكون بعيداً عنه، حتى قال بعض المشايخ: المضطر إذا وجد غنماً ميتاً فلا يأكل من الحمار الميت، وإذا وجد الحمار فلا يأكل من الكلب، وإذا وجد الكلب لا يقرب من الخنزير، ولا ينبغي أن يساوي بين الأشياء كسفهاء الفقهاء حيث يقولون الحلال ما حل بنا والحرام ما حرم منا! اهـ».



الإسلام واحة آمنة



د. عمر سليمان الأشقر

رحمه الله*

يذكر الصحابي الجليل عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه كان جالساً يوماً في حضرة الرسول ﷺ، فجاءه رجال يشكون ما يجدون من بلاء عندما يسافرون ويرحلون، حيث يعتدي عليهم الناس فيأخذون أموالهم، وقد يجلدون ظهورهم ويسفكون دماءهم، فقد كانت الجزيرة العربية قبل الهجرة النبوية أشبه بغابة، يتسلط القوي فيها على الضعيف، والأقوياء يسلبون أموال الناس، حيث كانت بعض القبائل تغير على بعض وتقطع الطريق.

---

*دروس الشيخ عمر الأشقر، دروس صوتية فرّغها موقع الشبكة الإسلامية، islamweb.net ، درس الإسلام واحة آمنة.

فقال الرسول ﷺ لعدي بن حاتم: «يا عدي! أتعرف الحيرة -بلد في العراق-؟ قال: لم آتها وقد حدثت عنها، قال: لئن طالت بك حياة لترين الظعينة -المرأة التي تركب جملها- تسير من الحيرة إلى مكة لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها».



ومعنى ذلك أن هذه الجزيرة التي هي أشبه بغابة في ذلك الوقت ستتحول إلى واحة آمنة، فلا يأمن الجيش أو الجماعة أو الرجل القوي المسلح فحسب، بل تأمن المرأة الضعيفة التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها، فتسير هذه المسافات الشاسعة لا تخشى أن يعتدي عليها معتد، ولا تخشى أن يقطع الطريق قاطع، وإنما تخشى الله تبارك وتعالى، وكذلك تخشى الحيوان المفترس، لأن الحيوانات المفترسة لا يحدها أو يمنعها مانع عن العدوان.

قال عدي: فقلت في نفسي: «فأين دعار طيء؟» أي: لصوص طيء، وكيف ستسير هذه الظعينة هذه المسافات الشاسعة ولا يعترضها اللصوص! فهو رضي الله عنه يتحدث عن قبيلته؛ لأن فيها لصوصاً.

ولا يمنع هذا أن يكون في القبائل الأخرى لصوص أيضاً، قال: «ولئن طالت بك حياة لتَفتحن -أو لتُفتحن- كنوز كسرى وقيصر»، قلت: «يا رسول الله! كسرى بن هرمز؟» قال: «نعم، كسرى بن هرمز، قال: «ولئن طالت بك حياة ليخرجن أحدكم زكاة ماله فلا يجد من يتصدق عليه، وليبعثن أحدكم يوم القيامة ليس بينه وبين الله ترجمان، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا».

يقول عدي بن حاتم عندما كان يحدث بهذا الحديث: «فهأنذا أرى الظعينة تنتقل من العراق إلى مكة، وتسير في أرجاء الدولة الإسلامية، فلا تخشى إلا الله والذئب على غنمها، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز»، أي: أنه كان أحد الجنود الذين فتحوا بلاد كسرى وقيصر، وأخذوا تلك الكنوز الهائلة التي كانت في خزائنهم.



قال عدي: «ولئن طالت بكم حياة لترون الثالثة».

أي: إذا طال بكم العمر سترون أن الثالثة ستقع، وقد وقعت الثالثة في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فقد كان الرجل يخرج زكاة ماله فلا يجد أحداً فقيراً يقبضها.

قال المؤرخون: لقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس فلم يوجد فقير، وتسير في طول المدينة وعرضها تبحث عن فقير فلا تجد.

طرق الإسلام في إصلاح الحياة

إن الإسلام جاء كي يرضى الله تبارك وتعالى عنا، ويبين لنا طريقاً ندخل به الجنة، وليس ذلك فحسب، بل الإسلام أيضاً يصلح الحياة الدنيا، فيجعلها واحة آمنة لا غابة وحوش، فالقوي يريد أن يستبد، والحاكم كذلك، والناس يثور بعضهم على بعض.

فسلك الإسلام في ذلك طريقين:

الطريق الأول:

تربية النفوس وإصلاحها، وتعريفها بربها وخالقها تبارك وتعالى، ووصلها بالله عز وجل، وإشعارها بأن الله يراقبها وينظر إليها ويطلع عليها، وعند ذلك يصبح في النفوس وازعٌ، فيراقب الإنسان نفسه، ويحد من جهله ومن ظلمه، فالإنسان خلق جهولاً ظلوماً، فهو كثير الجهل كثير الظلم، والإسلام يحد من هذا الجهل من هذا الظلم.

إن هذه الأنوار الربانية التي جاء بها القرآن والسنة النبوية؛ لتملأ النفوس نوراً وصلاحاً وحياة، وعند ذلك لا يعتدي الإنسان على غيره ولا يظلم، وإن ظلم فإن نفسه تلومه، وكثيراً من الأحيان يتوب وينيب، ويرجع بنفسه الحق إلى صاحبه.

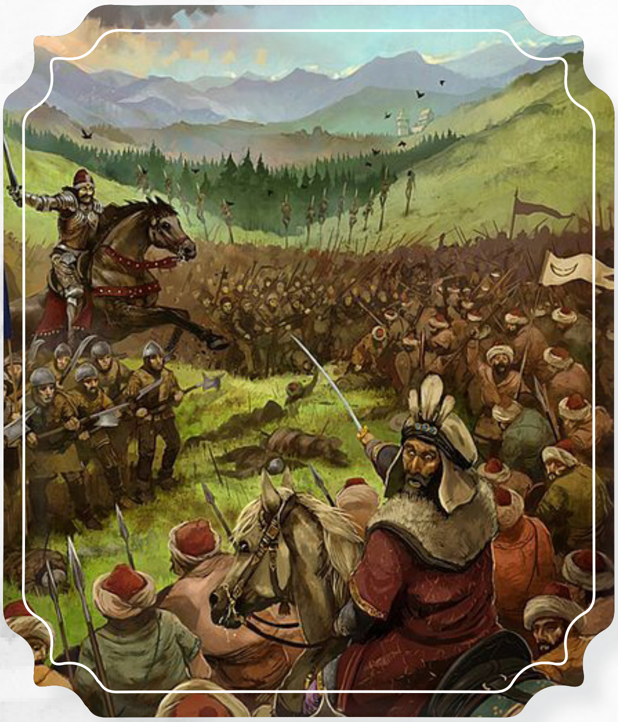
الطريق الثاني:

أن الإسلام جاء بشريعة وقانون يحكم بين العباد، وهذا القانون قانون عادل؛ لأنه من عند العليم الخبير الحكيم سبحانه وتعالى، الذي ألزم الأمة بأن تقيم رجالاً يقومون على هذا القانون، من حكام وقضاة يحكمون به، فإذا لم تفلح التربية النفسية في إصلاح النفوس، وبقي ظلم العباد بعضهم لبعض؛ فإن سلطان الله تبارك وتعالى الذي يتمثل في شريعته والقضاة الذين يحكمون به، يعيدون الحق إلى نصابه، فتصلح حياة البشر، وعند ذلك فإن المظلوم ليس بحاجة إلى أن يثور؛ لأن هناك من يأخذ له بحقه، وكذلك الفقراء ليسوا بحاجة إلى الثورة؛ لأن حقوقهم ستصل إليهم، فلهم في مال الأغنياء حق، ولا يستطيع الأغنياء والأقوياء أن يعتدوا عليهم؛ لأن هناك من يحاسب في الدولة الإسلامية:

«القوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، والضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له».

فالقوي فيكم ضعيف، والضعيف قوي، فهذا يأخذ الحق منه، وهذا يأخذ الحق له، وهذا جزء من الخطبة التي افتتح بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه خلافته، عندما نصب خليفة للمسلمين.

فمهمة الحاكم أن يمنع هذا الظلم، وعند ذلك لا يحس الفقير بحاجة إلى أن يثور، وإلى أن يفسد في الأرض، لماذا؟ لأنه يرى أن حقه سيصل إليه، فليس له حاجة في أن يثور وأن يفسد ويخرب.



صور من الفساد المعاصر

وانظروا إلى ديار المسلمين اليوم ماذا يحدث بها؟ فقد زعموا أن الشريعة الإسلامية كانت عقبة في سبيل تقدم المسلمين، فحطموا دولة الخلافة زاعمين أنهم يريدون الرقي والحضارة، ثم غيروا القوانين

الشرعية وأحلوا محلها القوانين الوضعية، بحجة أنهم يريدون بنا رقياً وحضارة وتقدماً، ثم ماذا كان؟ كان أن تجزأت الديار الإسلامية وضعفت، واعتدى عليها أعداؤها وأذلوها، ثم كان الفقر والجريمة، والإفساد في الأرض أينما توجهت في ديار المسلمين، ولم يزدنا هذا التقدم الذي يسمونه تقدماً وحضارة إلا فساداً وإفساداً.

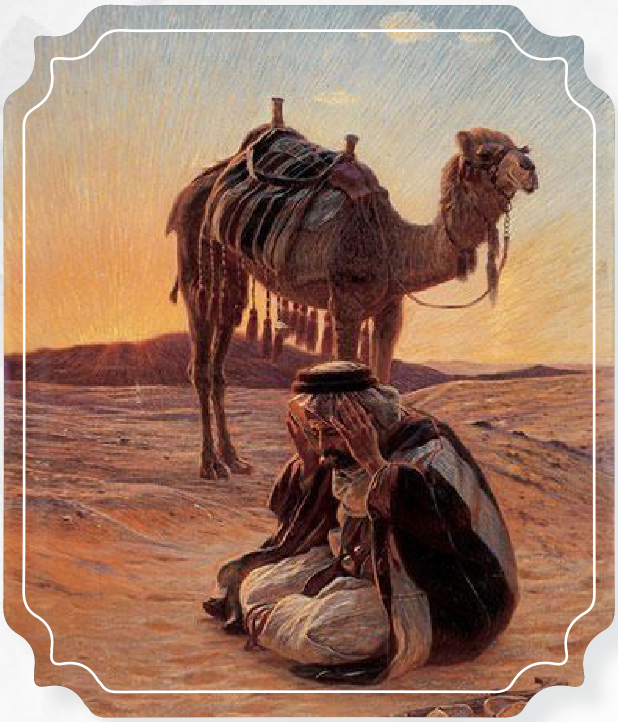
وما نقلته الصحف في هذه الأيام، ووكالات الأنباء والإذاعات، مما يجري في مصر، وماذا يحدث أو ماذا حدث؟ مئات من الناس سقطوا قتلى، وأضعاف ذلك سقطوا جرحى، وخرج الناس يحطمون ويخربون ويفسدون، لماذا؟



الجواب: أمران، حسبما تناقلته وكالات الأنباء:

الأمر الأول: جوع البطن، فأصبح رغيف الخبز لا يوجد، وأقل الأطعمة شأناً في بلادنا -الأرز والعدس- لا توجد، فماذا يملك الفقير عندما يجد نفسه جائعاً وزوجته جائعة وابنه جائعاً، وهو لا يستطيع أن يفي بالحاجات الدنيا؟ ثم أين تذهب الأموال؟ فبين فترة وأخرى تكشف فضيحة في مصر وفي غيرها، وهذا ليس وقفاً على مصر، بل في أكثر البلاد الإسلامية، فضيحة مالية لا تقدر بالألوف وعشرات الألوف ومئات الألوف، ولا ملايين وعشرات الملايين، بل تصل إلى مبالغ خيالية جداً، عصابة من الموظفين أو المتنفذين يأخذون ثروات الأمة، وفرد يسلب عشرات الملايين ومئات الملايين، بينما عشرات الملايين من البشر لا تجد طعاماً تأكله، وهذا ليس بالأمر الخفي، بل هو أمر قد انتشر في كل مكان، وفضائح في كل مكان.

وهذا الذي أخذ الملايين نفسه عفنة قذرة خربة، فلم يلامسها نور الوحي، ولم يعلم أن هذه الدنيا زائلة، وأنه غداً سيقف بين يدي الله فيحاسبه عما قدم، فيظن نفسه أنه أخذ غنيمة وخيراً، وفي الحقيقة هو أخذ شراً، ثم النتيجة الأخرى أنه ظلم غيره في هذه الحياة الدنيا وحرم غيره من لقمة العيش.



الأمر الثاني: أن هذه الشعوب وإن حُرمت من تحكيم شريعة الله، فهي لا زالت شعوب إسلامية للإسلام صدى في نفوسها، فهي ترى هذا الفساد من السينمات والمسارح التي تُنتهك فيها الفضيلة والحرمات، وتهدر فيها أموال الأمة، فاتجهت إلى تخريب هذه الأماكن المفسدة في الأرض؛ لأنهم مسلمون، ويشعرون بأن هذا من المنكر الذي فرض عليهم تغييره. وليس هذا في مصر فحسب، فهذه عدن قد سقط فيها ألوف من الناس، لتحكم الشيوعية عليهم، وحتى انقسم الرفاق على بعضهم.

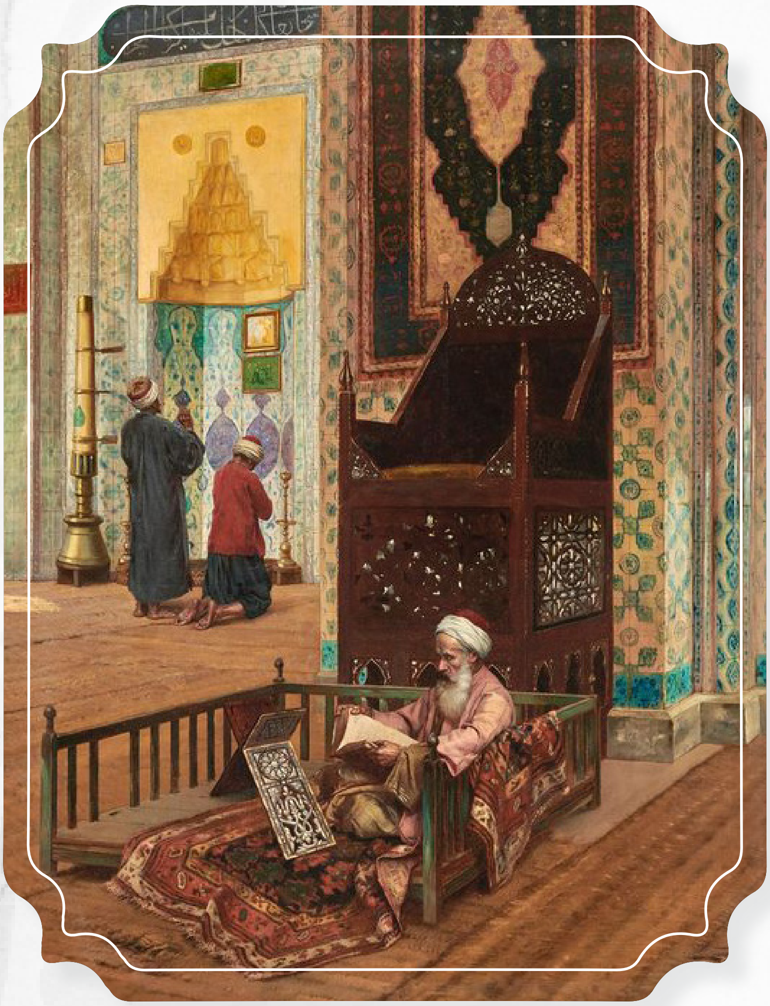
وهذه الحروب بين العراق وإيران يسقط فيها كل يوم ألوف الضحايا، فما السبيل؟

الله تبارك وتعالى جعل الإسلام طريقاً إلى جنته ورضوانه، وجعل الإسلام في الدنيا قانون شريعة، إذا رضي الناس به وحكموا به عند ذلك تصلح حياتهم، والله تبارك وتعالى عندما أهبط آدم من الجنة وضع له ولذريته قانوناً يحكم البشر منذ عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾. [طه: ١٢٣- ١٢٦].

فهذا قانون: من اتبع هداي فلا يضل في هذه الحياة ولا يشقى، لا في دنياه ولا في أخراه، والشقاء قد يكون في داخل النفس الإنسانية، وقد يكون في داخل الأسرة، وقد يكون في داخل المجتمع، وإن كان المال وفيراً والخير كثيراً؛ لكن الإنسان يكون شقياً، قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أي: في الحياة الدنيا.

وبلاد المسلمين من أكثر بلاد العالم خيراً وثراءً، ومع ذلك فالناس يموتون جوعاً وآخرون يشقون بأموالهم، ولا يستطيعون التصرف في أموالهم تصرفاً حكيماً يذهب البلاء الذي يحيط بهم.

إن العليم الخبير قد شرع لنا تشريعات تصلح النفوس وتصلح المجتمعات، وليست هذه نظريات خيالية، فهذا أمر طبقه المسلمون عبر تاريخهم زمناً طويلاً، وقد يكون التطبيق كاملاً مائة في المائة كما حدث في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، وقد يكون ناقصاً، وبمقدار تطبيق هذا الإسلام تصلح حياة البشر وتصلح نفوس البشر.



فعجيب أمر المسلمين، فالبلاء يصب من فوقهم، وفي مجتمعاتهم، وربهم يقول لهم: هذا هو العلاج، وهذا هو البلسم والدواء، ومع ذلك نأبى إلا أن نتغنى بحب أمريكا، وبحب روسيا، ومجلس الأمن، وهيئة الأمم، وأن نتغنى بالنظريات التي جاء بها الشرق والغرب، ونأتي بالخبراء من هنا وهناك، والدواء عندنا في خزائننا، وليس دواءنا فحسب، ودواء العالم بأسره، ونأبى كل الإباء أن نتخذ هذا الدين منهجاً ودستوراً وقانوناً يصلح.

والمشكلة أن الذين بيدهم هذه الأوضاع يعلمون أن المسلمين في ديار المسلمين يريدون دين الله وشريعة الله تبارك وتعالى، ولكنهم يأبون إلا أن ينفذوا شرائع البشر وأفكار البشر وقوانين البشر.

المثنى بن حارثة الشيباني (٢/٢)

القائد الذي جرأ العرب على مهاجمة الإمبراطورية الفارسية ومهّد لفتح العراق



اللواء الركن/ محمود شيت خطاب

رحمه الله*



«هذا رجل غير خامل الذكر، ولا مجهول النسب، ولا ذليل العماد.. هذا المثنى بن حارثة الشيباني»

(قيس بن عاصم المنقري)

القائد العام ثانيةً

ارفضّ عن المثنى أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة، وتركها بعضهم ونزلوا البوادي، وبقى المثنى فى قلّة، فأرسل يطلب المدد من عمر، وبعث إلى من يليه من القبائل العربية، فتوافوا إليه فى جمع عظيم.وتتابعت على المثنى الإمدادات من المدينة، فحشد المثنى جيش المسلمين في (البويب)، وفيها التقى المسلمون بجيش الفرس بقيادة (مهران).

---

* اللواء الركن محمود شيت خطاب، كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة، ط: دار القلم-القاهرة، ص٢٥ وما بعدها.

وبعث (مهران) إلى المثنى يقول: «إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم». فقال المثنى: «اعبروا أنتم».

فعبر (مهران) بجيشه. وعبأ المثنى أصحابه، وكان الوقت رمضان، فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوهم، فأفطروا، وخرج على فرسه (الشموس)، وكان لا يركبه إلا لقتال، وطاف راكباً بين الصفوف: يحضهم ويحرضهم ويهزهم بأحسن ما فيهم، فكان يقف عليهم راية راية، ويقول: «إني لأرجو ألا تُؤتى العرب من قِبلكم. والله ما يسرني اليوم شيء لنفسي إلا وهو يسرني لعامتكم».



وقال المثنى: «إني مكبر ثلاثاً، فتهيئوا، ثم احملوا مع الرابعة». ولكنه ما كاد يكبر التكبيرة الأولى حتى أعجل الفرس المسلمين وعاجلوهم وشدوا عليهم، فاختلّت بعض صفوف المسلمين من بني (عجل)، فأرسل المثنى من يقول لهم: «إن الأمير يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: لا تفضحوا المسلمين اليوم!». فاعتدل بنو (عجل) وهاجموا مع المسلمين القوات الفارسية، واشتبك الطرفان في قتال مرير دام سجالاً بضع ساعات، ففكر المثنى بأن يحمل بنفسه على قائد الفرس فيزيله عن مكانه أو يقتله.

فحمل على (مهران) حملة صادقة حتى دخل ميمنته. ورأى الفرس ما حدث، فاندفعوا لحماية قائدهم، وعندما انكشف الغبار رأى المسلمون تراجع قلب الفرس، فحملت ميمنة المسلمين وميسرتهم، فسارع الفرس إلى التراجع نحو النهر خوفاً من التطويق يريدون النجاة بأنفسهم!

وحرّض المثنى جنده قائلاً: «عاداتكم في أمثالهم! انصروا الله ينصركم». ثم سابق المثنى الفرس المنسحبين إلى الجسر، فسبقهم إليه وقطعه، وبذلك قطع خط رجعتهم الوحيد وكبدهم خسائر تقدر كما قيل بمائة ألف قتيل، ولكن المثنى ترك في ساحة المعركة أخاه مسعود بن حارثة شهيداً، فقال المثنى: «أيها الناس! لا يرعكم مصرع أخي، فإن مصارع خياركم هكذا...» وترك في ساحة المعركة كثيراً من الشهداء..



وقال المثنى بعد المعركة: «قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية. والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد عليّ من ألف من العرب، ولمائة اليوم من العرب أشد علي من ألف من العجم. إن الله أذهب بأسهم ووهن كيدهم، فلا يروعنكم زُهَاء ترونه ولا سواد ولا قِسيٌّ فُجٌّ ولا نبال طوال، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها، كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت!

وذكر المثنى قطع الجسر على الفرس، مما أدى إلى إفناء جيشهم من جهة وازدياد خسائر المسلمين بالأرواح من جهة أخرى، فقال منكراً صنيع نفسه معترفاً بخطئه: «لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر حتى أحرجتهم، فإني غير عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة: لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع!".

وهكذا بكل بساطة يعترف القائد المنتصر بخطئه بعد انتصاره العظيم مباشرة في أول معركة حاسمة في العراق بين الفرس والمسلمين.

ووقف المثنى يؤبن الشهداء ومن بينهم أخوه مسعود بن حارثة الشيباني بعد الصلاة عليهم فقال: «والله إنه ليهوّن على وَجْدي أن شهدوا البويب، أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا، وإن كان في الشهادة كفارة لتجوّز الذنوب»».

وأمر المثنى رجاله بالاندفاع في مطاردة الفرس، ففتحوا السواد كله حتى بلغوا (ساباط)، كما انطلق المثنى بدوره، فغزا (الخنافس) و(الأنبار)، وبلغ المسلمون على محور دجلة قرية (بغداد) ومدينة (تكريت).

وأخذت فارس بعد هزيمتها تعد جيشاً ضخماً لاستعادة العراق من المسلمين، خاصة بعد اجتماع كلمتهم على تولية كسرى (يزدجرد بن شهريار)، فثار أهل السواد بالمسلمين، فلم يجد المثنى بداً من الانسحاب

ثانية إلى تخوم شبه الجزيرة العربية، فنزل بـ(ذي قار) منتظراً الإمدادات التي كان قد طلبها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.



الشهيد

لم يطُل انتظار المثنى بـ(ذي قار) طويلاً لقدوم سعد بن أبي وقاص الزهري القائد العام الجديد للعراق، حتى نغر الجرح الذي كان أصابه في معركة (الجسر)، فمات شهيداً قبل وصول سعد وجيشه إلى أرض العراق وذلك في سنة أربع عشرة للهجرة، ولكنه ترك وصية عسكرية لسعد تعتبر عصارة تجاربه وخبرته في حرب الفرس، يذكر فيها لسعد:

«ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وماؤهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم، على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مَدَرَة من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين فلهم ما وراءهم، وإن كانت الأخرى رجعوا إلى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم إن يُرِد الله الكرّة عليهم».

فحمل هذه الوصية إلى سعد المُعَنَّى بن حارثة الشيباني أخو المثنى وسلمى زوج المثنى، فترحم سعد ومن معه على المثنى وجعل المعنّى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً.

لقد كان سعد يتمنى أن يعاونه المثنى فى مهمته الصعبة، ولكن الأقدار حرمته من ذلك وحرمت المثنى من الاشتراك فى (القادسية) وعندما حمى الوطيس واستكلب الموت على الأبطال في تلك المعركة الحاسمة، هتفت سلمى زوج المثنى - وكان سعد تزوجها بعد المثنى- حين لم تجد المثنى يسوس الأجناد ويقود الجلاد، قائلة: «وامثناه! ولا مثنى اليوم للخيل!»».

شِعره

هذه نماذج من أشعار المثنى التي يتغنى بها ببعض فتوحاته، وهي تدل على أن المثنى كرّس كل شيء في حياته -حتى شعره- للجهاد، فهو بحق فارس الشعراء وشاعر الفرسان. ولعل الكثير من شعره قد ضاع، فلم تصل إلينا إلا بعض أشعاره. قال يذكر معركة (النمارق):



غلَبنا على (خَفَّانَ) بيداً مُشيحة •• إلى النخَلَات السُّمر فوق (النمارق)

وإنـا لنرجو أن تجول خيولنا •• بشاطئ الفرات بالسيوف البوارق

وقال يذكر يوم (الخنافس):

صبحنا (بالخنافس) جمع بَكْر •• وحيـاً مـن قُضـاعة غـير مِيـل

بفتيان الوغى من كل حي •• تُبـاري في الحوادث كل جيل

نسفنـا سوقهم والخيل رُوْدٌ •• مـن التَّطـواف والشـر البخيل

ولعلك تلمس معي، في هذا الشعر، آمال القائد المنتصر في انتصار جديد، وتلمس فيه صولة الفرسان الشجعان الذين لا مثيل لهم في كل جيل، حتى أصبحت خيولهم -وقد قطعت مسافات شاسعة وهي تحمل الفاتحين- لا تقوى على السير إلا بصعوبة. إنها صور شعرية رائعة، لا يقوى على الإتيان بمثلها إلا شاعر أصيل!

الشمائل



كان المثنى شجاعاً مقداماً، شهماً غيوراً، وكان مأمون النقيبة حسن الرأي، وكان راسخ العقيدة، قوي الإيمان شديد الثقة بنفسه، بعيد النظر، يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصر عليه. وكان يشارك أصحابه في السراء والضراء، (أنصفهم من نفسه في القول والفعل، وخلط الناس في المحبوب والمكروه، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً)[1].

لقد كان المثنى مثالاً للإنسان الكامل في صفاته الإنسانية ومزاياه.

القائد

يتضح لنا من دراسة أعمال المثنى العسكرية! أنه كان يمتلك موهبة إعطاء القرارات الصحيحة السريعة، وكان ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسؤولية الكاملة في أخطر الظروف والأحوال كما فعل في معركة الجسر، له نفسية لا تتبدل فى حالتي النصر والهزيمة، يثق بقواته وتثق قواته به ثقة لا حدود لها ويحبهم ويحبونه حباً لا مزيد عليه، ذا شخصية قوية نافذة، فهو بحق كما يقول عنه عمر بن الخطاب: «مؤمر نفسه»[2].

له قابلية بدنية فائقة تعينه على تحمل أعباء القتال، وله ماضٍ ناصع مجيد.

---

١. ابن الأثير (١٧٠/٢).

٢. أسد الغابة (٢٩٩/٤).

وكان شجاعاً إلى أقصى حدود الشجاعة، مقداماً إلى أقصى حدود الإقدام، فكان دائماً أول من يهجم وآخر من ينسحب، وكان خبيراً بمناطق العراق، جريئاً على الفرس، سريع الحركة، واسع الحيلة، وكان أول من اجترأ على الفرس بعد الإسلام وجرأ المسلمين عليهم، فقد «أبلى في حروب العراق بلاء لم يبلِه أحد»[٣].

وعند تطبيق مبادىء الحرب على أعمال المثنى العسكرية، يتضح لنا أنه طبق أهم تلك المبادىء، فقد كان يطبق مبدأ (اختيار المقصد وإدامته)، متشبعاً بروح (التعرّض)، يعمل بهمة ودون كلل لإكمال (تحشيد قواته) قبل كل معركة يخوضها، كما يطبق مبدأ (التعاون) بين مختلف تشكيلات وصنوف جيشه ويعمل على (إدامة معنويات) قطعاته قبل المعركة وفى أثنائها وبعدها.

ولقد كان كثير الحركة أثناء المعركة، يتجول بنشاط لا يفتر بين أقسام جيشه ويقوّم بنفسه نقاط الضعف التي يجدها ويسد الثغرات التي يعثر عليها، كما يبادر إلى توجيه القوات المناسبة إلى النقاط الضعيفة والثغرات التي يجدها بين صفوف عدوه.. إنه مثال القائد الذي يؤمِن (الاستطلاع الشخصي) أثناء القتال.



وكان شديد الضبط مطيعاً، ينفّذ أوامر رؤسائه برحابة صدر، فقد عمل بكل إخلاص بإمرة خالد بن الوليد في عهد أبي بكر الصديق، وبإمرة أبي عبيد الثقفي في عهد الفاروق عمر، كما لم يتذمر من تعيين سعد بن أبي وقاص قائداً عاماً في العراق، ولو عاش لعمل بإمرة سعد أيضاً غير مكترث أن يكون رئيساً أو مرؤوساً ما دام هو لا يعمل لنفسه بل لإعلاء كلمة الله!

---

٣. الإصابة (٤١/٤) وأسد الغابة (٢٩٩/٤).

ما أشبه مزايا قيادة المثنى بمزايا قيادة خالد بن الوليد، تلك المزايا التي جعلت هذين القائدين العظيمين لا يخسران معركة في كل حياتهما العسكرية، بل كان النصر حليفهما في مختلف المعارك والحروب.

المثنى في التاريخ

يذكر التاريخ للمثنى جهاده مع العلاء بن الحضرمي للمرتدين، مما أدى إلى إعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين.

ويُذكَر له أنه كان أول مسلم هاجم الامبراطورية الفارسية في عقر دارها، فحمل عن المسلمين عبئاً لم يحمله غيره، فهو الذي جرّأ العرب على محاربة الفرس، وهو الذي رفع معنويات العرب وحطم معنويات الفرس، فكانت أعماله العسكرية في العراق فاتحة لفتحه فيما بعد، وكانت معركة (البويب) تمهيداً لمعركة (القادسية) وإيذاناً بانهيار الإمبراطورية الفارسية وانتشار الإسلام في ربوع بلادها.

وأخيراً جاد بروحه في سبيل عقيدته، فمات شهيداً متأثراً بجروحه التي أصيب بها في معركة (الجسر) التي لولا قيادة المثنى في أعقابها لكان مصير المقاتلين فيها من المسلمين الفناء.

إن المثنى كان نمطاً فريداً بين القادة في كل أدوار التاريخ، فهو بحق مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين في كل مكان وبكل زمان. رضي الله عن بطل الأبطال ورجل الرجال، القائد الإنسان المثنى بن حارثة الشيباني.



الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

• من إنتاج علمائنا الأسرى •



يا أمة محمد (٢/٤)



الشيخ خالد الراشد

فك الله أسره*



اسمع يا مشتاق مزيداً من الأوصاف للمختار، عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال:

«كان ﷺ أزهر اللون، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، وما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب رائحه من رائحته ﷺ».

ومع عرقه ﷺ لأم سُليم رضي الله عنها خبر من أجمل الأخبار، يقول أنس رضي الله عنه: دخل علينا النبي ﷺ فقَال -أي نام لوقت القيلولة- فعرق وكان كثير العرق، وجاءت أمي بقارورة، فجعلت تُسلت العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سُليم ما هذا الذي تصنعين؟!».

قالت: «هذا عرق نجعله لطيبنا، وهو أطيب الطيب».

* من خطبة الشيخ الأسير المظلوم خالد الراشد، دفاعاً عن رسول الله ﷺ. منشورة على موقع طريق الإسلام، ١٢-٣-٢٠٠٦م، وسننشر بقيتها تباعاً في الأعداد القادمة. رابط إلكتروني: iswy.co/e2326

إي والله.. لا يخرج من ذلك الجسد الطاهر إلا أطيب الطيب.

في صحيح الأخبار أنه ﷺ في يوم بدر صفَّ الصفوف وكان بيده قِدْح -أي سهم يُعدِّل به القوم فمرَّ بسوَّاد بن غزية وهو متقدِّم في الصف، فطعنه في بطنه بالقِدْح وقال: «استوِ يا سوَّاد». فقال سوَّاد: «يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأَقِدْني من نفسك -أي اجعلني أقتص منك- فقال له ﷺ: لك ما أردت اقتص لنفسك». وعرض نفسه له، فقال له: «يا رسول الله لكنَّ بطني كان مكشوفاً فلا بدَّ أن تكشف بطنك»، فكشف له النبي ﷺ عن بطنه، وقال: «اقتص لنفسك يا سوَّاد».



الله أكبر.. القائد الأعلى وقائد القوات المسلحة يعرض نفسه للقصاص لجندي من جنوده وأمام مرأى ومسمع جميع الجنود. فكشف له النبي ﷺ عن بطنه وقال: «اقتص لنفسك يا سوَّاد»، فما كان من الجندي إلا أن اعتنق بطن النبي ﷺ، وأخذ يمرغ وجهه ولحيته في بطنه، فقال له ﷺ: «ما حملك على هذا يا سوَّاد؟!». فقال: «يا رسول الله حضر ما ترى -يعني حرب وقتال- ولا ندري نحيا أو نموت، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك». فدعا له ﷺ بخير.

عباد الله.. استكمالاً لوصفه ﷺ لا بدَّ من ذكر خاتم النبوة الذي في ظهره، فقد جاء عند مسلم من حديث جابر يقول فيه: «ورأيت الخاتم عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده». وفي وصف آخر عند أحمد من حديث عبد الله بن سرجس قال: «ورأيت خاتم النبوة في نغض كتفيه الأيسر كأنه جُمع فيه خيلان سود كأنها الثآليل». وفي وصف آخر: شامة سوداء تضرب إلى الصفره حولها شعرات متراكبات كأنها عرق فرس.

قالوا والحكمة في الخاتم أنه آية وعلامة ذكرها الله في كتب اليهود والنصارى. وقالوا أيضاً إنه لما كان قلبه ﷺ مُلئ حكمة وإيماناً -كما في الصحيح- خُتم عليه كما يُختم على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرَّاً.

إنه معلم البشرية وهاديها، جمع القوة والعدل والشدة في الله، وكان ألين الناس وأرق الناس وأرحم الناس بالناس، إنه من أشد الناس حياءً؛ بل أشد حياء من العذراء في خدرها.



أفلا يستحون! وهم يصورونه بتلك المناظر الخاليه من الحياء ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

اجتمع فيه ﷺ الكمال البشري الذي لم يجتمع لبشر سواه، واجه قومه بدعوة تتصدع من هول وقعها الجبال، ولقن قوى الشرك والظلم والطغيان دروساً لن تنساها مدى الزمان، يقول هرقل لأبي سفيان بعد أن سأله عنه وعن أخباره وعن وصفاته، فلما استوثق منه ومن صدقه قال هرقل: «لئن صدقت فيما قلت ليملكنَّ موضع قدميّ هاتين، ولو كنت عنده لغسلت قدميه».

كان ﷺ يعلم علم اليقين أنه جاء لهذه الحياة ليغيرها وليصحح مسارها، وأنه ليس رسولاً لقريش ولا إلى العرب وحدهم؛ بل رسول الله إلى الناس كافة. من الطفولة إلى الأربعين طهر ونقاء، ومن الأربعين إلى الممات جهاد ومضاء.. كتاب مكشوف كأنَّ الله يقول للناس هذا رسولي إليكم.

ما كذب على الله أربعين سنة قبل النبوة، أيُعقل أن يكذب على الله بعدها! يوم أن تحمَّل الأمانة، وكُلِّف بالرسالة، جاء إلى خديجة خائفاً يقول: «زملوني زملوني». فقالت بكل ثقة لأنها تعرف طهره وعفافه: «والله لا يخزيك الله إنك لتصل الرحم وتحمل الكَل وتصدق الحديث وتُعين على نوائب الحق».

علمتْ رضي الله عنها أنَّ من يتصف بهذه الصفات لا يُخذل أبداً، فلما سمعت خديجة رضي الله عنها كلامه، وطمأنته وهدَّأت من روعه انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تنَصَّر وعنده من العلم ما عنده، فلما سمع كلام خديجة رضي الله عنها قال رحمه الله وهو خائف وَجِل: «قدوس قدوس، والذي نفسي بيده لئن كنت صدقتِ يا خديجة إنه لنبي هذه الأمة». ثم قال للنبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي لموسى عليه السلام، وإنك نبي هذه الأمة ولتؤذَينّ ولتُقاتَلَنّ،

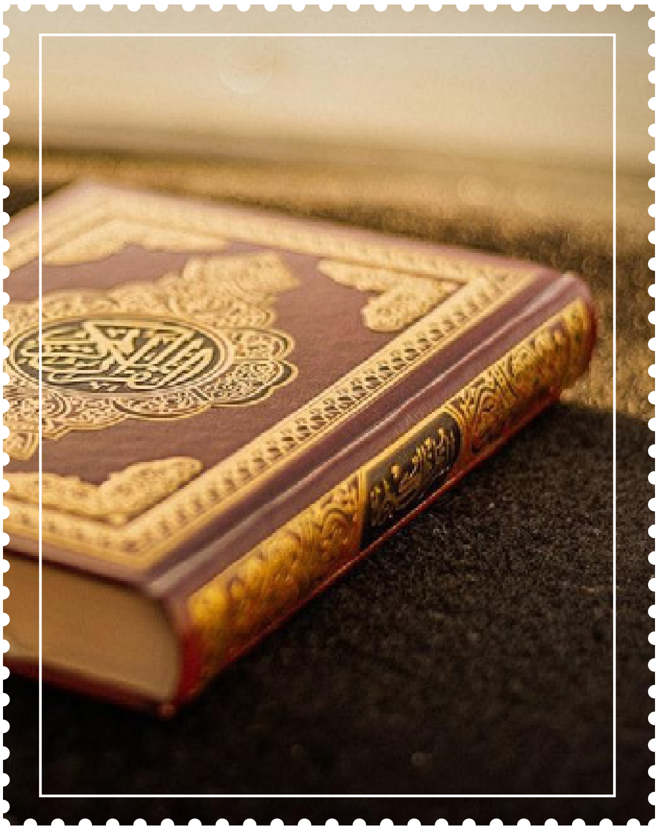
ولتُنصَرنّ بإذن الله». ثم قال ورقة -واسمعوا يا شباب الشيخ الكبير الذي ذهب بصره ماذا يتمنى!- يقول للنبي ﷺ: «ليتني كنت فيها جذعاً (أي ليتني كنت فيها شاباً) والله لأنصرنّك نصراً مؤزراً».

ثم أخذ برأس النبي ﷺ، فقبّله، وقال: «ليتني معك حين يخرجك قومك». فقال ﷺ: «أوَ مُخرجيّ هم؟!». فقال ورقة رحمه الله: «ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي». وما لبث ورقة بعدها إلا قليلاً ومات.

فلما تنزّل قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ إلى ٧]. قال ﷺ بعد نزول الآيات: «ولّى زمان النوم يا خديجة».

فجهر بدعوة الحق وهو الوحيد الأعزل، وقام بدين الله وبالدعوة إليه ما لم يقم به أحد، وأوذي في الله ما لم يؤذَ قبله أحد، وقاسى الاضطهاد والعذاب هو والأتباع، يقول لهم صبراً إن موعدكم الجنة.

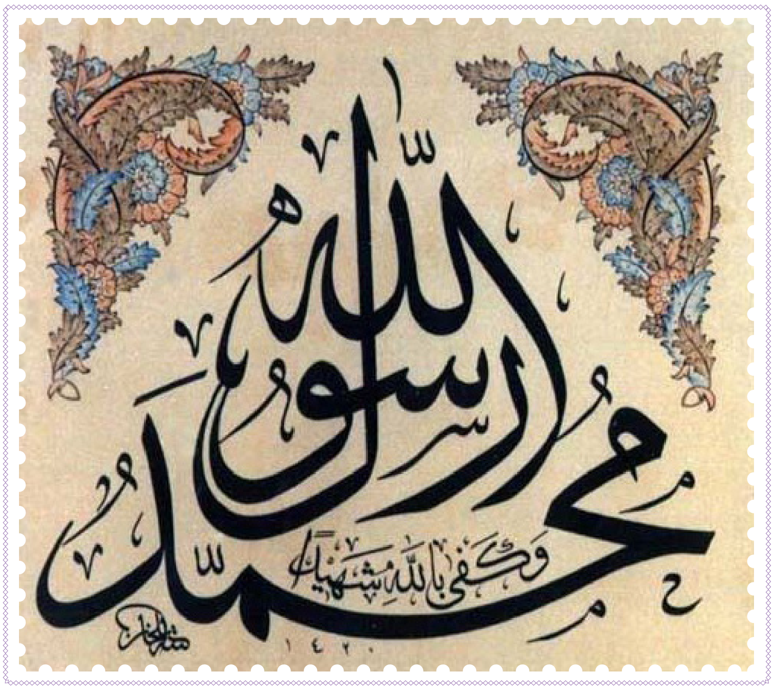
كل هذا لتحرير البشرية من وثنية الشرك، والضمير، وضياع المصير، قاسى من أهل مكة ما قاسى.. آذاه أهله وأقاربه ووصموه بالكذب، والسحر، والشعوذة، فما زاده ذلك إلا ثباتاً ويقيناً، ولما رأى أصحابه القلة القليله يُهانون، ويُعذبون، ويُضطهدون أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، وبقى في مكة وحيداً يواجه قوى الظلم والطغيان.



فما وهن ولا استكان، فلما رأوا ثباته ساوموه وعرضوا عليه الملك، والنساء، والمال، فجاهدهم بالقرآن. عرضوا عليه الملك، والنساء، والمال، والسلطان فجاهدهم بالقرآن، كما قال الله وكما أمره ربه تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. ولما هددوه وتآمروا عليه قال: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

فلقد سرت مسرى النجوم همومه •• ومضت مضي الباكرات عزائمه

فلما ماتت خديجة المثبتة له بعد الله، ومات عمه الذي كان يحميه.. خرج للطائف يعرض عليهم عزَّ الدنيا، وشرف الآخرة، فاستهزأوا به وآذوه، فقال له أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط. وقال الآخر:والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أكلمك. وقال ثالثهم -قاتله الله-: «أعَجَز الله أن يرسل غيرك؟



فلما آيس منهم قال لهم: اكتموا أمري. فغدروا به وأغروا به صبيانهم وسفاءهم وقعدوا له صفين على طريقه فأخذوا يرمونه بالحجارة، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم يستهزئون ويسخرون. فخرج هائماً على وجهه لم يفِق إلا في قرن المنازل. يقول -بأبي هو وأمي-: «فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فيها فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداه ملك الجبال وسلم عليه ثم قال له: يا محمد إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبَين. فقال الرحمة المهداة: «بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم من يعبد اللهَ وحده، ولا يشرك به شيئاً»».

يا الله! أبَعد أن آذوك وشتموك وأدموا قدميك ونالوا ما نالوا من السخرية والاستهزاء، تحرص على هدايتهم وإنقاذهم بدلاً من تدميرهم وهلاكهم؟

سلوا مكة ورجالها سلوا الطائف وجبالها عن عظمة سيد البشر والرجال، والله والله مهما تكلمت الأفواه أو سطرت الأقلام فستظل كأنها لم تبرح مكانها، فمن ذا الذي يستطيع أن يصف أو ينصف عظمة سيد ولد آدم!

فلقد بلغ الدُجى بجماله •• وبلغ العُــلا بكـماله

حسُنت جميع خصاله •• فصـلوا عليــه وآلــه

ومهما خُطت له الصحائف وأُلفت له المؤلفات عن شخصيته وحياته فإنها ستسكت على استحياء لأنها لا تستطيع أن تستوعب بصفحاتها -مهما كثرت- جانباً واحداً من عظمته.

يقول الله له مواسياً بعد أن ناله ما ناله من الأذى والسخرِية والاضطهاد: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].



وها هم يسخرون ويستهزئون بك ميتاً! تحملتَ السخرية وأنت حي وصبرتَ عليها، وها هم يسخرون ويستهزئون منك ميتاً.. والله لن يضروك -بأبي أنت وأمي- بل طبت وربي حياً وميتاً والله ما ضروا إلا أنفسهم، فلقد آذنهم الله بالحرب.. والله ما ضروا إلا أنفسهم ولكنه امتحان، وابتلاء لنا من الله ليختبر محبتنا لك وصدقنا في اتباعك وشجاعتنا في الدفاع عنك، وأنت الذي تحملت من أجلنا ما تحملت! فما الذي أغاظهم وجعلهم يسخرون ويستهزئون؟!

هذا هو محورنا الثاني في الخطبة الثانية بإذن الله..

اللهم اجزي عنا محمداً خير ما جزيت نبياً عن أمته، نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



في المال حق سوى الزكاة

الشيخ عبد الله بصفر

فكّ الله أسره*

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الكرام الأحبة فبعد حديثنا عن الزكاة وأحكامها، وقبل أن ننتقل بالحديث إلى الصدقة النافلة، هناك بينهما صدقة واجبة ينبغي علينا أن نُذكّر بها، وهذا الذي عناه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بقوله: "في المال حق سوى الزكاة"، وبيّن ذلك العلماء وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقال بأن حجة من قالوا بأن هناك حق في المال غير الزكاة هي قوله تبارك وتعالى في آية البر: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا

---

* الشيخ عبد الله بصفر، مقطع بعنوان: الصدقة الواجبة، موقع يوتيوب، عام ٢٠١١، رابط إلكتروني: bit.ly/3PC2LG1 .

وُجوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، قال: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾. فقال: المعنى أن هذه الحقوق التي ذكرها غير الزكاة، وهي حقوق مؤكدة وواجبة في بعضها، كما سنبين بإذن الله تبارك وتعالى.

وقال أيضاً من هذه الحقوق كما هو معروف حقوق الوالدين، والآيات كلها تؤكد هذا الحق: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [النساء: ٣٦]، إلى آخر الآيات، وقوله ﷺ للرجل: "أنت ومالك لأبيك"، فهنيئاً للأبناء البارين بآبائهم الذين يرجون ما عند الله تبارك وتعالى، فتجد آباءهم يسكنون في بيوتهم معززين مكرمين على الرؤوس، وتجد الإخوة يتنافسون ويتسابقون على إكرام الآباء، فهذا يقدم، والثاني ينافس، والثالث يسابق، على عكس بعض الناس هداهم الله، كل الإخوة يتملص من واجب الأب والأم، ما عندي، البيت ضيق، لا يوجد مكان، أنت عندك بيت واسع وراتب واسع -سبحان الله- فتجده بعد ذلك العمر، وبعد ذلك الشقاء والتعب في تربية أبنائه، يتنكرون له في آخر الزمان، هذا حال البعض، ولذلك بدأنا نسمع عن دور العجزة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، المفروض دور العجزة لإنسان مقطوع ليس له أحد، أما من له أبناء فهذه من المصائب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك صلة الأرحام قال ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى -اليد العليا المعطية- وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك"، والقضاء الشرعي إذا تخلى الإنسان عن قريبه يُلزمه بالنفقة عليه، يلزمه إلزاماً بالنفقة على أخته وأخيه، أو خاله أو عمه الفقير العاجز.



وقد هدد النبي ﷺ الذين يتهربون من أرحامهم والضعفاء، فقال عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الحسن: "ما من ذي رحم يأتي رحمه يطلب من الفضل الذي عنده مما أعطاه الله تبارك وتعالى [من الزائد الذي عنده وليس من قوته وقوت عياله] فيأبى إلا مثّل الله عز وجل له يوم القيامة ثعباناً يتلمظ يُطَوّقه" والعياذ بالله عز وجل، هذا مثل مانع الزكاة والعياذ بالله عز وجل، يأتيه أخوه ويأتيه خاله، ويأتيه عمه، يذهب إلى الناس يتكفف الناس.

الصدقة على القريب صدقة وصلة، كما قال ﷺ فيها أجران، وبالذات ذي الرحم الكاشح الذي يظهر العداوة، هذا فيه الصدقة أكثر والأجر أكبر، وكلنا يعرف صلة الرحم، وفضل صلة الرحم، وعقوبة قاطع الرحم والعياذ بالله عز وجل.



وكذلك الجار له حقوق، ألم يقل ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جواره جائع وهو يعلم". هذه ليست صدقة نافلة، هذه فرض، جارك جائع وأنت شبعان، من يتصدق على هذا الجار المسكين إلا أنت المطلع على حاله وأسراره وعلى أموره؟ ولذلك الإنسان عندما يطلع على حال فظيع من جوع أو عري، يجب عليه أن يمد يد المساعدة لأخيه المسلم، يقول ﷺ: "من فرّج عن مسلم كُربة من كُرب الدنيا، فرّج الله عنه كُربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه". ويقول أيضاً: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"، وهو القائل ﷺ: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه [لا يسلمه للأعداء يُنصّرونه أو يخرجونه إلى مذاهب ضالة مضلة والعياذ بالله عز وجل] ولا يخذله"، فهذا كله يؤكد أن في المال حق سوى الزكاة.

وكما بين العلماء أن من هذه الأمور أيضاً النكبات والمصائب والكوارث التي تحل بالمسلمين، كما سمعنا في الأيام القريبة الماضية ما حل بإخواننا في باكستان، والدعوة لجمع التبرعات لإخواننا المتضررين، فلا يستطيع الإنسان أن يسمع بمثل هذه الأمور المحزنة المهولة الفظيعة ويقول: "والله أخرجت الزكاة خسارة! لو جاءت هذه الكوارث قبل الزكاة كان يمكن!" هذه مصائب نسأل الله عز وجل أن يصرفها عنا وعن المسلمين، والزلازل والفيضانات والحروب، الواحد يقول الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، فأمثال هذه النكبات لو جاءت قبل موعد الزكاة ولم يحل الحول كأن تتبقى سنة أو ستة شهور، هل ينتظرك هؤلاء المنكوبون ستة شهور حتى يأتي موعد الزكاة؟!

إذاً في المال حق سوى الزكاة، هذه الأمور الملحة والأمور الضرورية والكوارث والمصائب، عندما تساعد أهلها تدفع عن نفسك السوء بإذن الله عز وجل، وتدفع عن نفسك الشر، والله عز وجل يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨] ، فإذا أنقذت هؤلاء الناس، ودفعت عنهم الشر، ودفعت عنهم البلاء بما تستطيع، فالله عز وجل يدفع عنك وعن أهلك، وعن أولادك، وعن بلدك.



إذاً أيها الإخوة الكرام الأحبة علينا أن نكون ليس فقط بقلوبنا مع إخواننا المسلمين، ولكن بقلوبنا وجيوبنا، إذا كان القلب معهم، فالدليل على أن القلب معهم أن تُدخل يدك في جيبك، حرّر، حوّل، هذا هو التأكيد فعلاً على وجود أخوّة الإسلام ومحبة الإسلام، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



طريقة بذل زكاة الراتب



د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان

فكّ الله أسره

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبي بعده، وبعد:

فالتاجر في متجره، أو العامل الذي يشتغل مثلاً في النجارة والحدادة والسباكة وغيرهم، و سواء كانت الأجرة على خدمات، أو قيمة مبيعات أو ما أشبه ذلك من المال الذي يدخل تباعاً، ربما كل يوم أو كل أسبوع، أو كل شهر، وأحياناً كل ساعة، هذا لو قلنا له اجعل حولاً لكل مال مستقلاً عن المال الآخر الذي جاء بعده، لشق على أكثر الناس.

---

* المقال مقتبس من لقاء مرئي بعنوان: قبسات، طريقة بذل زكاة الراتب، للدكتور عبد العزيز بن فوزان الفوزان، فك الله أسره، منشور عام ٢٠١٥، موقع طريق الإسلام، رابط إلكتروني iswy.co/e14bel .

فما زال المال يأتي تباعاً كل يوم، أو كل أسبوع، أو كل شهر، فيكون الأيسر عليك والأبرأ لذمتك أن تجعل لك يوماً في السنة هو يوم زكاتك، افترضنا مثلاً أنه اليوم الأول من شهر ربيع الأول، أو اليوم الأول من شهر رمضان، أو يوم عشرين من ذي الحجة. فالمسلم يعتبره أول يوم ملك فيه النصاب، وحال عليه الحول، وزكى، فيعتبر هذا اليوم يوم زكاته، وكلما جاء عليه هذا اليوم من كل سنة ينظر كم عنده من المال الزكوي الذي تجب فيه الزكاة، سواء الذي دخل أمس، أو الذي مر عليه سنة، فيزكيه مرة واحدة، وبذلك تبرأ ذمته وليس عليه زكاة، إلا إذا جاء هذا اليوم من السنة القادمة.

لكن يشترط لهذا:



- **الشرط الأول: تمام الحول كما ذكرت، أن يأتي هذا اليوم ويمر عليه.**

- **الشرط الثاني: أن لا ينقص المال عن النصاب طيلة الحول،** بمعنى لو أن شخصاً جاءه مبلغ مائة ألف ريال في شهر محرم مثلاً، هذا يبلغ نصاباً وزيادة، لكن في شهر شوال اشترى سيارة مثلاً ولم يبقَ عنده إلا ثلاثة آلاف، أو خمسة آلاف ونحوها، أقل من النصاب، نقول له ليس عليك زكاة، أي إذا جاءك يوم واحد محرم وافترضنا أنه جاءك مائة ألف أو مليون، ولم يحل عليها الحول، بقي شهران فقط من شهر شوال إلى شهر المحرم، لماذا ألغينا الحول الأول؟ لأنك صرفت المبلغ، أو صار عندك جزء من المال لا يبلغ نصاباً، فانقطع الحول في حقك.

إذاً اشتراط حولان الحول أو تمام الحول، يُشترَط له حولان الحول، على أن لا يَنقص المال عن النصاب طيلة الحول، فإن نقص عن النصاب في أثناء الحول انقطع الحول، فإذا قدر أنه في شهر شوال اشترى سيارة ثم في يوم عشرين من شهر ذي الحجة، أي بعد نحو شهرين جاءه مبلغ مليون ريال، نقول له احسب من يوم عشرين من ذي الحجة حتى عشرين من ذي الحجة السنة القادمة ولا تزكي.

لا حظت كيف أصبح يوم زكاته مختلفاً عن السابق؟ لكن لو كان الإنسان عنده خير وينفق من هذا الراتب، أو من هذه المبالغ التي تأتي عن طريق البيع والشراء، أو عن طريق تأجير الخدمات أو نحو ذلك، لكن لا تنقص عن النصاب، ربما عندهم مثلاً مليون ريال وينقص ربما إلى خمسمائة، إلى مائة ألف، إلى خمسين ألف، إلى عشرين ألف، لكن لا ينقص عن النصاب، فهذا كما قلتُ ينظر يوم زكاته الذي حدده، كلما جاء هذا اليوم من كل سنة يحسب جميع ما يملكه من المال الزكوي، سواء الذي له سنة، أو الذي دخل قبل يوم أو يومين ويزكيها جميعاً مرة واحدة.



نصاب الزكاة

النصاب الذي هو مقدر بأقل نصابي الذهب والفضة، الذهب الآن مرتفع الثمن، والفضة رخيصة، ولذلك يقدر نصاب النقود الورقية المستخدمة اليوم بنصاب الفضة، لأن هذا أنفع للفقراء وأرفق بهم.

نصاب الفضة مائتا درهم، وهي تساوي بالمكاييل الحديثة خمسمائة وخمسين جراماً من الفضة، فإذا بلغت قيمة النقود التي عنده قيمة خمسمائة وخمسين جراماً من الفضة فإنه يكون قد ملك النصاب.

ولو افترضنا مثلاً أن جرام الفضة الواحد يساوي خمسة ريالات، فتضرب خمسمائة وخمسين جراماً في خمسة ريالات، ثم إذا كان المال الذي عندك يبلغ هذه القيمة (ناتج ٥٥٠ ضرب ٥) فقد ملكتَ النصاب، وإذا نقص عنها فإن النصاب لم يتم عندك، ولا تلزمك الزكاة.

إذاً خمسمائة وخمسين جراماً من الفضة، هي النصاب الذي يقدر به النصاب الزكوي للنقود الورقية التي نتداولها اليوم.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

@ AnsarMagazine

الأمين العام للهيئة

د. محمد الصغير

رئيس التحرير

محمد إلهامي